الوسيط

في شرح أول رسالة في مجموعة التوحيد

للشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

وهي رسالة

في التوحيد والشرك والكفر والنفاق

لفضيلة الشيخ

علي بن خضير الخضير

مكتبة الرقيم

الوسيط

في شرح أول رسالة في مجموعة التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

مكتبة الرقيم

الرقة – هاتف: ٢٤٤٧٤٠/ ٢٤٧٧٦٣

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد..

فهذا شرح مبسط لأول رسالة في كتاب مجموعة التوحيد طبعة دار البيان بتحقيق الشيخ بشير محمد عيون و طبعة دار اليقين للنشر والتوزيع، سميناها بالوسيط من أجل أن تكون وسيطا لفهم مفردات هذه الرسالة المباركة، مع أنها ولله الحمد واضحة سهلة لكن محاولة وجهد للتقريب نسأل الله التوفيق والتسهيل وأن يحقق المطلوب.

أما بالنسبة لمن هذه الرسالة؟

فقد رأيت اختلافا في نسبة هذه الرسالة، ومن الذي ألفها؟ على النحو التالي:

١ . هناك من الكتب من تنسب هذه الرسالة إلى الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومن هذه الكتب:

أ . ففي مجموعة التوحيد طبع مكتبة الرياض الحديثة نسبتها إلى الشيخ عبد الرحمن بن حسن ضمن رسائله وكانت الرسالة الثالثة بعنوان أنواع التوحيد وأنواع الشرك (ص ٣٤٦).

ب . في الجامع الفريد طبع مطبعة المدينة بالرياض في كتب ورسائل أئمة الدعوة في (ص ٣٤٦) ضمن رسائل الشيخ عبد الرحمن الخمسة: وهي الرسالة

الثالثة بعنوان أنواع التوحيد وأنواع الشرك.

ج .في كتاب فتاوى الأئمة النجدية جمع الشيخ مدحت بن حسن آل فرج نسبها للشيخ عبد الرحمن في (٢ / ٤١) وفي (٣ / ٢٦٣).

د .في كتاب المجدد الثاني الشيخ عبد الرحمن بن حسن، تأليف الشيخ خالد بن عبد العزيز الغنيم، في قسم الرسائل الطويلة (ص ١٥٤) برقم (١١) ذكر أن الرسالة للشيخ عبد الرحمن وأنها تحوي على أنواع التوحيد مع شرح موجز لها وبيّن أنواع الشرك وأقسام كل نوع ثم بين الكفر وأقسامه وبين النفاق وأقسامه.

٢ .وفي بعض الكتب لم تنسبها إلى أحد مثل:

أ .ففي مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١ / ٦٦١) ذُكر قطعة منها في الشرك وأنواعه ولم تُنسب إلى أحد.

ب .مجموعة التوحيد طبعة دار البيان بتحقيق الشيخ بشير محمد عيون جعلتها أول رسالة ولم تنسبها إلى أحد.

ج .وكذا مجموعة التوحيد طبعة دار اليقين للنشر والتوزيع، جعلتها أول رسالة ولم تنسبها إلى أحد.

٣ .وهناك كتب نسبتها إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب مثل:

أ .كما في الدرر السنية في (٢ / ٣٤) طبعة دار الإفتاء. وفي الطبعة المشهورة للدرر (٢ / ٦٦).

ب .في مجموعة الفتاوى والرسائل والأجوبة للشيخ محمد بن عبد الوهاب جمع الشيخ عبد الله حجاج.

ج - وكذا في مجموعة التوحيد طبعة دار البيان بتحقيق الشيخ بشير محمد عيون ومجموعة التوحيد طبعة دار اليقين للنشر والتوزيع، وإن لم تنسبهما إلى أحد فقد ذكرتهما في أول المجموع مع رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

أما في مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب طبع جامعة الإمام - القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية، وكذا القسم الخامس: الرسائل الشخصية فحسب إطلاعي فلم أجد هذه الرسالة للشيخ محمد.

وبالنظر إلى الرسالتين وجدت أنهما منطبقتان تماما إلا في ألفاظ يسيرة جدا لا تذكر، لكن اختلاف الألفاظ اليسيرة له مدلول، والذي يظهر لي أن الرسالة أصلا للشيخ محمد بن عبد الوهاب كما في الدرر السنية فإنها مصدر موثوق في هذا، ثم إن الشيخ عبد الرحمن كتبها وغيّر بعض الألفاظ اليسيرة التي رأى أنها أنسب، وسوف ننبه إن شاء الله عند ذكر المتن إلى الاختلاف اليسير، والله أعلم.

وإذا قلنا المصنف أو المؤلف فنقصد الشيخ محمد. وأحيانا نرمز للشيخ عبد الرحمن برمز (عب) وهي اختصار عبد الرحمن وأحيانا نسميه الحفيد.

وهذه رسالة تتحدث عن التوحيد وأنواعه، وعن الشرك وأنواعه، وعن الكفر وأنواعه، وعن النفاق وأنواعه. مع ذكر الأدلة لكل ذلك.

وما فيها يُعتبر من الأصول المهمة في مذهب ومعتقد أهل السنة والجماعة في هذه الأبواب. التوحيد والشرك والكفر والنفاق..

وقد يسر الله ﷻ شرحها إملاءا على بعض الطلاب عام ١٤٢١ هـ، ثم أضفنا عليها إضافات ونقول لائمة الدعوة رحمهم الله مما يسر الله فيما بعد، فما كان فيها من صواب فمن الله وما كان فيها من خطأ فمني والشيطان وهو مردود.

وسوف نضع إن شاء الله المتن مستقلا ثم نتبعه بالشرح بعده مباشرة، ووضعنا حاشية للتعليق أحيانا على ما يحتاج لذلك.

نسأل الله الإعانة والتوفيق والتسهيل وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

كتبه

علي بن خضير الخضير

١٤٢١ هـ

❁ ❁ ❁

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.

وبعد..

أولاً: سرد الرسالة كلها مع ذكر الاختلاف اليسير:

قال الشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في الدر (٢ / ٣٤) ط دار الإفتاء أو (٢ / ٦٧) ط المشهورة:

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد: اعلم رحمك الله (وعند عب أرشدك الله تعالى) أن الله تعالى خلق الخلق ليعبدوه ولا يشركوا به شيئا، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ والعبادة هي التوحيد لأن الخصومة بين الأنبياء والأمم فيه كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾.

والتوحيد: ثلاثة أصول؛ (وعب قال ثلاثة أنواع) توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الذات والأسماء، والصفات.

الأصل الأول: توحيد الربوبية، وهو: الذي أقر به المشركون (عند عب الكفار) في زمن رسول الله ﷺ، ولا أدخلهم (عند عب ولم يدخلهم) في الإسلام، وقاتلهم رسول الله ﷺ، واستحل دماءهم، وأموالهم.

وهو: توحيد الله بفعله، والدليل عليه، قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ

ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾، وقوله: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ والآيات على هذا كثيرة جدًا، أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر.

والأصل الثاني: وهو توحيد الألوهية، فهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله بأفعال العباد، كالدعاء، والرجاء، والخوف، والخشية، والاستعانة، والاستعاذة، والمحبة، والإنابة، والنذر، والذبح، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والتذلل، والتعظيم، (زاد عب التوكل ولم يذكر بعضها، وإنما ذكر منها تسعة، وفيه اختلاف في التقديم والتأخير).

فدليل الدعاء، قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ الآية، وكل نوع من هذه الأنواع، عليه دليل من القرآن.

وأصل العبادة تجريد الإخلاص لله تعالى وحده، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ وهذه الآية لم يذكرها عب. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾، وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ . ثم قال عب والآيات معلومة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

الأصل الثالث: وهو توحيد الذات والأسماء والصفات، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾. وقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

واعلم: أن ضد التوحيد الشرك؛ وهو ثلاثة أنواع: شرك أكبر؛ وشرك أصغر، وشرك خفي.

والدليل على الشرك الأكبر، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾.

وهو: أربعة أنواع.

النوع الأول: شرك الدعوة، والدليل عليه، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝٦٥ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

النوع الثاني: شرك النية، وهي: الإرادة والقصد، (قال عب شرك النية والإرادة والقصد) والدليل عليه، قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

النـــوع الثالـــث: شرك الطاعـة، والـدليل عليـه قولـه تعـالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ وتفسيرها الذي لا إشكال فيه، هو: طاعة العلماء والعباد، في معصية الله سبحانه، لادعائهم إياهم، كما فسرها رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم، لما سأله فقال لسنا نعبدهم فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية.

النـوع الرابـع: شرك المحبة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾.

والنـوع الثـاني: شرك أصغر، وهو الرياء، والدليل عليه، قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾.

والنـوع الثـالث: شرك خفي، والدليل عليه قوله ﷺ: «**الشرك في هذه الأمة أخفي، من دبيب النمل على الصفاة السوداء في ظلمة الليل**» وكفارته قوله: «**اللَّهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم**».

والكفر: كفران؛ كفر يخرج من الملة، وهو خمسة أنواع.

النـــوع الأول: كفـر التكـذيب، والـدليل عليـه، قولـه تعـالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾.

النـوع الثـاني: كفر الاستكبار والإباء (وعند عب الإباء والاستكبار) مع التصديق؛ والدليل عليه، قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

النوع الثالث: كفر الشك، وهو كفر الظن، والدليل عليه، قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾.

النوع الرابع: كفر الإعراض، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾.

النوع الخامس: كفر النفاق، والدليل عليه، قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾.

وكفر أصغر لا يخرج من الملة، وهو: كفر النعمة؛ والدليل عليه، قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾. هذه الآية لم يذكرها عب.

وأما النفاق، فهو: نوعان، نفاق اعتقادي، ونفاق عملي.

فأما الاعتقادي فهو: ستة أنواع، تكذيب الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول، أو بغض الرسول، أو بغض ما جاء به الرسول، أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية لانتصار دين الرسول.

فهذه الأنواع الستة، صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار، نعوذ بالله من الشقاق والنفاق. الدعاء هذا جعله عب في آخر الرسالة..

وأما النفاق العملي، فهو: خمسة أنواع، إذا حدث كذب، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر، وإذا ائتمن خان، وإذا وعد أخلف؛. وذكر عب نص الحديث آية المنافق ثلاث... الحديث).

والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كبيرًا.

مسألة: وهذه الرسالة كتبها المصنف لمن معه قدر من العلم والفهم لأنه ذكر فيها التقسيم والأدلة وهي غلبا تكتب لمن يمكن منه أن يفهم التقسيمات ولذا قال المصنف: في الدرر (١ / ١٧٠) مبينا الأسلوب الأمثل في التعليم و التدرج، ونحسبه إن شاء الله مشى على ذلك في رسالته هذه، فقال: ينبغي للمعلم: أن يعلم الإنسان على قدر فهمه، فإن كان ممن يقرأ القرآن، أو عرف أنه ذكي، فيعلمه أصل الدين، وأدلته، والشرك وأدلته، ويقرأ عليه القرآن، ويجتهد أنه يفهم فهم قلب، وإن كان رجلا متوسطا ذكر له بعض هذا، وإن كان مثل غالب الناس ضعيف الفهم فيصرح له بحق الله على العبيد مثل ما ذكر النبي ﷺ لمعاذ، ويصف له حقوق الخلق مثل حق المسلم على المسلم وحق الأرحام وحق الوالدين وأعظم من ذلك حق النبي ﷺ وأفرضه شهادتك له أنه رسول وأنه خاتم النبيين، وتعلم أنك لو رفعت واحدا من الصحابة في منزلة النبوة صرت كافرا، اهـ.

❁ ❁ ❁

فصل

المتن:

قال الشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في الدرر (٢ / ٣٤) أو (٢ / ٦٧):

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد: اعلم رحمك الله (وعند عب أرشدك الله تعالى) أن الله خلق الخلق ليعبدوه ولا يشركوا به شيئا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ والعبادة هي التوحيد لأن الخصومة بين الأنبياء والأمم فيه كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

الشرح:

المسالة الأولى: هذه الرسالة هل لها أسم؟.

لم يُذكر لها اسم ولم يسمها المؤلف، لكن ممكن أن تعطى اسما على محتواها فهي إذًا رسالة في التوحيد والشرك والكفر والنفاق. وجامع مجموعة التوحيد طبعة مكتبة الرياض الحديثة، وكذا في الجامع الفريد جعلها بعنوان أنواع التوحيد وأنواع الشرك (ص ٣٤٦). وفيه نقص لأنه لم يذكر الكفر والنفاق وقد جاء ذكرهما فيها.

المسألة الثانية: فيه جزء لا بأس به من الرسالة سبق أن تناولناه في إحدى رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهي رسالة القواعد الأربعة وعلى ذلك ما سبق نحيله إليها. وبعض ما في هذه الرسالة ذكر أيضا في كتاب التوحيد مثل شرك

الطاعة جاء في بابين من كتاب التوحيد وهو (باب من أطاع العلماء والأمراء في التحليل والتحريم) وباب ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ الآية وشرك الدعوة يشمل عدة أبواب في كتاب التوحيد وهي باب من الشرك الاستعاذة بغير الله، وباب من الشرك أن يستغيث بغير الله، وباب الشفاعة. وشرك المحبة جاء ذكره في باب ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ ويمكن أن يتبع المحبة أيضا باب الذبح لغير الله وباب من الشرك النذر لغير الله وباب من تبرك لأن هذه الثلاثة يمكن أن تفعل على وجه المحبة.

وشرك النية جاء ذكره في بابين هما باب ما جاء في الرياء، وباب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

وما يتعلق بالكفر جاء في أبواب في كتاب التوحيد مثل باب يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها، وباب الاستسقاء بالأنواء، وباب ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ وباب سب الدهر وباب الاستهزاء بالله ورسوله.

وما يتعلق بتوحيد الأسماء والصفات جاء في أبواب في كتاب التوحيد مثل: باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات، وباب ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾، وباب التسمي بقاضي القضاة، وباب احترام أسماء الله، وكذا باب الكهانة والتنجيم والتطير لأنه يتعلق بعلم الله اسما وصفة. أما النفاق فمثل باب ما جاء في اللو، وباب يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية.

هذا على وجه التقريب لكنه في هذه الرسالة المباركة مجرد إشارة مختصرة، ومن أراد الإطالة فيرجع إلى الأبواب التي ذكرنا سابقا.

المسألة الثالثة: ما يتعلق بالبسملة وهي قد مرت في القواعد الأربعة، وثلاثة الأصول وغيرها فما حكم البداءة بالبسملة؟ حكم البداءة بالبسملة سنة والأدلة على ذلك منها:

١. إقتداء بكتاب الله فأوله الفاتحة وأول الفاتحة البسملة.

٢. رسائل النبي ﷺ إلى الملوك بدأت بالبسملة.

٣. رسالة سليمان عليه الصلاة والسلام إلى ملكة سبأ في سورة النمل: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

المسألة الرابعة: ابتدأت الرسالة بقوله (الحمد لله وكفى) فما حكم الحمد له في الكتب والرسائل؟.

نقول سنة فقد جاء في حديث جابر ورواه مسلم أن النبي ﷺ إذا خطب الناس حمد الله وأثنى عليه، وذكر ابن القيم في زاد المعاد في الجزء الأول في باب هديه ﷺ في الخطب وقال كان الرسول إذا خطب حمد الله وأثنى عليه اهـ. وأما حديث كل أمر ذي بال ...فهو ضعيف.

المسألة الخامسة: هل يجمع بين البسملة والحمد له أم لا يجمع؟ هذا ظاهر صنيع المصنف والحفيد وهو الذي مشيا عليه.

قول المصنف: (الحمد لله) الألف واللام للاستغراق (الله) واللام المدغمة في الله للاستحقاق أي أن الله يستحق الحمد.

والله معناه: - الرب المعبود أو المتصرف المعبود. ولماذا أدخلنا تفسير الرب مع لفظ (الله)؟ لفظ (الله) إذا أفرد عن لفظ (الرب) فهي تعنى كلمة الخالق

المعبود، وإذا اجتمعت فمعنى (الله) أي المعبود، ومعنى (الرب) أي الخالق المتصرف.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدرر (١ / ١٠٦) فاعلم أن الربوبية، والألوهية: يجتمعان، ويفترقان، كما في قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ﴾ وكما يقال رب العالمين، وإله المرسلين؛ وعند الأفراد: يجتمعان، كما في قول القائل: من ربك؟ مثاله: الفقير والمسكين، نوعان في قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ ونوع واحد في قوله: «افترض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم، فترد إلى فقرائهم» إذا ثبت هذا، فقول الملكين للرجل في القبر: من ربك؟ معناه من إلّهك؛ لأن الربوبية التي أقر بها المشركون، ما يمتحن أحد بها، وكذلك قوله: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ وقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾.

فالربوبية في هذا، هي: الألوهية، ليست قسيمة لها، كما تكون قسيمة لها عند الاقتران؛ فينبغي: التفطن لهذه المسألة اهـ.

أما أهل البدع فعندهم معنى الله أي الخالق أو القادر فقط فعندهم لا فرق بين الله والرب أو الربوبية والألوهية لأن عندهم الموحد هو المؤمن بالربوبية، أما أصل أهل السنة والجماعة فهو التفريق بينهما عند الاجتماع، ويتداخل معناهما عند الافتراق وهذا من أصول أهل السنة والجماعة في التوحيد وفي أصل الدين التي افترقوا بها عن أهل البدع والقبورية وأمثالهم. أما أصول الوثنية والقبورية والمرجئة في أصل الدين فهو عدم التفريق بين ذلك.

مسألة: ويستدل أهل البدع على عدم التفريق بين الربوبية والألوهية بشبهة هي:

أ . **الشبهة الأول:** قالوا ثبت في الأحاديث أن الميت يسأله منكر ونكير: من ربك؟ فلا يقولان من إلهك، فلو وجد تفريق لذكر فهذا يدل على أنه ليس هناك تفريق.

ب . **الشبهة الثانية:** يوسف عليه الصلاة والسلام قال: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ ﴾ ولم يفرق.

جـ . **الشبهة الثالثة:** أن الناس إذا أسلموا كان الرسول صلى الله عيه وسلم أول ما يقول لهم قولوا لا إله إلا الله، ولا يقول لهم إن توحيد الربوبية معناه كذا وتوحيد الألوهية معناه كذا.

ولا شك أن قولهم هذا بعدم التفريق باطل بدلالة القرآن والسنة وبإجماع السلف.

أما أدلة أهل السنة في التفريق بين الربوبية والألوهية فهي:

١ . أن الله قال في آخر سورة في القرآن ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ ففرق بينهما وفصل بينهما بملك الناس.

٢ . في سورة الأنعام ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ فلو كان الرب بمعنى الله لما ذكر لا إله إلا هو بعد ذكر الرب فدل على التفريق.

٣ . مما يدل على التفريق قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ أي ما يؤمنون بالربوبية إلا وهو مشركون بالألوهية فكانوا يفرقون بين ذلك.

٤ .قريش إذا جاءت تلبي تقول: (لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك) ووجهه أنهم فرقوا بين الشريك في العبادة والألوهية وبين الملك وهو ربوبية.

٥ .في سورة البقرة قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ أي تألهوا إلى الله الذي هو ربكم.

٦ .أجمع أهل اللغة العربية على الفرق بين الرب والله فالرب بمعنى الخالق المتصرف والله بمعنى المعبود، ونقل الإجماع ابن جرير في تفسيره وابن كثير والزركشي.

٧.إجماع أهل التفسير على الفرق بين الرب وبين الله.

الرد على أدلتهم:

نقول كل ما ذكرتم من الشبه التي تسمونها الأدلة لم يذكر معها الله وإنما ذكر فيها الرب وحده لذا نقول إنه إذا ذكر كلمة الرب وحدها دخل معها كلمة الله.

وأما كلمة من ربك؟ في حديث الملكين أي من إلهك؟ فإن الناس لا يُمتحنون بالربوبية.

وكذلك بالنسبة ليوسف عليه الصلاة والسلام فقوله: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ﴾، أي ءألهة لأن هذا الذي وقع منهم وهو الشرك في الألوهية.

أما كون الرسول ﷺ إذ أسلم أحد لم يعلمه التفريق بين الربوبية والألوهية، فالسبب لأن العربي كان بسليقته وعربيته يعرف الفرق بينهما وكما قال تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ فعند الألوهية يرفضون أما إذا سئلوا عن الربوبية أقروا ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾.

مسألة: وهناك من الطوائف المعاصرة من لا تفرق بينهما وتقول لا إله إلا الله معناها أي لا رب إلا الله وهذا موجود عند الأشاعرة المعاصرة وفي هذا الوقت وموجود عند القبوريين المعاصرين وموجود عند الصوفية المعاصرين وموجود عند جماعة التبليغ فكلهم لا يفرقون.

وأي إنسان تريد أن تعرف هل هو يفرق بين كلمة الرب وكلمة الله فسأله عن معنى لا إله إلا الله، فإن قال إن الله هو الرزاق الخالق وسكت هنا تعرف أنه على أصل أهل البدع، واسأله عن من ذبح لغير الله هل يكفر أم لا؟ فإن كان على أصل أهل البدع قال إن ذبح وهو يعتقد أن الله هو الخالق الرزاق فلا يكفر فاعرف أنه لا يفرق بينهما.

وقال المصنف: (كفى) يعني أن الحمد أبلغ الثناء على الله.

وقال المصنف: (وسلام على عباده) كلمة عباده هل هي عامة أم خاصة؟ هي خاصة وعرفنا أنها خاصة من قول المصنف: (الذين اصطفى) فالمصطفون هم الأنبياء، وعليه فكلمة عباده أراد بهم عبادا معينين وهم الأنبياء.

ثم سلّم على الأنبياء وهذه هي السنة التسليم على الأنبياء عند ذكرهم، وإن زاد الصلاة عليهم كان حسنا، قال ابن القيم في جلاء الافهام الباب السادس في الصلاة على غير النبي، قال: أما سائر الأنبياء والمرسلين فيصلي عليهم ويسلم، قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

وقال تعالى عن إبراهيم خليله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ وقال تعالى في موسى وهارون: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ

وَهَٰرُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴾ فالذي تركه سبحانه على رسله في الآخرين هو السلام عليهم المذكور.

وقد قال جماعة من المفسرين منهم مجاهد وغيره وتركنا عليهم في الآخرين الثناء الحسن ولسان الصدق للأنبياء كلهم وهذا قول قتادة أيضا، ولا ينبغي أن يحكى هذا قولين للمفسرين... بل هما قول واحد فمن قال إن المتروك هو السلام عليهم في الآخرين نفسه فلا ريب أن قوله سلام على نوح جملة في موضع نصب بـ(تركنا) والمعنى أن العالمين يسلمون على نوح ومن بعده من الأنبياء ومن فسره بلسان الصدق والثناء الحسن نظر إلى لازم السلام وموجبة وهو الثناء عليهم وما جعل لهم من لسان الصدق الذي لأجله إذا ذكروا سلم عليهم، وقال.... وفي قراءة ابن مسعود: ﴿ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ ﴾ بالنصب وهذا يدل على أن المتروك هو السلام نفسه.

وقال الزمخشري: ﴿ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ من الأمم هذه الكلمة وهي: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ ﴾ يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له.

إلى أن قال: الخامس قال: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ فأخبر سبحانه أن هذا السلام عليه في العالمين، ومعلوم أن هذا السلام فيهم هو سلام العالمين عليه كلهم يسلم عليه ويثني عليه ويدعو له فذكره بالسلام عليه فيهم.

واخبر أن هذا المتروك على نوح هو عام في العالمين وأن هذه التحية ثابتة فيهم جميعا لا يخلون منها فأدامها عليه في الملائكة والثقلين طبقا بعد طبق وعالما بعد عالم مجازاة لنوح عليه السلام بصبره وقيامه بحق ربه وبأنه أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض...... وقولهم أن هذا قول ابن عباس فقد تقدم أن ابن عباس وغيره

إنما أرادوا بذلك أن السلام عليه من الثناء الحسن ولسان الصدق فذكروا معنى السلام عليه وفائدته والله سبحانه أعلم.

وأما الصلاة عليهم فذكر أحاديث مرفوعة عن أبي هريرة وابن عباس أن النبي ﷺ قال صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم كما بعثني رواها الطبراني وفي لباب عن انس لكنها ضعيفة، قال ابن القيم: وقد حكى غير واحد الإجماع على أن الصلاة على جميع النبيين مشروعة منهم الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله وغيره وقد حكي عن مالك رضي الله عنه رواية أنه قال لا يصلى على غير نبينا ﷺ ولكن قال أصحابه هي مؤولة بمعنى أنّا لم نتعبد بالصلاة على غيره من الأنبياء كما تعبدنا الله بالصلاة عليه ﷺ اه مختصرا.

قال ا لمصنف: (أما بعد: أعلم) هذه كلمة يؤتى بها للتنبيه والحث مثل قوله أنتبه.

قال ا لمصنف: (اعلم رحمك الله) وقال عب: (أرشدك الله) فدعاء المصنف بالرحمة ورأى أنها أقرب فمن رحمة الله للمسلم أن يُعلمه ما ينفعه، والحفيد دعاء بالرشد ورأى أنها أقرب فمتى أرشد الله العبد إلى علم فقد حصل له الرشد، والمعنى متقارب لكن الدعاء بالرشد أقرب للسياق، والدعاء بالرحمة أعلم وأشمل فكل له وجه، والله أعلم.

ومرة جمع المصنف بينهما في رسالة واحدة، فقال في الدرر (١ / ١٥٨) اعلم رحمك الله، ثم قال فاعلم أرشدك الله: أن الشرك، هو الذي ملأ الأرض، ويسمونه الناس الاعتقاد في الصالحين اه.

وقول عب: (أرشدك الله) أي فالله هو المرشد لك، وهل يضاف الرشد إلى الله وإذا أضيف هل هو إضافة اسم أم صفة أم فعل إلى الموصوف؟.

عند بعض أهل العلم أن المرشد من أسماء الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ وكما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ وقال تعالى عن الجن: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ قال القرطبي إن من أسماء الله المرشد[1]، وجاء ذكره من طريق عبد الملك بن محمد الصنعاني عند ابن ماجه في السنن (٢ / ٣٤٧) وفي جمع القرطبي [2] اسم الراشد، وجاء اسم الرشيد من طريق الوليد بن مسلم عند الترمذي والبيهقي في الأسماء والصفات، وابن منده في كتابه التوحيد (٢ / ١٢٨)، وأبي نعيم، وفي جمع القرطبي والسعدي في آخر الجزء الخامس من تفسيره، وذكره ابن القيم في النونية. وابن العربي في كتابه إحكام القرآن (٢/ ٨١٢).

قول المصنف: (أن الله خلق الخلق ليعبدون) اللام في يعبدوه هي لام كي تسمى لام التعليل يعني كي يعبدوه قول المصنف: (ولا يشركوا به شيئًا) فالله خلقهم لشيئين:

أ. عبادة الله.

ب. عدم الشرك.

وذكر الصنف الدليل على ذلك: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أداة الحصر. هي ما وإلا فهما من أدوات الحصر. ومن أسلوب الحصر. وأساليب الحصر.

---

(١) راجع كتاب معتقد أهل السنة في أسماء الله تأليف د. محمد التميمي ص ٣١١، ٢٨٤، ٢٨٥.

(٢) جمع القرطبي وهو كتاب الاسنى في أسماء الله الحسنى

كثيرة ومنها إنما، وتقديم ما حقه التأخير وفائدة أسلوب الحصر. دليل على أن الله لم يخلقنا إلا لغاية واحدة وهي العبادة وعدم الإشراك.

قول المصنف: (والعبادة هي التوحيد لأن الخصومة بين الأنبياء والأمم فيه كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ المصنف فسر. العبادة بالتوحيد مع أن العبادة تطلق على غير التوحيد، فالصلاة عبادة والزكاة عبادة..الخ نقول اختار المصنف أفضل العبادة، وهذا تفسير الشيء ببعض أجزاءه أو أفراده وهذا شيء مقبول إذا كان هذا الشيء مهما، واختار التوحيد لأنه أعظم شيء وأحيانًا يسمى هذا تفسيرا تضمن لأن التوحيد ضمن العبادة وتفسير الشيء ببعض أفراده جاءت به السنة مثل حديث: «الحج عرفة» مع أن الحج أعم من عرفة لكن عرفة أهم أفراده.

❁ ❁ ❁

فصل

قال المصنف والتوحيد: ثلاثة أصول؛ (وعب قال ثلاثة أنواع) توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الذات، (الذات هنا لم يذكره عب) والأسماء، والصفات.

الشرح:

هذا هو تقسيم التوحيد المشهور وهو التقسيم الثلاثي، ومن العلماء من قسمه تقسيما ثنائيا:

١- توحيد علمي وأحيانًا يضاف عليه خبري أو اعتقادي.

٢- توحيد عملي وأحيانًا يضاف عليه إيرادي طلبي أو قصدي، قال الحفيد عبد الرحمن مرة (٢ / ٢٢٩) وهذا هو توحيد الإلهية، وتوحيد العبادة، وتوحيد القصد والإرادة اهـ.

وهذا التقسيم لابن القيم ووافق المصنف عليه في بعض رسائله وجرى عليه أئمة الدعوة، ذكره ابن القيم في مدارج السالكين والعلمي الخبري يشمل توحيدين: الربوبية والأسماء والصفات وأما العملي فيقصد به الألوهية.

والمصنف رحمه الله أحيانا يختصر. ويقول إن التوحيد ينقسم إلى قسمين: ربوبية وألوهية، ولا يذكر الأسماء والصفات اختصارا كما في الدرر (١ / ١٣٧) والتوحيد نوعان: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية اهـ.

وهناك من قسم التوحيد تقسيما ثلاثيا إلى توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد أسماء وصفات وهذا هو المشهور. وأيهم أفضل؟ هذا أجاب عنه الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في أول كتاب التفسير: فقال يجوز هذا

ويجـوز هـذا اهـ أي التقسـيم الثنـائي أو الثلاثـي لأن المعنـى صـحيح ولا مشـاحة في الاصطلاح. وهل يجوز أن تقول أن التوحيد رباعي التقسيم وتضيف توحيد الحاكمية.

يعنى إفراد الله بالحكم – والاهتمام بتوحيد الحاكمية وإفراده بالذكر لم يوجد إلا في القرون الأخيرة وهو في القرن الثالث عشر الهجري ولم يفرد إفرادا ظاهرًا إلا عندما وضعت القوانين الوضعية فجاء من يتكلم به وأن الحكم لله، وإن كانت بداياته ظهرت في عصر ابن تيمية وابن كثير في ياسق التتار.

نقول هناك من له موقف خاص لمن يتكلم عن توحيد الحاكمية وهو مبنى على انتقاد تيار معين (تيار الصحوة) أو بناه على حوادث معينة لم يبنه على أنها مسألة علمية، وقد صدرت فتاوى بتبديع من أحدث توحيد الحاكمية.

والصحيح أنه لابأس بأن نضيف توحيد الحاكمية، ولا يقال عنه مبتدع، والتبديع فيه خطأ، لأن الذين قسموا التوحيد تقسيمًا ثنائيا فجاء من قسمة ثلاثيًا فإذًا هو مبتدع على هذا القول!.

وهناك من أهل العلم من قسم التوحيد تقسيمًا خماسيًا وأضاف توحيد الإتباع فهل هذا مبتدع أيضًا!، والقاعدة أنه لا مشاحة في الاصطلاح إذا كان صحيحًا، ولو اقتضى. الواقع إبراز توحيد معين والاهتمام به وجعله قسمًا مستقلًا وإن كان داخلًا في الأقسام قبله فلا مانع وهذا له نظائر كثيرة، والحاكمية داخل في توحيد الأسماء والصفات ومبني على اسم الحكم كما في الحديث: «إن الله هو الحكم واليه الحكم» ومبني على التصرف وهو من معاني الربوبية أي التصرف في الأمر والنهي، فأي بدعة في ذلك؟ وإنما المبدّع إما مجتهد مخطئ . وهذا يقال لمن عرف عنه الصدق. أو جاهل ضال أو مرقّع للحكام المبدلين وبوق لهم.

ونقول أيضا هناك من أهل العلم من جعل شروط لا إله إلا الله سبعة، وبعضهم اجتهد وجعلها ثمانية فذكر شرط الكفر بالطاغوت، مع أنه موجود ضمن الشروط السبعة لكن نظرا لأهميته فصله عن شرط المحبة وجعله مستقلا. فهذا عند بعض هؤلاء مبتدعا؟.

ومثل ذلك الإيمان فبعض السلف جعله من كلمتين هو قول وعمل، فلما أحدث أهل البدع كلاما قال بعضهم هو قول وعمل واعتقاد، فلما تكلم المرجئة في العمل قال السلف هو اعتقاد وقول وعمل بالأركان فأضافوا كلمة الأركان للتوضيح وبعضهم جعله قول وعمل واعتقاد ونية وبعضهم أضاف واتباع.

وكل ما سبق صحيح لكن كل ما اقتضى المقام التوضيح أو الأهمية زاد السلف بقد ذلك، وهي ليست زيادة مخترعة لكنها موجودة في كلام من سبق وجود إجمال وتداخل. فعلى قاعدة بعض هؤلاء من زاد عن كلمتين في الإيمان فهو مبتدع.

مع أن من الأفضل استقرار الاصطلاحات وان لا يُولّد منها فتكثر وتطول، واستقرارها على ثلاثة أكمل (الربوبية الألوهية الأسماء والصفات) وعلموا ذلك بالتتبع والاستقراء والنظر في الآيات والأحاديث فوجدوا أن التوحيد لا يخرج عن هذه الأنواع الثلاثة فنوّعوا أو أصّلوا التوحيد إلى ثلاثة أصول أو أنواع، ولا يخرج أي تقسيم عن هذه الثلاثة، ولا يُفرد ويُلّد نوع إلا قد أُخذ من أحد الثلاثة، لذا كان أقرب التقسيمات إلى كونه جامعا مانعا دقيقا وافيا بالغرض، والله أعلم.

لكن من الخطأ تخطئة من قال قولا صحيحا هو ضمن كلام من سبقه بناء على مقررات سابقة ومقاصد فاسدة، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

فصل

قال المصنف والتوحيد: ثلاثة أصول؛ (وعب قال ثلاثة أنواع) توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الذات، (الذات هنا لم يذكره عب) والأسماء، والصفات.

الشرح:

التوحيد مصدر، والمصدر هو ما يجيء ثالثًا في تصريف الفعل فإذا أردت أن تعرف المصدر فضعه من الفعل المضارع ثم من فعل الأمر الثالث منه يسمى مصدرا، مثل وحد (ماضي) ويوحد (مضارع) توحيدًا (مصدر) مثل كتب يكتب كتابة، فتوحيد مصدر على وزن تفعيل.

وكلمة توحيد معناها الإفراد أي: جعل الشيء واحدا هذا هو الأساس سواء كان في الأسماء والصفات أو الربوبية أو الألوهية، والأساس الآخر: لا يصح التوحيد إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى الموحد وإثباته له، فينفي الألوهية عما سوى الله ﷻ ويثبتها لله وحده، وذلك أن النفي المحض تعطيل محض. وهو الذي وقع فيه الجهمية المحضة والدهرية، وحديثا الشيوعية والعلمانية التقليدية. والإثبات المحض لا يمنع مشاركة الغير في الحكم، فلو قلت مثلا (فلان قائم) فهنا أثبت له القيام لكنك لم توحده به لأنه من الجائز أن يشاركه غيره في هذا القيام ولو قلت فلانا ليس بقائم فقد نفيت نفيا محضا ولم تثبت القيام لأحد فإذا قلت لا قائم إلا زيد فحينئذ تكون وحدت زيدا بالقيام حيث نفيت القيام عمن سواه وهذا هو معنى التوحيد فلا يكون توحيدا حتى يتضمن نفيا وإثباتا.

وتعريف التوحيد بشكل عام هو: إفراد الله بما هو من خصائصه وما هو له وما يستحقه من أسمائه وصفاته والربوبية والألوهية.

أما على التفصيل فكلمة توحيد الربوبية أضاف التوحيد إلى الربوبية وهنا التقدير في أي توحيد في الربوبية أي إفراد الله في شيء خاص وهي الربوبية، وكذا إفراده بالألوهية وأسمائه وصفاته كما قلنا في الربوبية تماما.

ولا بد في الإفراد من إثبات ونفي، فتثبت له الربوبية والألوهية ثم تنفي ذلك عن غيره، ولا يصح الإثبات إلا بالنفي.

قال المصنف في الدرر (٣ / ١٩): الرب، والإِلَه، في صفة الله تبارك وتعالى، متلازمة، غير مترادفة؛ فالرب، من الملك، والتربية بالنعم؛ والإِلَه، من التأله، وهو القصد، لجلب النفع، ودفع الضر بالعبادة؛ وكانت العرب تطلق الرب على: الإِلَه، فسموا معبوداتهم أربابًا، لأجل ذلك، أي: لكونهم يسمون الله ربًا، بمعنى إلهًا، والله أعلم.

مسألة: ومن فعل التوحيد يُسمى موحدا كما أن من فعل الشرك يُسمى مشركا، قال المصنف في الدرر (١ / ١٦٨) وأكبر المعروف، وأوجبه، أول ما فرض الله، وهو: التوحيد: اسم لفعلك إن كانت أعمالك كلها لله فأنت موحد، فإن كان فيها شرك للمخلوق، فأنت مشرك.

والمصنف جعل التوحيد مبني على أصول فقال والتوحيد ثلاثة أصول والحفيد قال أنواع، ولا مشاحة في الاصطلاح ما دام أن كل ذلك صحيح. وإن كان كلمة أصل في باب التوحيد أدق وأحسن من كلمة نوع لعظم شأن التوحيد ولأنه ينبني عليه أمور أخرى فهو أساس.

مسألة في ترتيب أصول التوحيد أو أنواعه:

هذه مسألة خلافية بين أهل العلم في ترتيب ذلك وبأيها يبدأ على النحو التالي:

أ . بعضهم يهتم بالترتيب فيبدأ بتوحيد الأسماء والصفات لأنه الأصل ثم يجعل بعده توحيد الربوبية لأنه من الأسماء وهو الرب وصفة الربوبية منه ثم الألوهية لأنها من لازم ذلك ومبنية عليهما، وهذا ترتيب منطقي عقلي صحيح وقوي، قال الحفيد سليمان في كتابه التيسير في أوله وتوحيد الربوبية والألوهية من لازم توحيد الأسماء والصفات، ولذلك أهل العلم يقولون إن توحيد الأسماء والصفات والربوبية هما العلمي الخبري الاعتقادي اهـ، وإذا كان كذلك فهو لا بد أن يسبق توحيد الألوهية لأنه عملي قصدي، والعلم والاعتقاد يسبق العمل الذي هو توحيد الألوهية. وقال المصنف في ذلك: في الدرر (٢ / ٧٣) فإذا عرفت هذا، معرفة جيدة: تبين لك غربة الدين؛ وقد استدل عليهم سبحانه بإقرارهم بتوحيد الربوبية، على بطلان مذهبهم، لأنه إذا كان هو المدبر وحده، وجميع من سواه لا يملكون مثقال ذرة، فكيف يدعونه، ويدعون معه غيره، مع إقرارهم بهذا. وأما توحيد الصفات: فلا يستقيم توحيد الربوبية، ولا توحيد الألوهية، إلا بالإقرار بالصفات، لكن الكفار: أعقل ممن أنكر الصفات، والله أعلم. وقال المصنف في الدرر (١ / ١١٢).

ورد عليهم . أي أهل الكلام . أهل السنة بأدلة كثيرة، منها: أن التوحيد لا يتم إلا بإثبات الصفات؛ وأن معنى الإله: هو المعبود؛ فإذا كان هو سبحانه متفردًا به، عن جميع المخلوقات، وكان هذا وصفًا صحيحًا، لم يكذب الواصف به، فهذا يدل

على الصفات، فيدل على العلم العظيم، والقدرة العظيمة؛ وهاتان الصفتان: أصل جميع الصفات، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾.

فإذا كان الله قد أنكر عبادة، من لا يملك لعباده نفعًا ولا ضرًا، فمعلوم: أن هذا يستلزم بحاجة العباد ناطقها، وبهيمها؛ ويستلزم: القدرة على قضاء حوائجهم؛ ويستلزم الرحمة الكاملة، واللطف الكامل، وغير ذلك من الصفات؛ فمن أنكر الصفات، فهو معطل؛ والمعطل: شر من المشرك؛ ولهذا كان السلف، يسمون التصانيف، في إثبات الصفات: كتب التوحيد، وختم البخاري صحيحه بذلك، قال: كتاب التوحيد؛ ثم ذكر للصفات بابًا.

فنكتة المسألة: أن المتكلمين يقولون: التوحيد لا يتم إلاّ بإنكار الصفات؛ فقال أهل السنة: لا يتم التوحيد إلاّ بإثبات الصفات وتوحيدكم، هو: التعطيل؛ ولهذا آل هذا القول لبعضهم إلى إنكار الرب تبارك وتعالى، كما هو مذهب ابن عربي، وابن الفارض، وفئام من الناس، لا يحصيهم إلاّ الله فهذا بيان لقولك هل مراده الصفات؟ أو الأفعال؟ فبين السلف: أن العبادة إذا كانت كلها لله عن جميع المخلوقات فلا تكون إلاّ بإثبات الصفات والأفعال فتبين إن منكر الصفات، منكر بحقيقة الألوهية، لكن لا يدري، وبين لك: أن من شهد أن لا إلّه إلاّ الله، صدقًا من قلبه، لا بد أن يثبت الصفات، والأفعال، ولكن العجب العجاب: ظن إمامهم الكبير، أن الألوهية، هي القدرة وأن معنى قولك: لا إلّه إلاّ الله؛ أي: لا يقدر على الخلق إلاّ الله! اهـ.

قال الحفيد عبد الرحمن في الدرر (٢ / ٢٢٢) قال ابن القيم فصل: عظيم النفع، جليل القدر؛ ينتفع به: من عرف نوعي التوحيد، القولي، العلمي، الخبري؛ والتوحيد: القصدي، الإرادي، العملي؛ إلى أن قال: والتوحيد العلمي، أساسه: إثبات الكمال للرب، ومباينته لخلقه، وتنزيهه عن العيوب، والنقائص، والتمثيل؛ والتوحيد العملي، أساسه: تجريد القصد، بالحب، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والإستعانة، والاستغاثة، والعبودية بالقلب، واللسان، والجوارح، لله وحده.

ومدار: ما بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، على هذين التوحيدين، وأقرب إلى الله: أقومهم بهما علمًا، وعملا؛ ولهذا: كانت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، أقرب الخلق إلى الله، وأقربهم إليه وسيلة، أولوا العزم، وأقربهم: الخليلان؛ وخاتمهم: سيد ولد آدم، وأكرمهم على الله؛ لكمال عبوديته، وتوحيده.

فهذان الأصلان، هما قطب رحى الدين، وعليهما مداره، وبيانهما من أهم الأمور؛ والله سبحانه: بينهما غاية البيان، بالطرق العقلية، والنقلية، والفطرية والنظرية، والأمثال المضروبة؛ ونوع سبحانه: الطرق بإثباتهما كل التنوع، بحيث صار معرفة القلوب الصحيحة، والفطر السليمة لهما، بمنزلة: رؤية العين المبصرة، التي لا آفة بها، للشمس، والقمر، والنجوم، والأرض والسماء؛ فذلك للبصيرة، بمنزلة هذه للبصر.

فإن تسلط التأويل على التوحيد: الخبري، العلمي، كان تسليطه على التوحيد: العملي، القصدي، أسهل، وانمحت رسوم التوحيد، وقامت معالم التعطيل، والشرك؛ ولهذا: كان الشرك، والتعطيل متلازمين، لا ينفك أحدهما عن

صاحبه؛ وإمام المعطلين المشركين: فرعون؛ فهو إمام كل معطل، ومشرك، إلى يوم القيامة، كما أن إمام الموحدين: إبراهيم، ومحمد عليهما السلام اهـ.

ب. ومنهم من يبدأ بالألوهية لأنها الأهم وهو الذي خلق الخلق من أجلها وبعثت الرسل له، هذان هما أشهر الترتيبات وأحسنها، والأول أرجح وأحسن وهي طريقة القرآن فإنه يبدأ بذكر صفات الله وربوبيته التي يُقرون بها ثم يُطالبهم بإفراده بالعبادة وهو توحيد الألوهية، مثل ذلك الآيات التي سوف تمر علينا إن شاء الله في توحيد الربوبية ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ .. أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ فبدأ بالربوبية وطالبهم بلازم الربوبية وهو توحيد الألوهية.

إلا أن المصنف لم يختر إحدى هاتين الطريقتين إنما بدا بالربوبية ثم الألوهية ثم الأسماء والصفات وهذه طريقة مرجوحة، بل من أضعف الطرق جعل توحيد الأسماء والصفات هو الأخير.

وتابعه على ذلك الحفيد هنا فقد آخر توحيد الأسماء والصفات وجعله الثالث وبدأ بتوحيد الربوبية وانتهى بتوحيد الأسماء والصفات، وكما قلنا سابقا إن بعض أهل العلم يهتم بالترتيب فيجعل الأصل أولًا ثم يجعل اللازم ثانيًا ثم لازمه ثالثا وهذا أحسن في الترتيب وإن كان لا مشاحة في الاصطلاح لأن غاية ما هنالك هو أفضل ومفضول فقط، لكن من ناحية الترتيب الحسن أولًا أن يبدأ بالأسماء والصفات لأنه هو الأصل ثم بعد ذلك بالربوبية لأن توحيد الربوبية في الحقيقة جزء من توحيد الأسماء والصفات لأن اسم الرب هذا أسم من أسماء الله والصفة منه الربوبية ولذلك الأحسن أن يؤتي بالربوبية بعد الأسماء والصفات ثم يؤتي بتوحيد الألوهية لأنه من لازم الإيمان بالأسماء والصفات والربوبية بأن يفرده بالعبادة.

إلا أن جعل توحيد الأسماء الصفات في آخر المراتب ليس بوجيه لأن أصل التوحيد هو توحيد الأسماء والصفات فالأولي تقديمه على الربوبية على كل حال لكن يبقى الألوهية هل تبقى الأولى أو الأخيرة الأمر يسير وإن كان الأحسن منهجيًا جعلها الأخيرة لأنها من لوازم الأسماء والصفات والربوبية.

مسألة: وقال في الدرر (٢ / ٦٥) في العلاقة بين توحيد الربوبية وبين الألوهية، وما يتعلق بالعبادات المرتبط بالربوبية أو الألوهية فقال: فأما توحيد الربوبية، فهو: الأصل ولا يغلط في الإلهية إلا من لم يعطه حقه، كما قال تعالى، فيمن أقر بمسألة منه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾.

ومما يوضح لك الأمر: أن التوكل من نتائجه، والتوكل من أعلى مقامات الدين، ودرجات المؤمنين؛ وقد تصدر الإنابة والتوكل من عابد الوثن بسبب معرفته بالربوبية، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾ وأما عبادته سبحانه بالإخلاص دائمًا، في الشدة والرخاء، فلا يعرفونها وهي نتيجة الآلهية، وكذلك الإيمان بالله واليوم الآخر، والإيمان بالكتب، والرسل وغير ذلك؛ وأما الصبر والرضا، والتسليم والتوكيل، والإنابة، والتفويض، والمحبة، والخوف، والرخاء، فمن نتائج توحيد الربوبية، وكذلك توحيد الإلهية، هو: أشهر نتائج توحيد الربوبية؛ وهذا وأمثاله لا يعرف إلا بالتفكر، لا بالمطالعة، وفهم العبارة.

وأما الفرق بينهما: فإن أفرد أحدهما مثل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾ فهو توحيد الإلهية؛ وكذلك إذا أفرد توحيد الإلهية، مثل قوله: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ وأمثال ذلك؛ فإن قرن بينهما فسرت كل لفظة بأشهر معانيها، كالفقير، والمسكين.

وأما ما ذكرت من أهل الجاهلية: كيف لم يعرفوا الإلهية إذا أقروا بالربوبية؟ هل هو كذا؟ أو كذا؟ أو غير ذلك؟ فهو: لمجموع ما ذكرت، وغيره.

وأعجب من ذلك: ما رأيت، وسمعت، ممن يدعى أنه أعلم الناس، ويفسر القرآن، ويشرح الحديث بمجلدات، ثم يشرح البردة ويستحسنها، ويذكر في تفسيره، وشرحه للحديث: أنه شرك! ويموت ما عرف ما خرج من رأسه! هذا: هو العجب العجاب؛ أعجب بكثير من ناس لا كتاب لهم، ولا يعرفون جنة، ولا نارًا، ولا رسولًا، ولا إلهًا؛ وأما كون: لا إله إلا الله، تجمع الدين كله، وإخراج من قالها من النار، إذا كان في قلبه أدنى مثقال ذرة، فلا إشكال في ذلك.

وسر المسألة: أن الإيمان يتجزأ، ولا يلزم إذا ذهب بعضه أن يذهب كله، بل هذا مذهب الخوارج، فالذي يقول: الأعمال كلها، من: لا إله إلا الله، فقوله الحق، و الذي يقول: يخرج من النار من قالها، وفي قلبه من الإيمان مثقال ذرة، فقوله الحق، السبب مما ذكرت لك، من التجزي، وبسبب الغفلة عن التجزي: غلط أبو حنيفة، وأصحابه في زعمهم، أن الأعمال ليست من الإيمان، والسلام اهـ.

❁ ❁ ❁

فصل

قال المصنف: الأصل الأول: توحيد الربوبية، وهو: الذي أقر به المشركون (عند عب الكفار) في زمن رسول الله ﷺ، ولا أدخلهم (عند عب ولم يدخلهم) في الإسلام، وقاتلهم رسول الله ﷺ، واستحل دماءهم، وأموالهم.

وهو: توحيد الله بفعله، والدليل عليه، قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ وقوله: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ والآيات على هذا كثيرة جدًا، أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر.

الشرح:

الربوبية صفة لأن الاسم منها رب، ومعنى الربوبية إفراد الله بأفعاله تعالى بالملك والتصرف والتدبير والخلق والرزق والإحياء والإماتة هذه معاني الرب.

قال المصنف في الدرر (١ / ١٣٧) أما توحيد الربوبية، فهو الذي أقرت الكفار به، ولم يكونوا به مسلمين، وهو الإقرار بأن الله الخالق الرزاق، المحيي المميت، المدبر لجميع الأمور، والدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾.

وقال مرة مما يصلح لباب الربوبية والألوهية قال في الدرر (١ / ١٥١) إذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي الله فإذا قيل لك: ايش معنى الرب؟ فقل: المعبود، المالك، المتصرف، فإذا قيل لك: ايش معنى الله؟ فقل معناها: ذو الألوهية، والعبودية على خلقه أجمعين. فإذا قيل لك: لأي شيء الله خلقك؟ فقل: لعبادته. فإذا قيل لك: ايش عبادته؟ فقل: توحيده، وطاعته. فإذا قيل لك ايش الدليل على ذلك؟ فقل، قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.

فإذا قيل لك: ايش أول ما فرض الله عليك؟ فقل كفر بالطاغوت، وإيمان بالله؛ والدليل على ذلك قوله: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

ومعنى لا إله: نفي وإلا الله: إثبات. فإذا قيل لك ايش أنت ناف؟ وايش أنت مثبت؟ فقل: ناف جميع ما يعبد من دون الله، ومثبت العبادة لله وحده لا شريك له. فإذا قيل لك: ايش الدليل على ذلك؟ فقل، قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ هذا دليل النفي ودليل الإثبات ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾.

فإذا قيل لك: ايش الفرق: بين توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية؟ فقل: توحيد الربوبية، فعل الرب مثل الخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وإنزال المطر، وإنبات النباتات، وتدبير الأمور؛ وتوحيد الإلهية: فعل العبد، مثل الدعاء، الخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والرغبة، والرهبة، والنذر، والاستغاثة، وغير ذلك من أنواع العبادة.

فإذا قيل لك: ايش دينك؟ فقل: ديني الإسلام، وأصله، وقاعدته: أمران؛ الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه، والإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه وتكفير من فعله وهو مبنيّ على خمسة أركان: شهادة أن لا إلَه إلاّ الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت مع الاستطاعة اهـ.

أ. فتوحيد الربوبية تفرده بالملك فلا تجعل معه مالكا. ب. وتفرده بالتصرف والتدبير فلا تجعل معه متصرفا ولا مدبرا. ج. وتفرده بالخلق فلا تجعل معه خالقًا. د ـ وتفرده بالرزق فلا تجعل معه رازقا، وهكذا بقية أفعاله تعالى السابقة من والأحياء والإماتة.

ثم فسر المصنف توحيد الربوبية فقال: (فهو) هو هنا ضمير يعود على توحيد الربوبية قال المصنف: (الذي أقر به المشركون. عند عب الكفار) أثبت لهم الإقرار فهم يقرون وهل هذا الإقرار بقلوبهم أم بألسنتهم؟ أما إقرار اللسان فواضح من الآيات التي ستمر علينا ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ بقي القلب هل هم مقرون بقلوبهم؟ بمعنى أنهم يقولون الله الخالق كذبًا، عند أهل السنة شيء وعند أهل البدع شيء آخر أما أهل البدع فيقولون هم مقرون باللسان فقط أما بقلوبهم فهم مكذبون، ما هو الدليل؟ قالوا لو قلنا أنهم صادقون بقلوبهم وألسنتهم لكانوا مؤمنين، والله أخبر أنهم كفار، وهذا القول مبنى على عدم التفريق بين الألوهية والربوبية.

فيقال لأهل البدع إذا كانوا يقولونه بألسنتهم دون قلوبهم فهذا نفاق والنفاق لم يظهر في ذلك الوقت والعرب الكفار أقوياء ليسوا بحاجة لمنافقة الرسول، أما أهل السنة فيقولون هم يقرون بالقلب واللسان.

بقيت مسألة: إذا قلنا أنهم يقرون بقلوبهم وألسنتهم أن الله هو الرب والمتصرف والرزاق في هذه الآيات فهناك آيات تدل على أنهم غير مقرين ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ فأثبتوا أن الدهر يهلك وهذا نوع من التصرف وهو أن الدهر يميت.

دليل آخر: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ فكانوا إذا نزل عليهم المطر قالوا أنزله النجم الفلاني فكيف نجيب على هذا التعارض؟.

الجواب: أن يقال أن الذين يثبتون ربوبية الدهر طائفة من العرب وطائفة تثبت ربوبية النجوم والباقي يقرون بالله ﷻ بأنه المتفرد بالربوبية، وجمع آخر أن يقال تُجعل على المواضع أي في باب دون باب ففي باب الدهر غير موحدين وفي باب إنزال المطر غير موحدين وفي الأبواب الأُخرى هم مقرون، وكلا الجمعين صحيح.

وهنا جمع ثالث أن يقال هم مقرون بأصل صفة الربوبية من التصرف والتدبير والخلق، لكن بعض أفراد الصفة وهي أفراد قليلة لا يُقرون بها، فمثلا يقرون أن الله هو المحيي والمميت لكن إعادة الأرواح في الآخرة لا يقرون به وهذا إنكار لفرد من أفراد هذه الصفة وهكذا في الخلق والرزق.

وهنا نقول نعم المشركون يقرون بتوحيد الربوبية قلبًا ولسانًا إلا طائفة منهم في مسائل أو في بعض أفراد الصفة، أما الأغلبية فهم يقرون.

مسألة: في أنواع توحيد الربوبية:

قال أبا بطين: قال شيخنا عبد الرحمن: الدرر (٢ / ٣٠٧) وأما أنواعه، فمنها: الشرك في الربوبية، وهو: نوعان، شرك التعطيل، كشرك فرعون؛ وشرك الذي حاج إبراهيم في ربه؛ ومنه شرك طائفة ابن عربي، ومنه شرك من عطل أسماء الرب سبحانه، وأوصافه، من غلاة الجهمية، ومنه: شرك من جعل مع الله إلهًا آخر، ولم يعطل ربوبيته كشرك النصارى، الذين جعلوه ثالث ثلاثة اهـ.

قال المصنف: (هو الذي أقر به المشركون) وكلمة أقر أحسن وأدق من كلمة آمن، يقال أقر به ولا يقال آمن به، مع أنه يجوز قول أنهم آمنوا بالربوبية لقوله تعالى ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ فيجوز أن نقول هم مؤمنون إذا قرنتها بالشرك فتقول هم مؤمنون بالربوبية مشركون بالألوهية، أما عند عدم الاقتران فنقول هم مقرون ولا نقل مؤمنين.

وقول المصنف: (المشركون) أحسن من قول الحفيد: (الكفار) لأن السياق عمن جعل مع الله شريكا في الألوهية مع أنه مقر بالربوبية.

قال المصنف: هو الذي أقر به المشركون، الألف والام هل هي للعموم أم للخصوص؟

القاعدة أنك إذا أرد أن تعرف أنها للعموم فاحذف الألف واللام وضع كلمة كل فإن صلح التعبير فهي للعموم وإذا لم يصلح فهي للخصوص، وهنا لو وضعنا كل المشركين فلا يصح التعبير، فإذا الآلف واللام هنا للخصوص لكن خصوص أغلبي لأن بعض المشركين من غير العرب في زمن الرسول ﷺ غير مقرين بالربوبية مثل المجوس والثنوية فإنهم يؤمنون بخالقين.

قال المصنف: (ولا أدخلهم في الإسلام) هم أقروا لكن لم ينتفعوا بذلك الإقرار، ولا نافية فلا يسمون مسلمين، وهل إذا لم يدخلهم في الإسلام هل أدخلهم في الإيمان، لأنه ذكر الإسلام ولم يذكر الإيمان؟ الجواب: طبيعي، لا، لأن الإسلام إذا أُفرد دخل فيه الإيمان فلم يدخلهم لا في الإسلام والإيمان، بل إذا لم يدخلوا في الإسلام فعدم دخولهم في الإيمان من باب أولى لأنه أخص من الإسلام.

قال المصنف: (وقاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دمائهم وأموالهم) أي مع أنهم مقرون بالربوبية قاتلهم أيضًا مع هذا الإقرار لأنه لا ينفع لوحده، والمصنف أخبر أنهم لمّا لم يأتوا بالألوهية وإنما أتوا بالربوبية ترتب على ذلك أمور:

أ. أمر يتعلق بالأسماء فنفى عنهم اسم الإسلام، فمن لم يأت بالألوهية وإنما أتى بالربوبية فقط فليس بمسلم، وهذا الكلام عام سواء في المشرك الأصلي أو من يدعي القبلة وهو يفعل الشرك الأكبر فليس بمسلم سواء كان جاهلا أم متأولا أم معاندا أم من أهل الفترة، قال ابن تيمية في الفتاوى (٢٠ / ٣٨): اسم المشرك ثبت قبل الرسالة اهـ. ب. ما يتعلق بالأحكام من المقاتلة واستباحة الدماء والأموال فهذا ثابت للمشركين أن قامت عليهم الحجة.

وقد يشكل أنه كيف قاتلهم الرسول لمّا أشركوا بالألوهية في أول الدعوة في وقت الضعف وعدم شرعية القتال؟ فالجواب: أنه لم يدخلهم في الإسلام هذا أولا ثم لمّا هاجر قاتلهم، ثم أيضا المصنف لم يرد أن يبين حكم القتال هنا إنما أراد أن يبين أهمية توحيد الألوهية وأن الربوبية لوحدها لا تكفى، هذا المقدار الذي أراد المصنف توضيحه هنا فقط.

قال المصنف: (وهو توحيده بفعله تعالى) توحيده بفعله أي إفراد الله بأفعاله، وأفعال الله كثيرة ولا تحصى. فأسماء الله وصفاته وأفعاله لا تحصى. كما في

الحديث (وبكل اسم استأثرت به في علم الغيب عندك) ومن أفعال الله الخلق والإماتة والرزق وإنزال لمطر والتدبير والتصرف والملك.... الخ، وهكذا كلها أفعال. والله يُثبت له الأفعال كما قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ لكن هنا أفعاله المختصة بالربوبية فلا يدخل معنا هنا مثلا صفة أن الله ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، لأن هذا متعلق بتوحيد الأسماء والصفات لا توحيد الربوبية، وهنا لم يقصده المصنف وسوف يأتي الكلام عليه.

ثم ذكر المصنف دليلا على ذلك والدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ الآية﴾ أي قل يا محمد وقل يا موحد لهؤلاء، قل من يرزقكم من السماء والأرض؟ الجواب: فسيقولون الله إذن هنا أقروا بالرزق ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ فسيقولون الله، فأقروا بملكه للسمع والبصر، ومن يخرج الحي من الميت والميت من الحي؟ فسيقولون الله هنا أقروا بانفراده بالإحياء والإماتة ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ وهذا من عطف العام على الخاص، إذًا هم أقروا بالرزق لله وملك السمع والأبصار وأنه يحي ويميت ويدبر الأمر، هذه خمسة أشياء أقروا بها بنص الآية، أحدها عام وهو التدبير للأمور، فهل هم يقولونه بقلوبهم وألسنتهم؟ على مذهب السلف بقلوبهم وألسنتهم، وعلى مذهب أهل البدع بألسنتهم فقط نفاقا.

الآية الثالثة: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ هذه واحدة ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ هذه ثانية ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ هذه ثالثة وهي من عطف العام على الخاص، لأن قوله كل شيء هذا هو العموم، ثم قال ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ وهذه رابعة، فسيقولون الله، فذكر الله في هذه الآية أربعة

أمور. وخمسة أمور في الآية الأولى، هذه تسعة أشياء أقروا بها، وبالتفصيل تصل إلى اثنتي عشرة مسألة.

ثم قال المصنف: (والآيات على هذا كثيرة جدا....) فدل على أن ما ذكره هو على وجه الإجمال.

قال المصنف في بيان معاني الربوبية قال في الدرر (٢ / ١٢٥) قال ﷺ: وهو نوعان؛ توحيد: الربوبية؛ وتوحيد: الألوهية؛ أما توحيد: الربوبية، فأقر به الكافر، والمسلم؛ وأما توحيد: الألوهية، فهو: الفارق بين الكفر، والإسلام؛ فينبغي لكل مسلم: أن يميز بين هذا، وهذا، ويعرف: أن الكفار لا ينكرون، أن الله هو الخالق، الرازق، المدبر؛ قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ الآية وقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾.

فإذا تبين لك: أن الكفار يقرون بذلك، عرفت: أن قولك، لا يخلق، ولا يرزق إلا الله، ولا يدبر إلا الله؛ لا يصيرك مسلماً، حتى تقول: لا إله إلا الله، مع العمل بمعناها؛ فهذه الأسماء، كل واحد منها، له معنى يخصه.

أما قولك: الخالق، فمعناه: الذي أوجد جميع مخلوقاته، بعد عدمها؛ وأما قولك: الرازق، فمعناه: أنه لما أوجد الخلق، أجرى عليهم أرزاقهم؛ وأما المدبر، فهو الذي تنزل الملائكة من السماء إلي الأرض بتدبيره، وتصعد إلى السماء بتدبيره؛ ويسير السحاب، بتدبيره، وتصرف الرياح بتدبيره، وكذلك جميع خلقه، هو الذي يدبرهم، على ما يريد؛ فهذه الأسماء، التي يقر بها الكفار متعلقة بتوحيد الربوبية.

وأما توحيد: الألوهية، فهو قولك: لا إله إلا الله؛ وتعرف معناها، كما عرفت معنى الأسماء المتعلقة بالربوبية، فقولك: لا إله إلا الله، نفي، وإثبات؛ فتنفي: الألوهية كلها، وتثبتها لله وحده؛ فمعنى: الإله، في زماننا: الشيخ، والسيد. الذي يقال فيهما، أو غيرهما: سر؛ ممن يعتقد فيهم أنهم: يجلبون منفعة؛ أو: يدفعون مضرة؛ فمن اعتقد في هؤلاء، أو غيرهم، نبيا كان أو غيره، فقد اتخذه إلها من دون الله.

فإن بني إسرائيل: لما اعتقدوا في عيسى ابن مريم، وأمه، سماهما الله إلهين؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ ففي هذا دليل على أن من اعتقد في مخلوق، لجلب منفعة، أو دفع مضرة، فقد: اتخذه إلها؛ فإذا كان الاعتقاد في الأنبياء، هذا حاله، فما دونهم أولى.

وأيضا: فإن من تبرك بحجر، أو شجر، أو مسح على قبر، أو قبة يتبرك بهم، فقد: اتخذهم آلهة؛ والدليل على ذلك: أن الصحابة لما قالوا للنبي ﷺ: اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، يريدون بذلك التبرك، قال: «**الله أكبر: إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده، كما قالت بنوإسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾**».

فمثل: قول الصحابة في ذات أنواط، بقول بني إسرائيل، وسماه إلها؛ ففي هذا: دليل على أن من فعل شيئا مما ذكرنا، فقد اتخذه إلها.

قضايا معاصرة: هناك في عصرنا الحاضر من لا يؤمن بالربوبية كليًا مثل بعض العلمانيين الذي ينسبون الإيجاد للطبيعة ويسمون الطبيعيين، وأيضًا الشيوعيون لا يؤمنون بالربوبية يقولون لا إله أي لا رب والحياة مادة أي هي الرب، بل هناك في عصرنا الحاضر من يؤمن الحضارة الغربية وأنها هي الرب تصنع وتخلق ما تشاء وهناك من يؤمن بربوبية الأمريكان وأنهم رب العصر الحديث تتصرف في الدول حسب ما تريد فهي تدبر الأمر العالمي حسب توجه ما يسمى اليوم بالنظام العالمي الجديد وأحيانًا يسمى بالعولمة وهي في الحقيقة الأمركة (نسبة للأمريكان).

مسألة: في مَن فسر الألوهية بالربوبية وهو لا يفعل الشرك فما حكمه؟ هو مثل كلام المرجئة في تعريف الإيمان إذا كانوا لا يفعلون الكفر الأكبر والشرك، أما إذا فعلوا الشرك فلا .قال حسين، وعبد الله ابني الشيخ: محمد بن عبد الوهاب وحمد بن ناصر بن معمر في الدرر (٢ / ١٥٥) والشأن كل الشأن، في معرفة: حقيقة التوحيد، الذي بعث الله به رسوله، وبه يكون الرجل مسلما، مفارقا للشرك وأهله؛ وذلك: لأن كثيرا من المصنفين، إذا ذكر التوحيد لم يبينه، وقد يفسره بتوحيد الربوبية، الذي أقر به المشركون؛ ومنهم من يفسره: بتوحيد الذات، والصفات؛ وذلك وإن كان حقا، فليس هو المراد من توحيد العبادة، الذي هو معنى: لا إله إلا الله.

وكثير من المصنفين: يفسر الشرك، بالإشراك في توحيد الربوبية، الذي أقر به كفار العرب، وغيرهم من طوائف المشركين، كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ وقال: ﴿ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ إلى

غير ذلك من الآيات التي تدل على أن المشركين: يقرون بتوحيد الربوبية، وإنما الخلاف بينهم، وبين الرسول ﷺ هو في توحيد الإلهية، الذي هو توحيد العبادة؛ ولهذا لم يصيروا موحدين، بمجرد الإقرار بتوحيد الربوبية؛ فإياك أن تغتر بما أحدثه المتأخرون، وابتدعوه، كابن حجر: الهيتمي وأشباهه اهـ.

قال الحفيد عبد الرحمن (٢ / ٢١٩) ومما يبين: غربة الإسلام، وشدتها، ما جرى من الملوك، والقضاة، والرؤساء، على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، من العداوة، والحبس، وشدة الإنكار عليه، لما دعاهم إلى ماتضمنته: لا إله إلا الله، ومعناها، الذي تقدم عنه، وعن أمثاله من العلماء؛ وقد ردوا عليه، بشبهات واهية، وضلالات، في الضلال متناهية؛ رد عليهم رحمه الله تعالى في: منهاج السنة، واقتضاء الصراط المستقيم، وكتاب الاستغاثة، في الرد على ابن البكري: ورد على أهل البدع، جميعهم، من الفلاسفة، والمتكلمين، كالجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة.

وذكر رحمه الله: أن هؤلاء كلهم، وإن كثرت أبحاثهم، ومصنفاتهم، فما منهم من يعرف ما دلت عليه كلمة الإخلاص: «لا إله إلا الله» فلم يعرفوا التوحيد، الذي أثبتته، ولا الشرك، الذي نفته، هذا: معنى كلامه؛ ولتلميذه: العلامة ابن القيم، في بيان أنواع التوحيد، والرد على أهل البدع، المصنفات الكثيرة، المفيدة، فمن أحسنها: إغاثة اللهفان، وكتاب: الصواعق المرسلة، في الرد على الجهمية والمعطلة.

وللحافظ: ابن عبد الهادي: الصارم المنكي، في الرد على السبكي؛ ولهم أصحاب كثير، أخذوا عنهم؛ فلما طال الأمد بعدهم، صارت كتبهم، في أيدي أناس جهلة، وفي خزائن الكتب الموقوفة، فلم يلتفتوا إليها، فرجعوا إلى ماكان

عليه من قبلهم، ممن مضى من المبتدعة، وكثر الشرك في القري والأمصار؛ وصاروا: لا يعرفون من التوحيد إلا ما تدعيه الأشاعرة، من تأويل صفات الرب، والإلحاد فيها؛ فصاروا كذلك، حتى نسي العلم، وعم الشرك، والبدع اهـ.

وقال الحفيد عب في الدرر (١ / ٣٢٠): والأشاعرة: أخطأوا في ثلاث من أصول الدين، منها: تأويل الصفات، أيضًا: أخذوا ببدعة عبد الله بن كلاب، في كلام الرب تعالى وتقدس. وأخطأوا أيضًا: في التوحيد، ولم يعرفوا من تفسير لا إله إلا الله، إلا أن معناها القادر على الاختراع ودلالة لا إلَه إلاّ الله على هذا، دلاله التزام، لأن هذا من توحيد الربوبية الذي أقر به الأمم، ومشركوا العرب، كما قال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ الآيات وهي كثيرة في القرآن، يحتج تعالى عليهم بذلك، على ما أنكروه من توحيد الإلهية، الذي هو معنى لا إلَه إلاّ الله، مطابقة، وتضمنا إلى أن قال: فإذا كان العلماء في وقتنا هذا، وقبله، في كثير من الأمصار، ما يعرفون من معنى لا إله إلا الله، إلا توحيد الربوبية، كمن كان قبلهم في عصر. شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن رجب، اغتروا بقول بعض العلماء، من المتكلمين: إن معنى لا إلَه إلاّ الله، القادر على الاختراع، وبعضهم يقول، معناها:الغنى عمن سواه، المفتقر إليه ما عداه اهـ.

وقال الحفيد عب أيضا في الدرر (١ / ٣٢٤) ولا يخفاكم: أن شيخنا رحمه الله، لما تبيّن بهذه الدعوة الإسلامية، وجد العلماء في الأحساء وغيرها، لا يعرفون التوحيد من الشرك، بل قد اتخذوا الشرك في العبادة دينًا، فأنكروا دعوته لجهلهم بالتوحيد، ومعنى لا إله إلا الله، فظنوا: أن الإله، هو: القادر على الاختراع، وهذا وغيره من توحيد الربوبية حق، لكنه لا يدخل في الإسلام بدون توحيد الإلهية

وهى العبادة، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ والذي يبين لكم: أن العلماء ما عرفوا التوحيد ولا عرفوا هذا الشرك: كون أرباب القبور من الأموات تعبد، وتصرف الرغبات، والرهبات إليها ولا عالم من علماء الأحساء، أنكر هذا، بل قد صار إنكارهم: لإخلاص العبادة لله وحدة، ومن دعا إلى الإخلاص: كفّروه، وبدّعوه، ولا نعلم أحدًا من علماء الأحساء صدع بهذا الدين، وعرَفه، وعرّفه وهو دعوة الرسل، كما قال بعض السلف، كلمتان يسأل عنهم الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ فالدين في هاتين الكلمتين، والقرآن كله يقرر ذلك، يعرفه من تدبر اه.

وقال عب مرة أخرى أيضا في قال الدرر (١/ ٣٢٧) وقال إن من العلماء من غلط في مسمى التوحيد، الذي هو أصل الدين، وأساس الملة، كما قال شيخ الإسلام: أحمد بن تيمية، وقد غلط في مسمى التوحيد، طوائف من أهل النظر، ومن أهل العبادة، وطائفة ظنت: أن التوحيد نفى الصفات، وطائفة ظنت أنه: الإقرار بتوحيد الربوبية.

ومنهم: من أطال في تقرير هذا، وظن أنه بذلك قرر الوحدانية، وأن الألوهية: نفي القدرة على الاختراع، ونحو ذلك، ولم يعلم: أن مشركي العرب مقرون بذلك، وساق الأدله، كقوله: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.

وقال شيخنا شيخ الإسلام: محمد بن عبد الوهاب: رحمه الله من أعجب العجائب، وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغالب: ستة أصول، بينها الله

تعالى بيانًا واضحًا للعوام، فوق ما يظن الظانون، ثم بعد ذلك: غلط فيها أذكياء العالم، وعقلاء بنى آدم إلا أقل القليل.

الأصل الأول: إخلاص الدين لله وحده لا شريك له وبيان ضده، الذي هو: الشرك بالله وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل، من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة، ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار: أظهر لهم الشيطان الإخلاص، في صورة تنقص الصالحين، والتقصير في حقهم وأظهر لهم الشرك بالله، في صورة: محبة الصالحين، واتباعهم، انتهى كلامه رحمه الله.

وشبية به من وجة ما جاء في الدرر (٣ / ٢٠) عن أبناء الشيخ وابن معمر وورد عليهم سؤال، هذا نصه: بلغنا: أنكم تكفرون أناسًا من العلماء المتقدمين، مثل ابن الفارض، وغيره، وهو مشهور بالعلم، من أهل السنة؟.

فأجابوا: ما ذكرت أنا نكفر ناسًا من المتقدمين، وغيرهم، فهذا من البهتان الذي أشاعه عنا أعداؤنا، ليجتالوا به الناس عن الصراط المستقيم، كما نسبوا إلينا غير ذلك من البهتان أشياء كثيرة، وجوابنا عليها أن نقول: ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ ونحن لا نكفر إلا رجلًا عرف الحق وأنكره، بعد ما قامت عليه الحجة، ودُعي إليه فلم يقبل، وتمرد، وعاند، وما ذكر عنا من أنا نكفر غير من هذا حاله، فهو كذب علينا.

وأما: ابن الفارض، وأمثاله، من الاتحادية، فليسوا من أهل السنة، بل لهم مقالات، شنع بها عليهم أهل السنة، وذكروا أن هذه الأقوال المنسوبة إليه، كفريات، منها قول: ابن الفارض، في التائية، شعرًا:

وإن خر للأصنام في البيد عاكف   فلا تعني بالإِنكار للعصبية

وإن عبد النار المجوس فما انطفت كما جاء في الأخبار من ألف حجة
فما عبدوا غيري وما كان قصدهم سواي وإن لم يضمروا عقد نية

فمن أهل العلم من أساء به الظن، بهذه الألفاظ، وأمثالها، ومنهم من تأول ألفاظه، وحملها على غير ظاهرها، وأحسن فيه الظن [١]، ومن أهل العلم والدين، من أجرى ما صدر منه على ظاهره، وقال: هذه الأشعار ونحوها، تتضمن مذهب أهل الاتحاد؛ من القائلين بوحدة الوجود [٢]، والحلول، كقصيدته المسماة: نظم السلوك، ومثل كثير من شعر ابن إسرائيل، وابن عربي، وابن سبعين، والتلمساني، وما يوافقها من النثر، الموافق لمعناها.

فهذه الأشعار: من فهمها، علم أنها كفر وإلحاد، وأنها مناقضة للعقل والدين، ومن لم يفهمها، وعظم أهلها [٣]، كان بمنزلة من سمع كلامًا لا يفهمه، وعظمه، وكان ذلك من دين اليهود والنصارى، والمشركين؛ وإن أراد أن يحرفها ويبدل مقصودهم بها، كان من الكذابين البهاتين، المحرفين لكلم هؤلاء عن

---

(١) وهذان الطائفتان من العلماء يعذرون بجهل الحال، راجع جزء جهل والتباس الحال.

(٢) فيلحقهم الاسم لما قام بهم من ذلك الظاهر، بل إذا لحق النصارى اسم الشرك مع الجهل والتأويل لما قام بهم وهم أخف من الاتحادية، فقيامه بالاتحادية أشد، لكن بقي كفر التعذيب والقتل والقتال والتعزير ونحوه؟ فهذا كما قالوا أعلاه في كلامهم. ولا يعني ذلك أن أبناء الشيخ وطلابه يعتبرون ابن فارض والتلمساني وأمثالهم أنهم مسلمون أو لم يخرجوا عن الملة، فهذا جهل من قائله، فكيف يكون مسلما لله من اعتبر أن الله والمخلوقات متحدة، هذا خارج من الملة أشد من النصارى، لكنهم رحمهم الله لهم طريقة .وهي طريقة السلف. فيمن فعل الشرك مع تعظيمه لله. فما بالك بمن هو أشد من المشرك بل جمع الشرك والتعطيل. فهم رحمهم الله يجرون عليه اسم الشرك، وإذا كان زمنه قبل زمنهم ولا يعلمون أن الحجة قامت عليه كانوا لا يكفرونه ويقولون إن قامت عليه الحجة فهو كذا وان لم تقم فهو كذا، لكنه ليس بمسام فضلا عن مؤمن فضلا عن موحد بل هو خارج عن الملة.

(٣) جعل عدم الفهم وإحسان الظن بقائلها مانع.

مواضعه، فلا يعظم هؤلاء وكلامهم، إلا أحد رجلين: جاهل ضال، أو زنديق منافق [١]؛ وإلا فمن كان مؤمنًا بالله، ورسوله، عالمًا بمعاني كلامهم، لا يقع منه إلا بغض هذا الكلام وإنكاره، والتحذير منه، وهذا كقول ابن الفارض:

لها صلاتي في المقام أقيمها ... وأشهد فيها أنها لي صلت
كلانا مصل واحد ساجد إلى ... حقيقته بالجمع في كل سجدت
وما كان لي صلى سواي ولم تكن ... صلاتي لغيري في أداء كل ركعة
وما زلت إياها وإياي لم تزل ... ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت
إليّ رسولا كنت مني مرسلا ... وذاتي بآياتي علي استدلت
وقد رفعت تاء المخاطب بيننا ... وفي فرقها عن فرقة الفرق رفعت
فإن دعيت كنت المجيب وإن أكن ... منادى أجابت من دعاني ولبت
وإن نال بالتنزيل محراب مسجد ... فما نال بالإنجيل هيكل بعثت

وإن خر للأصنام... الخ. البيت السابق، وذكر أبياتًا لابن إسرائيل وغيره، ثم قال: وحقيقة قول هؤلاء أنهم قالوا في مجموع الوجود، أعظم مما قالته النصارى في المسيح، فإن النصارى ادعوا أن اللاهوت الذي هو الله، اتحد مع الناسوت وهو ناسوت المسيح، أو حل فيه، مع كفرهم الذي أخبر الله به، كما قال: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ﴾ فهم مع هذا الكفر، يقرون أن الله خلق السماوات والأرض، وأنه مغاير للسماوات والأرض، ويقولون: إنه قد حل في المسيح، واتحد به، وهؤلاء يقولون: بالحلول، والاتحاد، في جميع العالم،

---

(١) هذه القاعدة فيمن كان كافرا باطنا ويظهر الإسلام وأمره ملتبس، فالناس فيه إما جاهل ضال أو منافق زنديق.

ولا يقرون أن للعالم صانعًا مباينًا له، بل يقولون: وجود المخلوق، هو وجود الخالق؛ ويقولون في جميع المخلوقات، نظير قول النصارى في المسيح، لكن النصارى: يثبتون خالقًا كان مباينًا للمسيح، وهؤلاء لا يثبتون خالقًا مباينًا للمخلوقات، فقولهم أعظم حلولًا واتحادًا، وأكبر فسادًا وإلحادًا من قول النصارى انتهى.

فتأمل: كونه رحمه الله أطلق على هذا القول أنه كفر، ولم يتعرض لتكفير قائله، فافهم الفرق، لأن إطلاق الكفر على المعين، الذي لم تقم عليه الحجة، لا يجوز، وأظن هذا الإِمام الذي قال فيهم هذا الكلام رحمه الله، ظن أن الحجة لم تقم على قائل هذا الكلام، وأن ابن الفارض، وأمثاله، لجهالتهم: لا يعلمون ما في كلامهم، ومذهبهم من الكفر، ومن أحسن فيهم الظن، من العلماء، كما قدمنا، حمل كلامهم على محامل غير هذه، وأولها تأويلًا حسنًا، على غير ظاهرها.

وقال السائل، أيضًا: السنوسي المغربي، مصنف السنوسية، هو من أئمة أهل السنة والجماعة، وتكلم بالسنوسية المعروفة بعلم الصفات، فهل تنقمون عليه شيئًا من ذلك؟ الخ.

الجواب: السنوسي ليس من أئمة السنة والجماعة، فإن أهل السنة والجماعة، هم الذين نعتهم النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر «**أن بني إسرائيل افترقت على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي علي ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**» قالوا من هي يا رسول الله؟ قال: «**من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**» والسنوسي المذكور، صنف كتابه: أم البراهين، على مذهب الأشاعرة، وفيها أشياء كثيرة، مخالفة ما عليه أهل السنة، فإن الأشاعرة، قد خالفوا ما عليه السلف الصالح في مسائل: منها مسألة العلو، ومسألة الصفات، ومسألة الحرف والصوت.

فالسلف، والأئمة يصفون الله بما وصف به نفسه، في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، بل يثبتون ما أثبت لنفسه من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، ويعلمون أنه ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإنه كما أن ذاته ليست كالذوات المخلوقات، فصفاته ليست كالصفات المخلوقات، بل هو سبحانه موصوف بصفات الكمال، منزه عن كل نقص وعيب، فهم متفقون على أن الله فوق سماواته، على عرشه، بائن من خلقه، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته.

وقد قال مالك بن أنس: إن الله في السماء، وعلمه في كل مكان؛ وقالوا لعبد الله بن المبارك: بماذا نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سماواته، على عرشه، بائن من خلقه؛وقال أحمد بن حنبل كما قال هذا، وهذا؛ وقال الشافعي خلافة أبي بكر حق، قضاها الله فوق سماواته، وجمع عليها قلوب أوليائه، وقال الأوزاعي: كنا والتابعون متوافرون، نقول بأن الله فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته.

والسنوسي: قد خالف أئمة السنة، في هذه المسألة؛ وعبارته في أم البراهين، قال: ومما تستحيل في صفته تعالى: عشرون صفة، فذكر منها، وأن يكون في جهة؛ قال الشارح لها، وهو محمد بن عمر التلمساني، هذا أيضًا، من أنواع المماثلة المستحيلة، وهي: كونه تعالى في جهة، فلا يقال: إنه تعالى فوق العرش؛ فقد تبين لك مخالفته السلف الصالح؛ ومنها: مسألة الصفات، فإن السنوسي أثبت الصفات السبع، فقط.

وأما أهل السنة والجماعة: فيصفون الله بجميع ما وصف به نفسه، كما يليق بجلاله وعظمته، فيثبتون النزول، كما وردت بذلك السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل**» الخ؛ ويثبتون صفة اليدين، كما يليق بجلاله وعظمته، وكذلك صفة الوجه الكريم، كما يليق بجلاله وعظمته، وكذلك الضحك الذي وردت به السنة، والتعجب، والغضب، والرضى، والقبضتان، والأصابع؛ فيصفون الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله؛ ولا يفهمون من جميع ذلك، إلا ما يليق بالله وعظمته، لا ما يليق بالمخلوقات، من الأعضاء، والجوارح، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

فيحصل بذلك: إثبات ما وصف به نفسه في كتابه، وفي سنة رسوله ﷺ ويحصل أيضًا: نفي التشبيه، والتكييف في صفاته، ويحصل أيضًا: ترك التأويل، والتحريف، المؤدي إلى التعطيل، ويحصل أيضًا: إثبات الصفات على ما يليق بجلال الله وعظمته، لا على ما نعقله نحن من صفات المخلوقين؛ وأما الأشاعرة: فيؤلون النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله، فيؤلون الِاستواء، بالاستيلاء، والنزول، بنزول الأمر، واليدين، بالقدرتين، والنعمتين؛ والقدم، بقدم صدق؛ وأمثال ذلك.

وأما أهل السنة والجماعة، فيصفون الله بهذه الصفات، وغيرها، مما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يكيفون، ولا يشبهون؛ والكلام عندهم في الصفات، فرع على الكلام في الذات، فكما أن ذاته لا تشبه ذوات خلقه، فكذلك صفاته لا تشبه صفات خلقه، فإذا ثبت وصفه تعالى بالصفات السبع على ما يليق بجلاله، فكذلك باقي الصفات.

وأما: مسألة الحرف، والصوت، فتساق هذا المساق؛ فإن الله تعالى: قد تكلم بالقرآن المجيد، وبجميع حروفه، فقال: ﴿الٓمٓ﴾ وقال: ﴿الٓمٓصٓ﴾ وقال: ﴿قٓ﴾ وكذلك جاء في الحديث: «فينادي يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد، كما يسمعه من قرب» وفي الحديث: «لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» فهؤلاء، أي: الأشاعرة، ما فهموا من كلام الله، إلا ما فهموا من كلام المخلوقين، فقال: إذا قلنا بالحرف، أدى ذلك إلى القول بالجوارح، واللهوات؛ وكذلك: إذا قلنا بالصوت، أدى ذلك إلى الحلق، والحنجرة، عملوا في هذا من التخبيط، كما عملوا فيما تقدم من الصفات.

والتحقيق هو: أن الله تكلم بالحروف، كما يليق بجلاله وعظمته؛ فإنه قادر، لا يحتاج إلى جوارح، ولا إلى لهوات؛ وكذلك: له صوت كما يليق به، يسمع، ولا يفتقر ذلك الصوت المقدس، إلى الحلق والحنجرة؛ كلام الله يليق به، وصوته كما يليق به؛ ولا ننفي الحروف والصوت عن كلامه، لافتقارهما هنا إلى الجوارح، واللهوات فإنهما في جناب الحق: لا يفتقران إلى ذلك، وهذا ينشرح الصدر له، ويستريح الإنسان به، من التعسف والتكلف؛ لا قوله: هذا عبارة عن ذلك.

فإن قيل: هذا الذي يقرأ القارىء، هو عين قراءة الله، وعين تكلمه به هو؟ قلنا: لا، بل القارىء يؤدي كلام الله؛ والكلام إنما ينسب إلى من قاله مبتديًا، لا إلى من قاله مؤديًا مبلغًا، ولفظ القاري في غير القرآن مخلوق، وفي غير القرآن: لا يتميز اللفظ المؤدى عن الكلام المؤدي عنه؛ ولهذا: منع السلف، عن قول: لفظي بالقرآن مخلوق؛لأنه يتميز، كما منعوا عن قول: لفظي بالقرآن غير مخلوق؛ فإن لفظ العبد في غير التلاوة مخلوق، وفي التلاوة مسكوت عنه، لئلا يؤدي الكلام في ذلك إلى القول بخلق القرآن؛ وأما: ما أمر السلف بالسكوت عنه، فيجب السكوت عنه، انتهى من قول: بعض مشايخ الإِسلام.اهـ

وهذا أصل مهم وقبله قاله المصنف كما في الدرر (٢/ ١١١) واعلم رحمك الله: أن أشياء، من أنواع الشرك الأكبر، وقع فيه بعض المصنفين، على جهالة، لم يفطن له، من ذلك، قوله في البردة:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

وفي الهمزية: جنس هذا، وغيره أشياء كثيرة؛ وهذا من الدعاء، الذي هو من العبادة، التي لا تصلح إلا لله وحده؛ وإن جادلك بعض المشركين؛ بجلالة هذا القائل، وعلمه وصلاحه، وقال بجهله: كيف هذا؟ فقل له: أعلم منه وأجل، أصحاب موسى، الذين اختارهم الله، وفضلهم على العالمين، حين قالوا: ﴿يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ فإذا خفي هذا على بني إسرائيل، مع جلالتهم، وعلمهم، وفضلهم؛ فما ظنك: بغيرهم؟

وقل لهذا الجاهل: أصلح من الجميع وأعلم، أصحاب محمد ﷺ لما مروا بشجرة، قالوا يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، فحلف رسول الله ﷺ أن هذا: كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ ففي هذا: عبرتان عظيمتان.

الأولى: أن النبي ﷺ صرح، أن من اعتقد في شجرة، أو تبرك بها: أنه قد اتخذها إلهًا، وإلا فأصحاب رسول الله ﷺ يعرفون أنها لا تخلق، ولا ترزق، وإنما ظنوا أن النبي ﷺ إذا أمرهم بالتبرك بها، صار فيها بركة.

والعبرة الثانية: أن الشرك، قد يقع فيمن هو أعلم الناس، وأصلحهم، وهو لا يدري، كما قيل: الشرك أخفى من دبيب النمل؛ بخلاف قول الجاهل: هذا بين نعرفه؛ فإذا أشكل عليك من هذا شيء، وأردت بيانه من كلام أهل العلم،

وإنكارهم جنس الشرك، الذي حرمه الله، فهو موجود؛ وأعني كلام العلماء في هذا، إن أردت من الحنابلة، وإن أردت من غيرهم؛ والله أعلم.

وقالها مرة أخرى الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في الدرر (١ / ٢٣٤)، في الرسالة التي كتبها لما دخلوا مكة وفيها: بدخول مكة سنة ١٢١٨ ه فإن قال قائل منفر عن قبول الحق والإذعان له: يلزم من تقريركم، وقطعكم في أن من قال يا رسول الله، أسألك الشفاعة: أنه مشرك مهدر الدم؛ أن يقال بكفر غالب الأمة، ولا سيما المتأخرين، لتصريح علمائهم المعتبرين: أن ذلك مندوب، وشنوا الغارة على من خالف في ذلك! قلت: لا يلزم، لأن لازم المذهب ليس بمذهب، كما هو مقرر، ومثل ذلك: لا يلزم أن نكون مجسمة، وإن قلنا بجهة العلو، كما ورد الحديث بذلك.

ونحن نقول فيمن مات: تلك أمة قد خلت؛ ولا نكفر إلا من بلغته دعوتنا للحق، ووضحت له المحجة، وقامت عليه الحجة، وأصر مستكبرًا معاندًا، كغالب من نقاتلهم اليوم، يصرون على ذلك الإشراك، ويمتنعون من فعل الواجبات، ويتظاهرون بأفعال الكبائر، المحرمات؛ وغير الغالب: إنما نقاتله لمناصرته من هذه حاله، ورضاه به، ولتكثير سواد من ذكر، والتأليب معه، فله حينئذ حكمه في قتاله، ونعتذر عمن مضى: بأنهم مخطئون معذورون، لعدم عصمتهم من الخطأ، والإجماع في ذلك ممنوع قطعًا؛ ومن شن الغارة فقط غلط؛ ولا بدع أن يغلط، فقد غلط من هو خير منه، كمثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما نبهته المرأة رجع في مسألة المهر، وفي غير ذلك يعرف ذلك في سيرته، بل غلط الصحابة وهم جمع، ونبينا صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم، سار فيهم نوره، فقالوا اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

فإن قلت: هذا فيمن ذهل، فلما نبه انتبه، فما القول فيمن حرر الأدلة؟ واطلع على كلام الأئمة القدوة؟ واستمر مصرًا على ذلك حتى مات؟ قلت: ولا مانع أن نعتذر لمن ذكر، ولا نقول: إنه كافر، ولا لما تقدم أنه مخطىء، وإن استمر على خطئه، لعدم من يناضل عن هذه المسألة في وقته، بلسان وسيفه وسنانه، فلم تقم عليه الحجة، ولا وضحت له المحجة، بل الغالب على زمن المؤلفين المذكورين: التواطؤ على هجر كلام أئمة السنة في ذلك رأسًا؛ ومن اطلع عليه أعرض عنه، قبل أن يتمكن في قلبه؛ ولم يزل أكابرهم تنهى أصاغرهم عن مطلق النظر في ذلك، وصولة الملوك قاهرة لمن وقر في قلبه شيء من ذلك إلا من شاء الله منهم.

هذا: وقد رأى معاوية وأصحابه رضي الله عنهم منابذة أمير المؤمنين علي أبي طالب رضي الله عنه، وقتال، ومناجزته الحرب، وهم في ذلك مخطئون بالإجماع، واستمروا في ذلك الخطأ، ولم يشتهر عن أحد من السلف تكفير أحد منهم إجماعًا، بل ولا تفسيقه، بل أثبتوا لهم أجر الاجتهاد، وان كانوا مخطئين، كما أن ذلك مشهور عند أهل السنة.

ونحن كذلك: لا نقول بكفر من صحت ديانته، وشهر صلاحه، وعلم ورعه وزهده، وحسنت سيرته، وبلغ من نصحه الأمة، ببذل نفسه لتدريس العلوم النافعة والتأليف فيها، وإن كان مخطئًا في هذه المسألة أو غيرها، كابن حجر الهيتمي، فإنا نعرف كلامه في الدر المنظم، ولا ننكر سعة علمه، ولهذا نعتني بكتبه، كشرح الأربعين، والزواجر وغيرها؛ ونعتمد على نقله إذا نقل لأنه من جملة علماء المسلمين.

هذا ما نحن عليه، مخاطبين من له عقل وعلم، وهو متصف بالإنصاف، خال عن الميل إلى التعصب والاعتساف، ينظر إلى ما يقال، لا إلى من قال، وأما من شأنه: لزوم مألوفه وعادته، سواء كان حقًا، أو غير حق، فقلد من قال الله فيهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ عادته وجبلته أن يعرف الحق بالرجال لا الرجال بالحق، فلا نخاطبه وأمثاله إلا بالسيف، حتى يستقيم أوده، ويصح معوجه؛ وجنود التوحيد – بحمد الله – منصورة وراياتهم بالسعد والإقبال منشورة ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ اهـ.

فانتبه إلى هذا الأصل حتى لا تقع في تناقض وحتى تفهم كلام أئمة الدعوة في مثل هذا الأمر إذا مرّ عليك بعض نصوصهم وأشكل عليك. وراجع جزء أصل دين الإسلام وجزء أهل الأهواء والبدع وكتاب الطبقات.

ومسك الختام ما قاله الحفيد مما يدل على لحوق اسم الشرك إذا فعلوه دون اسم الكفر إذا لم نعلم أن الحجة قامت عليهم، فيلحقهم ما له ارتباط بالحجة دون ما ليس ارتباط، فقال الحفيد عبد الرحمن في الدرر (٢ /) ولهذا: أنكر كثير من أعداء الرسل في هذه الأزمنة، وقبلها، على من دعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، وجحدوا: ما جحدته الأمم المكذبة، من التوحيد؛ واقتدوا بمن سلف، من أعداء الرسل، في مسبتهم من دعاهم إلى إخلاص العبادة لله، ونسبته إلى الخطأ والضلال، كما رأينا ذلك في كلام كثير منهم، كـ «ابن كمال» المشهور بالشرك والضلال، وقد كمل في جهله وضلاله، وأتى في كلامه بأمحل المحال.

وقد اشتهر عنه بأخبار الثقات، أنه يقول؛ عبد القادر في قبره، يسمع، ومع سمعه ينفع، وما يشعره: أنه في قبره الآن رفات، كحال الأموات؛ وهذا قول شنيع، وشرك فظيع؛ ألا ترى أن الحي الذي قد كملت قوته، وصحت حاسة سمعه وبصره، لو ينادي من مسافة فرسخ، أو فرسخين، لم يمكنه سماع نداء من ناداه؟ فكيف يسمع ميت من مسافة شهر، أو شهرين، أو دون ذلك، أو أكثر؛ وقد ذهبت قوته، وفارقته روحه، وبطلت حواسه؟ هذا من أعظم ما تحيله العقول، وتنكره الفطر وفي كتاب الله ﷻ، ما يبطله، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ﴾ فأخبر الخبير جل وعلا: أن سماعهم ممتنع، واستجابتهم لمن دعاهم ممتنعة فهؤلاء المشركون، لما استغرقوا في الشرك، ونشؤوا عليه، أتوا في أقوالهم بالمستحيل، ولم يصدقوا الخبير في إخباره؛ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ فذكره تعالى: أنهم أموات، دليل على بطلان دعوتهم، وكذلك عدم شعورهم، يبين تعالى بهذا: جهل المشرك، وضلاله؛ فأحق ﷻ في كتابه الحق، وأبطل الباطل، ولو كره المشركون لكن هؤلاء، لما عظم شركهم: نزلوا الأموات في علم الغيب، منزلة علام الغيوب، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، وشبهوهم برب العالمين، سبحانه عما يشركون؛ قال الله تعالى: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ﴾ وليس عند هؤلاء الملاحدة: ما يصدون به العامة، عن أدلة الكتاب، والسنة، التي فيها النهي عن الشرك في العبادة، إلا قولهم: قال أحمد بن حجر الهيتمي، قال فلان، وقال فلان، يجوز

التوسل بالصالحين، ونحو ذلك من العبارات الفاسدة فنقول: هذا وأمثاله، ليسوا بحجة تنفع عند الله، وتخلصكم من عذابه؛ بل الحجة ما في كتاب الله، وسنة رسول ﷺ الثابتة عنه، وما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، وما أحسن ما قاله الإمام مالك رحمه الله: وكلما جاءنا رجل أجدل من رجل، نترك ما نزل به جبرائيل، على محمد ﷺ لجدله؟!

إذا عرف ذلك: فالتوسل يطلق على شيئين؛ فإن كان ابن حجر، وأمثاله: أرادوا سؤال الله بالرجل الصالح، فهذا ليس في الشريعة ما يدل على جوازه، ولو جاز لما ترك الصحابة السابقون الأولون، من المهاجرين، والأنصار رضي الله عنهم: التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته، كما كانوا يتوسلون بدعائه في حياته، إذا قحطوا وثبت عن أمير المؤمنين: عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه خرج بالعباس بن عبد المطلب، عام الرمادة، بمحضر من السابقين الأولين، يستسقون، فقال عمر: اللّهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، فأسقنا، ثم قال: ارفع يديك يا عباس، فرفع يديه يسأل الله تعالى؛ ولم يسأله بجاه النبي ﷺ ولا بغيره؛ ولو كان هذا التوسل حقًا، كانوا إليه أسبق، وعليه أحرص. فإن كانوا أرادوا بالتوسل: دعاء الميت، والاستشفاع به، فهذا هو شرك المشركين بعينه؛ والأدلة على بطلانه في القرآن كثيرة جدًا، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ فالذي له ملك السماوات والأرض، هو الذي يأذن في الشفاعة، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ وهو لا يرضى إلا الإخلاص في الأقوال والأعمال الباطنة، والظاهرة؛ كما صرح به النبي ﷺ في حديث أبي هريرة، وغيره؛ وأنكر تعالى على المشركين اتخاذ الشفعاء، فقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ فبين تعالى في هذه الآية: أن هذا شرك المشركين، وأن الشفاعة ممتنعة في حقهم، لما سألوها من غير وجهها، وأن هذا شرك نزه نفسه عنه، بقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ فهل فوق هذا البيان بيان؟ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ فكفرهم بطلبهم من غيره: أن يقربوهم إليه. وقد تقدم: بعض الأدلة على النهي عن دعوة غير الله، والتغليظ في ذلك؛ وأنه في غاية الضلال، وأنه شرك بالله، وكفر به، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ فمن أراد النجاة: فعليه التمسك بالوحيين، الذين هما حبل الله وليدع عنه: بنيات الطريق، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ وقد مثل النبي ﷺ: الصراط المستقيم، وخط خطوطًا عن يمينه وعن شماله، وقال: «**هذه هي السبل، وعلى كل سبيل شيطان يدعوا إليه**» والحديث في الصحيح وغيره، عن عبد الله بن مسعود؛ وكل من زاغ عن الهدى، وعارض أدلة الكتاب والسنة، بزخرف أهل الأهواء، فهو شيطان.

❁ ❁ ❁

فصل

والعاقل، إذا تأمل: ما عارض به أولئك الدعاة، إلى الشرك بالله في عبادته، كابن كمال، وغيره، من دعا الناس إلى إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، فالعاقل، يعلم: أن معارضتهم، قد اشتملت على أمور كثيرة.

الأمر الأول: أنهم أنكروا ما جاءت به الرسل، من توحيد العبادة، وما نزلت فيه الكتب الإلهية، من هذا التوحيد، فهم في الحقيقة: إنما عارضوا الرسل، والكتب المنزلة عليهم، من عند الله.

الأمر الثاني: تضمنت معارضتهم، قبول الشرك الأكبر، ونصرته، وهو: الذي أرسل الله رسله، وأنزل كتبه بالنهي عنه؛ وقد خالفوا جميع الرسل، والكتب، فهم في الحقيقة: قد أنكروا على من دان بهذا التوحيد، ودعا إليه من الأولين والآخرين.

الأمر الثالث: وقد تضمنت معارضتهم، أيضًا: مسبة من دعا إلى التوحيد، وأنكر الشرك أسوة أعداء الرسل كقوم نوح إذ قالوا: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ وقال قوم هود: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ وقول من قال: من مشركي العرب للنبي ﷺ: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا﴾ فالظلم والزور في كلام هؤلاء، المنكرين للتوحيد: أمر ظاهر، يعرفه كل عاقل منصف، فقد تناولت مسبتهم: كل من دعا إلى الإسلام، وعمل به من الأولين والآخرين، كما أن من كذب رسولًا بما جاء به من الحق، فقد كذب المرسلين، كما ذكره الله تعالى في قصص الأنبياء؛ فمن أنكر ما جاءت به الرسل، فهو: عدو لهم.

الأمر الرابع: وتضمنت معارضتهم، أيضا: الكذب والإفك، والبهتان، وزخرف القول في ذلك، أسوة أعداء الرسل، الذين قال الله فيهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ فهذه حال كل داعية إلي الشرك بالله في عبادته من الأولين والآخرين؛ فإذا تأمل اللبيب: ما زخرفوه، وأتوا به من الفشر، والأكاذيب، وجدها كما قال تعالى: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

والأمر الخامس: معارضة أولئك، للآيات المحكمات البينات، التي هي في غاية البيان والبرهان وبيان ما ينافي التوحيد من الشرك والتنديد، فعارضوا بقول أناس من المتأخرين، لا يجوز الاعتماد عليهم، في أصول الدين، فيقولون: قال بن حجر الهيتمي، قال البيضاوي، قال فلان؛ ولا ريب أن: الزمخشري، وأمثاله من المعطلة: أعلم من هؤلاء، وأدري في فنون العلم، لكنهم اخطؤوا كخطأ هؤلاء، وفي تفسير الزمخشري، من دسائس الاعتزال، ما لا يخفى، وليسوا بأعلم منه.

وعلى كل حال: فليسوا بحجة يعارض بها نصوص: الكتاب، والسنة، وما عليه سلف الأمة، وأئمتها من الدين الحنيف الذي هو ملة إبراهيم الخليل عليه السلام ودين الرسل الذي قال الله تعالى فيه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾، فأولئك المعارضون للحق ممن ذكرنا وأمثالهم: فيهم شبه بمن قال الله فيهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ وهذا على تقدير: أنهم أصابوا في النقل عنهم، ولعلهم أخطؤوا، وكذبوا عليهم، والله أعلم اهـ.

فصل

قال المصنف: والأصل الثاني: وهو توحيد الألوهية، فهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله بأفعال العباد، كالدعاء، والرجاء، والخوف، والخشية، والاستعانة، والاستعاذة، والمحبة، والإنابة، والنذر، والذبح، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والتذلل، والتعظيم (زاد عب التوكل ولم يذكر بعضها، وإنما ذكر منها تسعة، وفيه اختلاف في التقديم والتأخير).

فدليل الدعاء، قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الآية، وكل نوع من هذه الأنواع، عليه دليل من القرآن.

الشرح:

ومثل ما قلنا في توحيد الربوبية نقول في توحيد الألوهية، فتوحيد مصدر والمصدر ما يجي ثالثًا في تصريف الفعل وهو وحد يوحد توحيدًا أي إفراد الله بالألوهية، والإضافة هنا على تقدير في أي توحيد في الألوهية، والألوهية هي إفراد الله بالعبادة فيكون (توحيد الألوهية) إفراد العبودية لله فأي نوع من أنواع العبودية يكون لله وحده.

مسألة: وفي إعراب هذه الكلمة يتضح جليا معناها، قال الحفيد عبد الرحمن في الدرر (٢ / ٢٥٧)... الثاني: أن لا النافية للجنس، لها اسم وخبر، ولابد؛ فلا تتم فائدة اسمها إلا بخبرها، والخبر الجزء المتم للفائدة، فـ«لا» حرف نفي، و«إله» اسمها، مبني معها على الفتح، والخبر المقدر، وهو «حق» على الصحيح، كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ والخبر؛ وصف في المعنى، قيد في الإسم؛ وقد خص من الإلهية ما ليس بحق، وفائدته: إخراج الإله الحق من المنفي، لتخصيص

المنفي، بانتفاء حقيقته، وهذا ظاهر لمن له أدنى فهم، فالاستثناء من الخبر، المقيد في حقيقة المستثنى، وهو الله تعالى، دون ما يعبد من دونه، وكل ما يعبد من دونه، هو المنفي، بحرف النفي، فيكون النفي منصبًا على كل مألوه ليس بحق، وأما الحق، فثابت لم ينتف، بدليل الوصف المثبت له. الثالث: أن الآية، وهي قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ ﴾ فأتى بمعناها، نفيًا وإثباتًا، فيجري في مدلولها، ما جرى في الدال، وهو: لا إله إلا الله، فلا يجوز في قلب مسلم: أن يعتقد أن إبراهيم عليه السلام، تبرأ من معبوده، الذي فطره، بقوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾ ثم أثبته بقوله ﴿إِلَّا ﴾ هذا لا يقع اعتقاده من مسلم، عرف هذه الكلمة، ومعناها اهـ.

وقال عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى: ٢ / ٣٢٩ وقد غلط هنا بعض الأغبياء، وقدر الخبر: «موجود» وبعضهم قدره: «ممكن» ومعناه: أنه لا يوجد ولا يمكن وجود إله آخر؛ وهذا جهل بمعنى: الإله؛ ولو أريد بهذا الاسم: الإله الحق وحده، لما صح النفي من أول وهلة، والصواب: أن يقدر الخبر: «حق» لأن النزاع بين الرسل وقومهم، في كون آلهتهم حقًا، أو باطلاً؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ وأما إلهية الله: فلا نزاع فيها، ولم ينفها أحد ممن يعترف بالربوبية.

إلى أن قال: و«لا» هذه، هي: النافية للجنس، واسمها يبنى معها على الفتح، على المشهور، والخبر ما مر تقريره، و «إلا» أداء استثناء، وما بعدها هو المستثنى، وهو مرفوع، والعامل فيه هو العامل في الخبر؛ لأنه بدل منه عند البصريين، وعند الكوفيين: هو عطف نسق؛ قال ثعلب: كيف يكون بدلًا، وهو موجب ومتبوعه منفي، يريد أن التابع والمتبوع لابد أن يتوافقا نفيًا وإثباتًا، وأجيب عنه، بأنه بدل

منه في عمل العامل، وتخالفهما في النفي والإيجاب، لا يمنع البدلية؛ وأجاب: خالد الأزهري، بأن محل اشتراط ذلك، في غير بدل البعض.

قلت: وبما قالوه، يعلم: أن المستثنى مغاير للمستثنى منه، معنى، ولفظًا؛ فمن أجهل خلق الله، وأضلهم من فهم: دخول المثبت في المنفي، والمستثنى في المستثنى منه؛ فكيف يتوهم من يعقل ما يقول دخول: الإله الحق في اسم: «لا» المنفي؟! وهل بعد هذا التوهم من الضلال، أمد ينتهى إليه؟ وقد ترد «إلا» بمعنى: غير كما في قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ وذلك: إن كان الموصوف جمعًا، أو شبهه؛ ويؤيده، حديث الاستفتاح: «سبحانك اللّهم وبحمدك....... ولا إله غيرك» وعاقبت «غير»، «إلا» في هذا المحل، وهى: تفيد مغايرة ما قبلها لما بعدها بالذات، كما إذا قلت: جاءنى رجل غير زيد؛ وفى الصفات، كقولك: خرجت بوجه غير الذي دخلت به.

إلى أن قال في رده على الفارسي (٢ / ٣٣٢) وقال في رسالته: إن الإله وضع في اللغة للمعبود فقط، لا بقيد الحقيقة، أو البطلان؛ وهذه العبارة كذب على اللغة، فإن كتب اللغة بأجمعها دلت وقررت: أن الإله موضوع لكل معبود، وأدلة ذلك تعرف في مواضعها، فلا نطيل بذكرها.

وأيضًا: هذه العبارة فاسدة، من جهة المعنى فإنه لا يتصور ولا يوجد إله غير مقيد، ولا موصوف بحق أو باطل، هذا كلام لا يعقل، فكيف ينسب إلى اللغة، أو ينقل؛ فإن القسمة في مسمى الإله، ثنائية، إما حق أو باطل؛ وتجويز الثالث، مستحيل عقلا وشرعا، ولا يقول هذه العبارة إلا مخبول في عقله، جاهل في حكايته، ونقله.

إلى أن قال في الرد على الفارسي (٢ /) وقال في رسالته: إن الاستثناء، وقع من الإخراج المنوي، يريد به الجواب عن الاعتراض، الذي مر، وهو: أن كلمة التوحيد، على تقريره، لا تفيد النفي والإبطال لآلهة المشركين، ولكل ما عبد من دون الله، وأن المثبت، عين هذا المنفي، والمستثنى، نفس المستثنى منه.

وحاصل جوابه: أن الإخراج، والإبطال، وقع بالنية، فاستثنى من المنوي؛ وهذا: تصريح منه، بأن لا إله إلا الله، ما نفت، ولا أخرجت، ولا أبطلت شيئًا، إلا بالنية؛ وأنها لم تدل على التوحيد باللفظ، وهذا الجهل العريض الأكبر، لم يسبقه إليه سابق، ولم يقل به من يعرف معنى الكلام، حتى المشركون، يعرفون، ويفهمون من هذه الكلمة إبطال آلهتهم، ونفي استحقاقها للعبادة؛ ولذلك قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ فعرفوا النفي، أنه من اللفظ، وعرفوا معنى المقصود من الإله، وعرفوا المراد من الاستثناء، وكل هذا عرفوه بمجرد اللغة، وكونهم عربا؛ فجاء هذا الفارسي، الذي لا يعرف لغتهم، ولا يحسن شيئًا منها، فخبط خبط عشواء وهرول ولكنه في ظلماء؛ شعرًا

ما كل داع بأهل أن يصاخ له كم قد أصم بنعي بعض من ناحا

وهذا القول: لم يسبقه إليه عاقل، يفهم ما يقول؛ والنحاة مجمعون: على أن الاستثناء من المذكور، لفظه وحكمه، إلا أن السهيلي، قال لم يدخل المستثنى في المستثنى منه، بل الاستثناء أثبت حكما مستقلا مغايرا لما قبله، وقال بعضهم: الاستثناء أخرج من الحكم المذكور، لا من اللفظ، ومذهب الجمهور: أن الاستثناء من اللفظ والحكم معا، الاسم من الاسم، والحكم من الحكم، ومن الممتنع: إخراج الاسم المستثنى منه، مع دخوله تحته في الحكم، فإنه لا يعقل الإخراج حينئذ البتة، فإنه لو شاركه في حكمه، لدخل معه في الحكم والاسم جميعا، فكان

استثناؤه غير معقول ورد أهل هذا القول: زعم من زعم، أن المستثنى مسكوت عن حكمه قبل الاستثناء، نفيا وإثباتا، وأبطلوا ذلك من وجوه؛ منها أنك إذا قلت، ماقام إلا زيد، وماضربت إلا عمرا، ونحو ذلك من الاستثناءات المفرغة، لم يشك السامع: أن الأحكام المذكورة، أثبتت لما بعد «إلا» كما سلبت عن غيره؛ ولو قيل إنه مسكوت عنه، لما أفهم إثبات هذه الأفعال لما بعد «إلا» ومنها: أنه لو كان مسكوتا عنه، لم يدخل الرجل في الإسلام، بقول: لا إله إلا الله، لأنه على هذا التقدير الباطل، لم يثبت الإلهية لله؛ فهذه أعظم كلمة تضمنت بالوضع، نفي الإلهية عما سوى الله، وإثباتها لله بوصف الاختصاص؛ فدلالتها على إثبات الإلهية، أعظم من دلالة قولنا: الله إله؛ ولا يستريب أحد في هذا البتة، انتهى ملخصًا.

و قال الحفيد عبد الرحمن في الدرر (٢ / ٢٦٠) فتبين بهذا: أن لا إله إلا الله، نفت كل ما كان يعبد من دون الله، من صنم، ومن وثن، من حين حدوث الشرك في قوم نوح، إلى أن تقوم الساعة وهذا المعنى: أكثر أهل العلم يسلمونه ويعرفونه، حتى الخوارج، والرافضة، والمعتزلة، والمتكلمون، من كل أشعري، وكرامي، وما تريدي؛ وإنما اختلفوا في العمل، بلا إله إلا الله؛ فبعضهم يظن أن هذا في حق أناس كانوا فبانوا؛ فخفي عليهم حقيقة الشرك. وأما الفلاسفة، وأهل الاتحاد، فإنهم لا يقولون بهذا المعنى، ولا يسلمونه، بل يقولون: إن المنفي بلا إله إلا الله، كلي، لا يوجد منه في الخارج، إلا فرد، وهو الله، فهو المنفي، وهو المثبت؛ بناءً على مذهبهم، الذي صاروا به أشد الناس كفرًا، وهو قولهم: إن الله، هو الوجود المطلق؛ فلم يخرجوا من ذلك، صنمًا، ولا وثنًا وشبيه قولهم هذا: قول أهل وحدة الوجود، القائلين بأن الله تعالى، هو الوجود بعينه؛ فيقولون: إن المنفي، كلي،

والمثبت بقوله: «إلا الله» هو الوجود بعينه؛ ولا فرق عند الطائفتين، بين الخالق، والمخلوق، ولا بين العابد، والمعبود؛ كل شيء عندهم، هو الله، حتى الأصنام، والأوثان، وهو حقيقة قول هذا الرجل سواء.

فخذ قولي، واقبله، وفقك الله؛ فلقد عرفت بحمد الله، ما أرادوه من قولهم: إن المنفي كلي، لا يوجد منه في الخارج إلا فرد؛ ويدعي هذا مثل ما ادعته هذه الطائفة، أن تقدير خبر «لا» وهذه الكلمة لم توضع لتقرير الوجود؛ وإنما وضعت لنفي الشرك والبراءة منه وتجريد التوحيد كما دلت عليه الآيات المحكمات البينات، ودعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم. وتقدير خبر «لا» موجود؛ لا يجري إلا على مذهب الطائفتين، لعنهم الله، على قولهم: إن الله هو الموجود، فلا وجود إلا الله، فهذا معنى قوله: إنه كلي، لا يوجد منه في الخارج، إلا فرد؛ فغير المعنى، الذي دلت عليه لا إله إلا الله، من نفى جميع المعبودات التي تعبد من دون الله؛ والمنفي إنما هو حقيقتها، كما قال المسيح عليه السلام: ﴿مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾.

ولا ريب: أن كل معبود سوى الله، فهو باطل؛ والمنفي بلا إله إلا الله، هو المعبودات الباطلة، والمستثنى بإلا هو سبحانه، ويدل على هذا، قوله تعالى، في سورة الحج: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ الآية وقال في آخر السورة: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ وقال في سورة لقمان: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ فقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ فقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ هو المستثنى: إلا «الله» وهو الحق، وقوله: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ هو المنفي بلا إله، وما بعد هذا إلا التلبيس على الجهال، وإدخال الشك عليهم، في معنى كلمة الإخلاص، فكابر المعقول

والمنقول، بدفعه ما جاء به كل رسول. نسأل الله لنا ولكم علمًا نستضيء به من جهل الجاهلين، وضلال المضلين، وزيغ الزائغين؛ وفي الحديث: «**رب لاتزغ قلبي بعد إذ هديتني**» وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه، يقرأ في الركعة الأخيرة من المغرب: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ وهذا بحمد الله كاف في بيان الحق، وبطلان الباطل؛ وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين اهـ.

وقال في الدرر (١ / ١٠٣) واعلم: أن معنى الإله، هو: المعبود؛ هذا هو تفسير هذه اللفظة، بإجماع أهل العلم، فمن عبد شيئًا، فقد اتخذه إلهًا من دون الله، وجميع ذلك باطل، إلا إله واحد، وهو: الله وحده، تبارك وتعالى علوا كبيرًا.

قال الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن في الدرر (١ / ٥٢٧) والتوحيد، شهادة: أن لا إلَه إلاّ الله، ما دل عليه الكتاب المصدق، والإجماع المستنير المحقق، من نفي استحقاق العبادة، والإلهية عما سوى الله، وإثبات ذلك لله سبحانه، على وجه الكمال، المنافي لكليات الشرك، وجزئياته، وأن هذا: هو معناها، وضعًا، ومطابقة؛ خلافًا لمن زعم غير ذلك، من المتكلمين، كمن يفسر ذلك، بالقدرة على الاختراع، أو أنه سبحانه غني عما سواه، مفتقر إليه من عداه، فإن هذا لازم المعنى، إذ الإله الحق، لا يكون إلا قادرًا، غنيًا عما سواه؛ وأما كون هذا هو المعنى المقصود بالوضع، فليس كذلك.

والمتكلمون: خفي عليهم هذا، وظنوا أن تحقيق توحيد الربوبية، والقدرة، هو الغاية المقصودة، والفناء فيه، هو تحقيق التوحيد؛ وليس الأمر كذلك، بل هذا لا يكفي في أصل الإسلام، إلا إذا أضيف إليه، واقترن به، توحيد الألهية: إفراد الله

تعالى بالعبادة، والحب، والخضوع، والتعظيم، والإنابة، والتوكل، والخوف، والرجاء، وطاعة الله، وطاعة رسوله، هذا أصل الإسلام، وقاعدته؛ والتوحيد الأول، الذي عبروا به عنها، هو: توحيد الربوبية، والقدرة والخلق، والإيجاد، وهو الذي يبني عليه: توحيد العمل، والإرادة، وهو دليله الأكبر، وأصله الأعظم.

وكثيرًا ما يحتج به سبحانه على من صرف العمل لغيره، قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ الآيات، وقال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ الآية ومن نظر في تفاسير السلف، علم هذا.

وقد قرر ﵀ يقصد جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب، على شهادة أن محمدًا رسول الله - في بيان ما تستلزمه هذه الشهادة، وتستدعيه، وتقتضيه، من تجريد المتابعة، والقيام بالحقوق النبوية، من الحب، والتوقير، والنصرة، والمتابعة، والطاعة، وتقديم سنته ﷺ على كل سنة وقول؛ والوقوف معها حيث وقفت، والانتهاء حيث انتهت، في أصول الدين، وفروعه، باطنه، وظاهره، خفية، وجليه، كليه، وجزئيه اهـ.

وقال الحفيد عبد الرحمن (١ / ٣٤٣) ومعنى لا إلَه إلاّ الله: لا معبود بحق إلا الله؛ والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ فقوله: ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾ فيه معنى لا إله؛ وقوله: ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ فيه معنى إلا الله؛ وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فقوله: ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ﴾ فيه معنى لا إله وقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هو المستثنى لفظًا ومعنى، والآيات في معنى هذه الكلمة العظيمة كثيرة في القرآن اهـ.

وقال أيضا الحفيد عبد الرحمن (٢ / ٢٣٣) كثر الغلط في المتأخرين من هذه الأمة، في معنى هذه الكلمة، وسببه: تقليد المتكلمين الخائضين، فظن بعضهم أن معنى: لا إله إلا الله، إثبات وجود الله تعالى، ولهذا قدروا الخبر المحذوف في: لا إله إلا الله، وقالوا؛ لا إله: موجود، إلا الله؛ ووجوده تعالى: قد أقر به المشركون، الجاحدون لمعنى هذه الكلمة، وطائفة ظنوا أن معناها: قدرته على الإختراع وهذا: معلوم بالفطرة، وما يشاهد من عظيم مخلوقات الله تعالى، كخلق السماوات والأرض، وما فيهما من عجائب المخلوقات اهـ.

وقال المصنف في الدرر (١ / ١١٢) ليس المراد معرفة الإلّه، الإجمالية، يعنى: معرفة الإنسان، أن له خالقًا، فإنها ضرورية فطرية؛ بل معرفة الإله: هل هذا الوصف، مختص بالله؟ لا يشركه فيه ملك مقرب، ولا نبي مرسل؟ أم جعل لغيره قسط منه؟! فأما المسلمون، أتباع الأنبياء، فإجماعهم على أنه مختص، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾.

والكافرون يزعمون: أنه هو الإله الأكبر، ولكن معه آلهة أخرى تشفع عنده؛ والمتكلمون ممن يدعى الإسلام، لكن أضلهم الله عن معرفة الإله، فذكر عن الأشعرى، ومن تبعه: أنه القادر، وأن الألوهية هي القدرة، فإذا أقررنا بذلك، فهي معني قوله: لا إلُه إلا الله؟ ثم استحوذ عليهم الشيطان، فظنوا أن التوحيد لا يتأتى إلا بنفي الصفات، فنفوها، وسموا من أثبتها مجسمًا.

ورد عليهم أهل السنة بأدلة كثيرة، منها: أن التوحيد لا يتم إلا بإثبات الصفات؛ وأن معنى الإله: هو المعبود؛ فإذا كان هو سبحانه متفردًا به، عن جميع المخلوقات، وكان هذا وصفًا صحيحًا، لم يكذب الواصف به، فهذا يدل على

الصفات، فيدل على العلم العظيم، والقدرة العظيمة؛ وهاتان الصفتان: أصل جميع الصفات، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾.

فإذا كان الله قد أنكر عبادة، من لا يملك لعباده نفعًا ولا ضرًا، فمعلوم: أن هذا يستلزم بحاجة العباد ناطقها، وبهيمها؛ ويستلزم: القدرة على قضاء حوائجهم؛ ويستلزم الرحمة الكاملة، واللطف الكامل، وغير ذلك من الصفات؛ فمن أنكر الصفات، فهو معطل؛ والمعطل: شر من المشرك؛ ولهذا كان السلف، يسمون التصانيف، في إثبات الصفات: كتب التوحيد، وختم البخاري صحيحه بذلك، قال: كتاب التوحيد؛ ثم ذكر للصفات بابًا.

فنكتة المسألة: أن المتكلمين يقولون: التوحيد لا يتم إلاّ بإنكار الصفات؛ فقال أهل السنة: لا يتم التوحيد إلاّ بإثبات الصفات وتوحيدكم، هو: التعطيل؛ ولهذا آل هذا القول لبعضهم إلى إنكار الرب تبارك وتعالى، كما هو مذهب ابن عربي، وابن الفارض، وفئام من الناس، لا يحصيهم إلاّ الله فهذا بيان لقولك هل مراده الصفات؟ أو الأفعال؟ فبين السلف: أن العبادة إذا كانت كلها لله عن جميع المخلوقات فلا تكون إلاّ بإثبات الصفات والأفعال فتبين إن منكر الصفات، منكر بحقيقة الألوهية، لكن لا يدري، وبين لك: أن من شهد أن لا إلّه إلاّ الله، صدقًا من قلبه، لا بد أن يثبت الصفات، والأفعال، ولكن العجب العجاب: ظن إمامهم الكبير، أن الألوهية، هي القدرة وأن معنى قولك: لا إلّه إلاّ الله؛ أي: لا يقدر على الخلق إلاّ الله! اهـ.

وقال مرة في الدرر (٢ / ١١٢، ١١٣) عن افتراق الناس في هذه الكلمة، وقد ذكره أيضا في كشف الشبهات، قال: والحديث يفصح: أن لا إله إلا الله، لها لفظ ومعنى، ولكن الناس فيها ثلاث فرق؛ فرقة نطقوا بها وحققوها، وعلموا أن لها معنى وعملوا به، ولها نواقض فاجتنبوها.

وفرقة: نطقوا بها في الظاهر، فزينوا ظواهرهم بالقول، واستبطنوا الكفر والشك. وفرقة نطقوا بها، ولم يعملوا بمعناها، وعملوا بنواقضها، فهؤلاء ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾.

فالفرقة الأولى، هي: الناجية، وهم المؤمنون حقًا؛ والثانية، هم: المنافقون؛ والثالثة، هم: المشركون؛ فلا إله إلا الله: حصن، ولكن نصبوا عليه منجنيق التكذيب، ورموه بحجارة التخريب، فدخل عليهم العدو، فسلبهم المعنى، وتركهم مع الصورة؛ وفي الحديث: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأبدانكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**» سلبوا معنى: لا إله إلا الله، فبقي معهم لقلقة باللسان، وقعقعة بالحروف، وهو ذكر الحصن لا مع الحصن، فكما أن ذكر النار لا يحرق، وذكر الماء لا يغرق، وذكر الخبز لا يشبع، وذكر السيف لا يقطع، فكذلك ذكر الحصن لا يمنع.

فإن القول: قشر، والمعنى: لب، والقول: صدف، والمعنى: در؛ ماذا يصنع بالقشر مع فقدان اللب؟! وماذا يصنع بالصدف مع فقدان الجوهر؟!. لا إله إلا الله، مع معناها، بمنزلة الروح من الجسد، لا ينتفع بالجسد دون الروح، فكذلك لا ينتفع بهذه الكلمة دون معناها.... فمن قال: لا إله إلا الله، وهو عابد لهواه، ودرهمه، وديناره، ودنياه، ماذا يكون جوابه يوم القيامة لمولاه؟ ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾.

تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطى رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش».

إذا قلت: لا إله إلا الله، فإن كان مسكنها منك اللسان لا ثمرة لها في الثمرة، فأنت منافق؛ وإن كان مسكنها منك القلب، فأنت مؤمن، وإياك أن تكون مؤمنًا بلسانك دون قلبك، فتنادى عليك هذه الكلمة في عرصات القيامة، إلهي صحبته كذا وكذا سنة، فما ت ما اعترف بحقي، ولا رعى لي حرمتي، حق رعايتي؛ فإن هذه الكلمة: تشهد لك، أو عليك.

.... لا إله إلا الله: شجرة السعادة؛ إن غرستها في منبت التصديق، وسقيتها من ماء الإخلاص، ورعيتها بالعمل الصالح، رسخت عروقها، وثبت ساقها، واخضرت أوراقها، وأينعت ثمارها، وتضاعف أكلها ﴿تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَا﴾.

وإن غرست هذه الشجرة، في منبت التكذيب، والشقاق، وأسقيتها بماء الرياء، والنفاق، وتعاهدتها بالأعمال السيئة، والأقوال القبيحة، وطفح عليها غدير العذر، ولفحها هجير هجر، تناثرت ثمارها، وتساقطت أوراقها، وانقشع ساقها، وتقطعت عروقها، وهبت عليها عواصف القذر، ومزقتها كل ممزق ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾.

فإذا تحقق المسلم هذا، فلا بد معه من تمام بقية أركان الإسلام، كما في الحديث الصحيح: «بنى الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام، من

استطاع إليه سبيلا، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين» وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

وقال مرة في تعريف اله قال في الدرر (٢ / ٧٢، ٧٣) وأما توحيد الألوهية، فهو: إخلاص العبادة لله وحده من جميع الخلق؛ لأن الإله في كلام العرب، هو الذي يقصد للعبادة، وكانوا يقولون: إن الله هو إله الآلهة، لكن يجعلون معه آلهة أخرى، مثل الصالحين، والملائكة، وغيرهم؛ يقولون: إن الله يرضى هذا، ويشفعون لنا عنده.

فإذا عرفت هذا، معرفة جيدة: تبين لك غربة الدين؛ وقد استدل عليهم سبحانه بإقرارهم بتوحيد الربوبية، على بطلان مذهبهم، لأنه إذا كان هو المدبر وحده، وجميع من سواه لا يملكون مثقال ذرة، فكيف يدعونه، ويدعون معه غيره، مع إقرارهم بهذا.

وأما توحيد الصفات: فلا يستقيم توحيد الربوبية، ولا توحيد الألوهية، إلا بالإقرار بالصفات، لكن الكفار: أعقل ممن أنكر الصفات، والله أعلم.

قال المصنف في تعريف توحيد الألوهية قال في الدرر (١ / ١٣٧) واعلم: أن التوحيد في العبادة، هو الذي خلق الله الخلق لأجله، وأنزل الكتاب لأجله، وأرسل الرسل لأجله، وهو أصل الدين، الذي لا يستقيم لأحد إسلام إلا به.

وأما توحيد الألوهية: فهو إخلاص العبادة كلها بأنواعها لله، فلا يدعى إلاّ الله، ولا يرجى إلاّ هو ولا يستغاث إلاّ به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا ينذر إلاّ له ولا يذبح ذبح القربات إلاّ له وحده لا شريك له والدليل على ذلك الآيات الكريمات؛ وهذا: هو معنى لا إلَه إلاّ الله، فإن إلا له، هو المألوه، والمعبود؛ فمن جعل الله إلهه وحده، وعبده دون من سواه من المخلوقين، فهو المهتدى اه.

ثم ذكر المصنف أنواع العبادة فقال: ومن أنواع العبادة، كالدعاء، والذبح، والنذر، والتوكل، والاستغاثة، والإنابة اهـ.

و المصنف زاد أنواعا من العبادات في مواضع أخرى مثل ما قال في أنواع العبادة في الدرر (١ / ١٢٨) وأنواع العبادة التي أمر الله بها، مثل: الإسلام، والإيمان الإحسان ومنه الدعاء والخوف والرجاء والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة،، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾.

وزاد مرة كالاستنصار وأمثاله فقال: في الدرر (١ / ٨٤) إذا عرف هذا، فمعلوم: ما قد عمت به البلوى، من حوادث الأمور، التي أعظمها الإشراك بالله، والتوجه إلى الموتى وسؤالهم النصر على الأعداء، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات، التي لا يقدر عليها إلا رب الأرض والسموات؛ وكذلك التقرب إليهم بالنذور، وذبح القربان، والاستغاثة بهم في كشف الشدائد، وجلب الفوائد، إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله، وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله: كصرف جميعها، لأنه سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا، كما قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾.

فأخبر سبحانه: أنه لا يرضى من الدين إلا ما كان خالصًا لوجهه؛ وأخبر: أن المشركين يدعون الملائكة، والأنبياء والصالحين، ليقربوهم إلى الله زلفى،

ويشفعوا لهم عنده، وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار؛ فكذبهم في هذه الدعوى، وكفرهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فأخبر: أن من جعل بينه وبين الله وسائط، يسألهم الشفاعة، فقد عبدهم، وأشرك بهم اهـ.

وقال مرة بالاعتكاف من أنواع العبادة وأيضا التبرك قال في الدرر (٢ / ٩) ومن نوع هذا الشرك: الاعتكاف على قبور المشهورين بالنبوة، أو الصحبة، أو الولاية، وشد الرحال إلى زيارتها، لأن الناس يعرفون الرجل الصالح، وبركته، ودعاءه، فيعكفون على قبره، ويقصدون ذلك؛ فتارة: يسألونه؛ وتارة: يسألون الله عنده؛ وتارة: يصلون ويدعون الله عند قبره.اهـ.

وزاد السجود في موضع أخر فقال في الدرر (١ / ١٠٣) والعبادة: أنواع كثيرة؛ لكني أمثلها بأنواع ظاهرة، لا تنكر، من ذلك: السجود؛ فلا يجوز لعبد، أن يضع وجهه على الأرض، ساجدًا، إلا لله وحده لا شريك له لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا لولي.

ومن ذلك: الذبح؛ فلا يجوز لأحد، أن يذبح إلا لله وحده؛ كما قرن الله بينهما في القرآن، في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ والنسك، هو: الذبح؛ وقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ فتفطن لهذا.

و اعلم: أن من ذبح لغير الله، من جنى، أو قبر، فكما لو سجد له؛ وقد لعنه رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح، قال: «**لعن الله من ذبح لغير الله**».

ومن أنواع العبادة: الدعاء؛ كما كان المؤمنون، يدعون الله وحده، ليلًا، ونهارًا، في الشدة، والرخاء؛ لا يشك أحد، أن هذا من أنواع العبادة؛ فتفكر ـ رحمك الله ـ فيما حدث في الناس اليوم، من دعاء غير الله، في الشدة، والرخاء؛ هذا: يريد سفرًا، فيأتي عند قبر، أو غيره، فيدخل عليه بما له عمن ينهبه؛ وهذا تلحقه: الشدة، في البر، أو البحر؛ فيستغيث بعبد القادر، أو شمسان، أو نبي من الأنبياء، أو ولي من الأولياء، أن ينجيه من هذه الشدة.

فيقال لهذا الجاهل: إن كنت تعرف، أن الإله، هو: المعبود؛ وتعرف: أن الدعاء من العبادة؛ فكيف تدعو مخلوقًا، ميتًا، عاجزًا؟! وتترك: الحي، القّيوم، الحاضر، الرؤف، الرحيم، القدير؟! فقد يقول ـ هذا المشرك [1]ـ إن الأمر بيد الله، ولكن هذا العبد الصالح، يشفع لي عند الله، وتنفعني شفاعته، وجاهه؛ ويظن أن ذلك: يسلمه من الشرك.

فيقال لهذا الجاهل: المشركون، عباد الأصنام، الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وغنم أموالهم، وأبناءهم، ونساءهم، كلهم يعتقدون: أن الله هو النافع، الضار، الذي يدبر الأمر، وإنما أرادوا: ما أردت، من الشفاعة عند الله اهـ.

وزاد ابن القيم رحمه الله في: البدائع؛ عبادات أخرى كالإكرام والإجلال فقال: والإله، هو: الذي تألهه القلوب، محبة وإجلالا، وإنابة، وإكراما؛ وتعظيمًا، وذلا، وخضوعًا، وخوفًا ورجاء، وتوكلا عليه، وسؤال منه، ودعاء له، لا يصلح ذلك

---

(١) هنا سماه مشركا مع أنه أخبر في أول الكلام أنه جاهل. فدل على أن الجهل ليس مانعا في مسمى الشرك.

كله إلا لله؛ فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور، التي هي من خصائص الإلهية، كان ذلك قدحًا في إخلاصه، في قوله: لا إله إلا الله؛ وكان فيه من عبودية المخلوق، بحسب مافيه من ذلك اهـ.

وزاد الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن ﵀ كالطواف والتقوى في الدرر (١ / ٥٢١) فقال: وهذه العبادات التي صرفها المشركون لألهتهم هي أفعال العباد الصادرة منه كالحب والخضوع الإنابة والتوكل والدعاء والاستعانة والاستغاثة والخوف والرجاء والنسك والتقوى والطواف ببيته رغبة ورجاء وتعلق القلوب والآمال بفيضه ومده وإحسانه وكرمه فهذه الأنواع أشرف أنواع العبادة وأجلّها بل هي لبّ سائر الأعمال الإسلامية وخلاصتها وكل عمل يخلو منها فهو خداج مرود علي صاحبها اهـ.

❁ ❁ ❁

فصل

أما تعريف العبادة فهي: قال الشيخ عبد الله أبا بطين في الدرر (٢ / ٢٨٩) أما العبادة في اللغة، فهي: من الذل؛ يقال؛ بعير معبد، أي: مذلل، وطريق معبد، إذ كان مذللًا، وقد وطأته الأقدام، وكذلك الدين أيضًا، من الذل، يقال دنته، فدان، أي: ذللته، فذل؛ وأما تعريفها في الشرع، فقد اختلفت عباراتهم، في تعريفها، والمعنى واحد. فعرفها طائفة بقولهم، هي: ما أمر به شرعًا، من غير اطراد عرفي، ولا اقتضاء عقلي؛ وعرفها طائفة بأنها: كمال الحب مع كمال الخضوع؛ وقال أبو العباس، رحمه الله تعالى: هي اسم جامع، لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال، الباطنة، والظاهرة فالصلاة، والزكاة، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار، والمنافقين، والإحسان إلى الجار، واليتيم، والمسكين، والمملوك، من الآدميين، والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك، من العبادة. وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمته، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك؛ فالدين كله داخل في العبادة انتهى.

ومن عرفها بالحب من الخضوع، فلأن الحب التام، مع الذل التام، يتضمن طاعة المحبوب، والانقياد له؛ فالعبد، هو الذي ذله الحب، والخضوع لمحبوبه، فبحسب محبة العبد لربه، تكون طاعته، فمحبة العبد لربه، وذله له يتضمن عبادته وحده لا شريك له؛ والعبادة المأمور بها، تتضمن معنى الذل، ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله، بغاية المحبة له؛ كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

ليس العبادة غير توحيد المحبة مع خضوع القلب والأركان
والحب نفس وفاقة فيما يحب وبغض ما لا يرتضى بجنان
ووفاقه نفس اتباعك أمره والقصد وجه الله ذي الإحسان

فعرف العبادة: بتوحيد المحبة، مع خضوع القلب، والجوارح؛ فمن أحب شيئًا، وخضع له، فقد تعبد قلبه له، فلا تكون المحبة المنفردة، عن الخضوع عبادة، ولا الخضوع بلا محبة عبادة؛ فالمحبة والخضوع: ركنان للعبادة، فلا يكون أحدهما عبادة بدون الآخر، فمن خضع لإنسان مع بغضه له، لم يكن عابدًا له؛ ولو أحب شيئًا، ولم يخضع له، لم يكن عابدًا له؛ كما يحب ولده، وصديقه؛ ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة الكاملة، والذل التام إلا الله سبحانه اهـ.

قال المصنف: (فهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه) وهذا صحيح فهذا الذي وقع فيه النزاع قديمًا وحديثًا بين المشركين والمؤمنين، أما قديمًا فكان في توحيد الألوهية وأما في هذا العصر. فوقع في الربوبية والألوهية لأن هناك من الطوائف المعاصرة من لا يقرب بالربوبية مثل الشيوعية لا يقرون بالربوبية والعلمانيين لا يقرون بالربوبية كما قلنا سابقًا. هذا المقطع فيه مسائل:

المسألة الأولى: وهي أهمية توحيد الألوهية.

المسألة الثانية: حتمية الصراع والمواجهة مع المشركين أعداء توحيد الألوهية في كل مكان وزمان لقول المصنف: (فهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه) وهل يمكن منع المواجهة مع المشركين أعداء توحيد الألوهية؟ وهل يمكن إلغاء المواجهة مع أعداء توحيد الألوهية الجواب؟ لا.

وهـذا سـبق أن بحثنـاه في رسـالة سـتة مواضـع مـن السـيرة للمصـنف وأن مواجهة أعداء التوحيد لابد منها وأن الذي يسعون لإلغاء المواجهة أنهم في أحلام وليس هناك نبي من الأنبياء إلا واجه المشركين والوثنيين والعلمانيين في عصره، ولو استعرضنا القرآن لوجدنا أنه لابد من المواجهة وفي الوقت الحاضر لابد من المواجهـة مـع أعـداء توحيـد لألوهيـة ومـع الحكومـات المشركة المرتـدة المبدلـة، ونقصد بالمواجهة ليس الصراع المسلح بالضرورة، لا، أنما المواجهة القائمة على المعاداة والبغض وعدم موالاتهم والقائمة على الصدع بالتوحيد والقائمة على الولاء والبراء والمواجهة العقدية والفكرية والعلمية ورفض الكفر والطاغوت وعدم التسليم بألوهية الحكام وقوانينهم وغيرها، وأما المواجهة المسلحة مع أعداء توحيد الألوهية فهذه حسب القدرة والقوة والمنعة والانحياز والنصرة.

وبغض أعداء الدين ومعاداتهم ومحبة المؤمنين والتكفير والقتال هذه توابع للألوهية.

والرسول ﷺ في مكة واجه أعداء توحيد الألوهية مواجهة غير مسلحة فأعلن البراءة منهم وأعلن التكفير والبغض والمعاداة وصرح بذلك، وهذا من جهاد الكلمة والجهاد بالقرآن الذي كان فرضا في مكة قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ مع أنه لم يواجههم بقوة السلاح إلا فيما بعد لما هاجر إلى المدينة واستقل بقوة وشوكة مانعة، والبراءة والمعاداة والبغضاء والتكفير فرض حتى في زمن الاستضعاف، وإلاّ فما السبب الذي من أجله وجبت هجرة الحبشة، ولأجله عُذب المستضعفون ومن أجله قتل ياسر وسمية... الخ.

مسألة معاصرة: بعض الإسلاميين يرى أن من مصلحة الدعوة ترك الولاء والبراء والمعادة والتكفير والكفر بالطاغوت زمن الاستضعاف، ويظن أنه أرحم من الرسول ﷺ وأعقل وأفهم، وعندهم أن هذا من الخطأ والغلو، وعلى أصلهم الانهزامي هذا فإن اعتماد أصل الولاء والبراء والمعادة والتكفير والكفر بالطاغوت هو الذي سبب التعذيب والقتل والهجرة إلى الحبشة، وكان بالإمكان تفادي هذه المواجهة بمد الجسور والتسامح والاحتواء مع أعداء توحيد الألوهية، أو التسلل إلى دار الندوة .برلمان قريش .بطرق سلمية جاهلية حتى يستطيعوا من خلاله السيطرة على الحكم.

وعلى أصلهم الانهزامي هذا فإن الإعلان والجهر بالتوحيد الولاء والبراء والمعادة والتكفير والكفر بالطاغوت في قوله ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ خطأ استراتيجي في مسيرة الدعوة.

قال المصنف: (وهو توحيد الله بأفعال العباد[1]) توحيد أي إفراد الله، والله بمعنى الخالق المعبود وقوله: (أفعال) أحيانًا بعض أهل العلم يقولون أفعال العباد وأحيانًا يقولون أعمال العباد والذي يظهر أن كلمة أفعال أعم من كلمة أعمال فكلمة أفعال عامة تشمل الجوارح وتشمل القلب واللسان، وهذا الذي فهمته من كلام العسكري في كتابه الفروق (ص ١٢٦) حيث جعل للفعل أقسام، قال البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان قال: وهو قول وفعل، وعلى كل حال فالأمر سهل.

---

(١) وفي بعض النسخ (العبادة) وهذا خطأ، ولفظ العباد أصح لأن العبادة ليس لها أفعال وإنما الأفعال للعبد.

وقوله إفراد الله بأفعال العباد يعني القلبية والجوارحية واللسانية، ولذلك فالأمثلة التي ذكرها المصنف قسم منها يتعلق بالجوارح وقسم يتعلق بالقلب وقسم يتعلق باللسان، وعلى كل حال لابد من أفراد الله بأفعال الجوارح والقلوب واللسان.

وقوله: (العباد) الألف والام في العباد للعموم فتشمل الإنس والجن والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ فالجن والإنس لابد أن يفردوا الله بالعبادة.

❁ ❁ ❁

فصل

قبل الدخول في أنواع العبادات فإن توحيد الألوهية يتبعه أصول وأركانه وهي: محبة التوحيد وأهله وموالاتهم، وبغض الشرك وأهله ومعاداتهم وتكفيرهم والكفر بالطاغوت وأركانه خمسة ذكرها المصنف في رسالة مستقلة بعنوان رسالة في الكفر بالطاغوت موجودة في مجموعة التوحيد.

أ. قال في الدرر (٢ / ١١٦) وليس المراد: قولها باللسان مع الجهل بمعناها، فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يصلون، ويصومون، ويتصدقون؛ ولكن المراد: معرفتها بالقلب، ومحبتها ومحبة أهلها، وبغض من خالفها ومعاداته، كما قال ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله مخلصًا**» وفي رواية: «صادقا من قلبه» وفي لفظ: «من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله» إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة.

واعلم: أن هذه الكلمة، نفي، وإثبات؛ نفي الألوهية عما سوى الله تبارك وتعالى اهـ.

ب. وقال في الدرر (٢ / ١١٩) فالله، الله، إخواني: تمسكوا بأصل دينكم أوله وآخره، اسه ورأسه، وهو: شهادة أن لا إله إلا الله؛ واعرفوا: معناها؛ وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم، ولو كانوا بعيدين؛ واكفروا بالطواغيت، وعادوهم، وابغضوا من أحبهم، أو جادل عنهم، أو لم يكفرهم، أو قال ما عليّ منهم، أو قال ما كلفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله، وافترى؛ بل: كلفه الله بهم، وفرض عليه الكفر بهم، والبراءة منهم؛ ولو كانوا: إخوانه، وأولاده؛ فالله، الله، تمسكوا

بأصل دينكم، لعلكم تلقون ربكم، لا تشركون به شيئا؛ اللّهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين اهـ.

ج. وقال في الدرر (٢ / ١٢١) ومعنى الكفر بالطاغوت: أن تبرأ من كل ما يعتقد فيه غير الله، من جني، أو أنسي، أو شجر، أو حجر، أو غير ذلك؛ وتشهد عليه بالكفر، والضلال، وتبغضه، ولو كان أنه أبوك أو أخوك؛ فأما من قال أنا لا أعبد إلا الله، وأنا لا أتعرض السادة، والقباب على القبور، وأمثال ذلك، فهذا كاذب في قول لا إله إلا الله، ولم يؤمن بالله، ولم يكفر بالطاغوت.

وهذا: كلام يسير، يحتاج إلى بحث طويل، واجتهاد في معرفة دين الإسلام، ومعرفة ما أرسل الله به رسوله صلى الله ﷺ والبحث عما قال العلماء، في قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ ويجتهد في تعلم ما علمه الله رسوله، وما علمه الرسول أمته، من التوحيد؛ ومن أعرض عن هذا، فطبع الله على قلبه، وآثر الدنيا على الدين، لم يعذره الله بالجهالة، والله أعلم.

د. إلى أن قال: وله أيضا: قدس الله روحه، ونور ضريحه، ما نصه: اعلم رحمك الله: أن معنى لا إله إلا الله، نفي، وإثبات؛ لا إله نفي، إلا الله إثبات؛ تنفي أربعة أنواع؛ وتثبت أربعة أنواع؛ المنفي الآلهة، والطواغيت، والأنداد، والأرباب.

فالإله ما قصدته بشيء من جلب خير، أو دفع ضر، فأنت متخذه إلها، والطواغيت: من عبد وهو راض، أو ترشح للعبادة، مثل: شمسان؛ أو تاج، أو أبو حديدة.

والأنداد: ما جذبك عن دين الإسلام، من أهل، أو مسكن، أو عشيرة، أو مال، فهو: ند، لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾.

والأرباب: من أفتاك بمخالفة الحق، وأطعته مصدقا، لقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وتثبت: أربعة أنواع، القصد: كونك ما تقصد إلا الله؛ والتعظيم، والمحبة؛ لقوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ والخوف، والرجاء؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

فمن عرف هذا: قطع العلائق من غير الله، ولا يكبر عليه جهامة الباطل، كما أخبر الله عن إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، بتكسيره الأصنام، وتبريه من قومه؛ لقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ اهـ.

هـ. ومن ذلك قوله في الدرر (١ / ١٦٥) **المسألة الأولى**: أعني هذا الرسول، الذي جعله الله خاتم النبيين، ورحمة للعاملين، هل أمر بإخلاص الدعوة لله، مع جميع العبادات: عن أهل الأرض وأهل السماء؟ وأوصى أمته يدعون الصالحين، وينذرون لهم، ويتعلقون عليهم؟! ومعلوم: أنه أمر بإخلاص الدعوة لله، وأمر بتكفير الداعي بغيره، وقتاله؛ وأدلتها كثيرة، منها: إقرار جميع العلماء، الموافق، والمخالف.

الثانية: إذا صح هذا، وعرف طريق النبي، من طريق المشركين، هل يكفي الإقرار به، ومحبته؟! أم لا بد من اتباعه، ولو كره المشركون؛ فإن كان لابد، فمن الإتباع: أنك لا تواد من حاد الله ورسوله، ولو أقرب قريب.

ومن ذلك قوله في الدرر (١ / ١٧٠).... ولو قدرنا: أنه ما يشرك، فإذا عرف التوحيد، ولا عمل به، ولا أحب وأبغض فيه، ما دخل الجنة، ولو ما أشرك، لأن فائدة ترك الشرك، تصحيح التوحيد، ومن أعظم ما تنبهه عليه التضرع عند الله، والنصيحة، وإحضار القلب في دعاء الفاتحة إذا صلى، والله أعلم.اهـ.

وقال أيضا قال في الدرر (٢ / ١٢٤) فاعلم: أن وصية الله لعباده، هي: كلمة التوحيد، الفارقة بين الكفر، والإسلام؛ فعند ذلك: افترق الناس، سواء جهلا، أو بغيا، أو عنادًا؛ والجامع لذلك: اجتماع الأمة على وفق قول الله: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ وقوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾.

فالواجب: على كل أحد، إذا عرف التوحيد، وأقربه: أن يحبه بقلبه، وينصره بيده، ولسانه؛ وينصر من نصره، ووالاه؛ وإذا عرف الشرك، وأقربه: أن يبغضه بقلبه، ويخذله بلسانه، ويخذل من نصره، ووالاه، باليد، واللسان والقلب؛ هذه: حقيقة الأمرين؛ فعند ذلك يدخل في سلك من قال الله فيهم: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾.

فنقول: لا خلاف بين الأمة، أن التوحيد: لابد أن يكون بالقلب، الذي هو العلم؛ واللسان، الذي هو القول والعمل، الذي هو تنفيذ: الأوامر والنواهي؛ فإن أخل بشيء من هذا، لم يكن الرجل مسلما، فإن أقر بالتوحيد، ولم يعمل به، فهو:

كافر، معاند، كفرعون، وإبليس؛ وإن عمل بالتوحيد ظاهرًا، وهو لا يعتقده باطنًا، فهو: منافق خالصًا، أشر من الكافر؛ والله أعلم.

و- وقال أيضا في الدرر (١ / ١٨٢) **الثانية**: أن الذين أقروا بالتوحيد، والبراءة من الشرك، اختلفوا: هل توجب هذه العداوة والمقاطعة؟ أو أنها كالسرقة والزنا؟ فحكم الكتاب بينهم بقوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ وقال ﷺ: «**إن آل بني فلان ليسوا لي بأولياء إن وليي الله والمؤمنون**».

الثالثة: أن الذين أقروا بأن الشرك أكبر الكبائر، اختلفوا: هل يقاتل من فعله إذا قال لا إلَه إلا الله؟ فحكم الكتاب بقوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ وقوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾.

الرابعة: اختلفوا في الجماعة والفرقة؛ فذهب الصحابة ومن تبعهم: إلى وجوب الجماعة وتحريم الفرقة، ما دام التوحيد والإسلام؛ لأنه لا إسلام إلا بجماعة؛ وذهب الخوارج، والمعتزلة: إلى الفرقة، وإنكار الجماعة؛ فحكم الكتاب بقوله: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾.

ز- وقال أيضا في الدرر (٢ / ٥٦) فإن قيل: كل الناس يقولونها؛ قيل: منهم من يقولها، ويحسب معناها، أنه لا يخلق إلا الله، ولا يرزق إلا الله، وأشباه ذلك؛ ومنهم: من لا يفهم معناها؛ ومنهم: من لا يعمل بمقتضاها؛ ومنهم: من لا يعقل حقيقتها؛ وأعجب من ذلك: من عرفها من وجه، وعاداها، وأهلها من وجه؛وأعجب منه: من أحبها، وانتسب إلى أهلها، ولم يفرق بين أوليائها، وأعدائها، يا سبحان الله العظيم! تكون طائفتان، مختلفتين، في دين واحد، وكلهم على الحق! كلا، والله ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾.

ح .ومن ذلك قوله في الدرر (٢ / ١٠٩) وأنت يا من منَّ الله عليه بالإسلام، وعرف أن ما من إله إلا الله؛ لا تظن أنك إذا قلت: هذا هو الحق، وأنا تارك ما سواه، لكن لا أتعرض للمشركين، ولا أقول فيهم شيئًا، لا تظن: أن ذلك يحصل لك به الدخول في الإسلام، بل: لا بدَّ من بغضهم، وبغض من يحبهم، ومسبتهم، ومعاداتهم؛ كما قال أبوك إبراهيم، والذين معه: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ وقال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾.

ولو يقول رجل: أنا اتبع النبي ﷺ وهو على الحق، لكن: لا أتعرض اللات، والعزى، ولا أتعرض أبا جهل، وأمثاله، ما علي منهم؛ لم يصح إسلامه؛ وأما مجادلة بعض المشركين، بأن هؤلاء الطواغيت، ما أمروا الناس بهذا، ولا رضوا به، فهذا لا يقوله، إلا مشرك مكابر؛ فإن هؤلاء ما أكلوا أموال الناس بالباطل، ولا ترأسوا عليهم، ولا قربوا من قربوا، إلا بهذا؛ وإذا رأوا رجلًا صالحًا: استحقروه، وإذا رأوا مشركًا، كافرًا، تابعًا الشيطان، قربوه، وأحبوه، وزوجوه بناتهم، وعدوا ذلك شرفًا!!.

وهذا القائل: يعلم أن قوله ذلك كذب، فإنه لو يحضر عندهم، ويسمع بعض المشركين يقول: جاءتنى شدة، فنخيت الشيخ، أو السيد، فنذرت له، فخلصني؛ لم يجسر أن يقول هذا القائل: لا يضر، ولا ينفع إلا الله؛ بل لو قال هذا، وأشاعه في الناس، لأبغضه الطواغيت؛ بل لو قدروا على قتله، لقتلوه؛ وبالجملة: لا يقول هذا، إلا مشرك، مكابر، وإلا فدعواهم هذه، وتخويفهم الناس، وذكرهم

السوالف الكفرية، التي بآبائهم، شيء مشهور، لا ينكره من عرف حالهم، كما قال تعالى: ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾.

ط ـ وقال أيضا في هذا السياق الحفيد عبد الرحمن (٢ / ٢١٧) حيث: أنه الواجب له الإلهية، فلا يستحقها غيره سبحانه؛ قال: وجملة الفائدة في ذلك، أن تعلم: أن هذه الكلمة، مشتملة على الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، فإنك لما نفيت الإلهية، وأثبت الإيجاب لله تعالى، كنت ممن كفر بالطاغوت، وآمن بالله.

ي. قال الحفيد عبد الرحمن (٢ / ٢٤٣) وأما قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**وكفر بما يعبد من دون الله**» فهذا: شرط عظيم، لا يصح قول: لا إله إلا الله إلا بوجوده، وأن لم يوجد، لم يكن من قال لا إله إلا الله، معصوم الدم، والمال؛ لأن هذا هو معنى لا إله إلا الله؛ فلم ينفعه القول، بدون الإتيان بالمعنى؛ الذي دلت عليه، من ترك الشرك، والبراءة منه وممن فعله، فإذا أنكر عبادة كل ما يعبد من دون الله، وتبرأ منه وعادى من فعل ذلك: صار مسلما، معصوم الدم، والمال؛ وهذا معنى، قول الله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقد قيدت لا إله إلا الله، في الأحاديث الصحيحة بقيود ثقال، لابد من الإتيان بجميعها، قولًا، واعتقادًا، وعملًا، فمن ذلك: حديث عتبان، الذي في الصحيح «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغى بذلك وجه الله» وفي حديث آخر: «صدقا من قلبه»، «خالصًا من قلبه» مستيقنا بها قلبه، غير شاك، فلا تنفع هذه الكلمة قائلها إلا بهذه القيود، إذا اجتمعت له، مع العلم بمعناها، ومضمونها كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ

﴿بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فمعناها يقبل الزيادة، لقوة العلم، وصلاح العمل.

فلابد من العلم بحقيقة معنى هذه الكلمة، علمًا ينافي الجهل، بخلاف من يقولها، وهو لا يعرف معناها، ولابد من اليقين، المنافي للشك، فيما دلت عليه من التوحيد؛ ولابد من الإخلاص، المنافي للشرك، فإن كثيرا من الناس يقولها، وهو يشرك في العبادة، وينكر معناها، ويعادي من اعتقده، وعمل به، ولابد من الصدق، المنافي للكذب، بخلاف حال المنافق، الذي يقولها من غير صدق، كما قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ ولابد من القبول، المنافي للرد؛ بخلاف من يقولها، ولا يعمل بها، ولابد من المحبة، لما دلت عليه، من التوحيد، والإخلاص، وغير ذلك؛ والفرح بذلك، المنافي لخلاف هذين الأمرين، ولابد من الانقياد بالعمل بها، وما دلت عليه مطابقة، وتضمنا، والتزاما؛ وهذا هو دين الإسلام، الذي لا يقبل الله دينا سواه.

وأنت أيها الرجل: ترى كثيرًا ممن يدعى العلم، والفهم، قد عكس مدلول لا إله إلا الله، كابن كمال ونحوه، من الطواغيت، فيثبتون مانفتة لا إله إلا الله، من الشرك في العبادة، ويعتقدون ذلك الشرك دينًا، وينكرون ما دلت عليه من الإخلاص، ويشتمون أهله، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾. إلى أن قال: فلا تنفع قائلها إلا بشروط سبعة.

الأول: العلم بمعناها، نفيًا وإثباتًا؛ **الثاني**: اليقين، وهو: كمال العلم بها [(١)]، المنافي للشك والريب؛ **الثالث**: الإخلاص، المنافي للشرك؛ **الرابع**: الصدق، المانع من النفاق؛ **الخامس**: المحبة لهذه الكلمة، ولما دلت عليه، والسرور بذلك؛ **السادس**: القبول، المنافي للرد، فقد يقولها من يعرفها، لكن لا يقبلها ممن دعاه إليها، تعصبًا، وتكبرًا، كما قد وقع من كثير؛ **السابع**: الانقياد بحقوقها، وهي: الأعمال الواجبة إخلاصًا لله، وطلبًا لمرضاته.

إذا عرفت ذلك فقولك: لا إله إلا الله، فلا نافية للجنس، والإله هو المألوه بالعبادة، وهو الذي تألهه القلوب، وتقصده رغبة إليه في حصول نفع، أو دفع ضر، كحال من عبد الأموات، والغائبين، والأصنام؛ فكل معبود: مألوه بالعبادة؛ وخبر: لا، المرفوع، محذوف، تقديره: حق، وقوله: إلا الله، استثناء من الخبر المرفوع، فالله سبحانه هو الحق، وعبادته وحده، هي الحق، وعبادة غيره منتفية بلا، في هذه الكلمة، قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ فإلهية ما سواه باطل؛ فدلت الآية على: أن صرف الدعاء، الذي هو مخ العبادة عنه لغيره، باطل اهـ.

ك . وقال الحفيد عبد الرحمن في الدرر (٢ / ٢٦٥) فالتوحيد هو إفراد الله بالإلهية، كما تقدم بيانه، ولا يحصل ذلك إلا بالبراءة من الشرك والمشركين باطنًا وظاهرًا، كما ذكر الله تعالى ذلك عن إمام الحنفاء، عليه السلام، بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ الآية وقوله: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

---

(١) هذا يدل على أن اليقين يتبع العلم، لأنه أمر زائد على العلم فهو كمال العلم أي قوة التي ليس فيها شط ولا ريب وتردد.

فتأمل: كيف ابتدأهم بالبراءة من المشركين، وهذا هو حقيقة معنى: لا إله إلا الله، ومدلولها، لا بمجرد قولها باللسان، من غير معرفة وإذعان، لما تضمنته كلمة الإخلاص، من نفي الشرك، وإثبات التوحيد؛ والجاهلون من أشباه المنافقين: يقولونها بألسنتهم، من غير معرفة لمعناها، ولا عمل بمقتضاها.

ولهذا تجد كثيرًا ممن يقولها باللسان، إذا قيل له: لا يعبد إلا الله، ولا يدعى إلا الله، اشمأز من هذا القول، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ وقال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٥ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ والحنيف، هو: المقبل على الله، المعرض عن كل ما سواه؛ وقد قال تعالى: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ اهـ

ل . وقال أيضا في الدرر (٢ / ٢٦٩) وهم يعلمون: أن الأوثان التي تعبد، وتقصد بأنواع العبادة، موجودة في بلادهم؛ وأن الشرك: يقع عندهم، من الأقوال، والأعمال؛ ولا يحصل منهم نفرة، ولا كراهة له؛ مثل هؤلاء الذين لا يعرف منهم، أنهم عرفوا ما بعث الله به رسوله، من توحيده، وأنكروا الشرك الأكبر، الذي لا يغفره الله؛ بل الواقع منهم: إكرامهم، وإعظامهم؛ بل زوجوهم نساءهم؛ فأي موالاة أعظم من هذا! وأي ركون أبين من هذا، أين العداوة لهم والبغضاء؟ هل كان ذلك الذي شرع الله، وأوجبه على عباده، خاصًا بأناس كانوا فبانوا؟ والناس بعد أولئك القرون قد صلحوا؟ أم كان الشرك؟

وقال بعد كلام: يبين لكم كلمة الإخلاص: «لا إله إلا الله» ولا يصح لأحد إسلام، إلا بمعرفة ما دلت عليه هذه الكلمة، من نفي الشرك في العبادة،

والبراءة منه، وممن فعله، ومعاداته، وإخلاص العبادة لله وحده، لا شريك له؛ والموالاة في ذلك

م. إلى أن قال: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وهذه الآية، وما في معناها: تتضمن النهي عن الشرك في العبادة، والبراءة منه، ومن المشركين، من الرافضة وغيرهم؛ والقرآن من أوله إلى آخره: يقرر هذا الأصل العظيم، فلا غناء لأحد عن معرفته، والعمل به....

ن. إلى أن قال: وأخبر تعالى: عن هدهد سليمان، أنه أنكر الشرك، وهو: طائر من جملة الطير، قال تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةٗ تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٖ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية.

فحدث الهدهد، سليمان عليه السلام، بما رآهم يفعلونه، من السجود لغير الله؛ والسجود نوع من أنواع العبادة، فليت أكثر الناس عرفوا من الشرك، ما عرف الهدهد؛ فأنكروه، وعرفوا الإخلاص فالتزموه؛ وبالله التوفيق اهـ.

س. قال ابا بطين في معنى البراءة وأهميتها في الدرر (٢ / ٢٩٢) فإن قيل: ما معنى النفي في قوله سبحانه: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ قيل: إنما نفى عنهم، الاسم الدال على الوصف، والثبوت؛ ولم ينف وجود الفعل، الدال على الحدوث، والتجدد؛ وقد نبه ابن القيم، رحمه الله تعالى، على هذا المعنى اللطيف، في بدائع الفوائد، فقال: لما انجر كلامه على سورة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وأما المسألة

الرابعة، وهو أنه لم يأت النفي في حقهم إلا باسم الفاعل، وفي جهته جاء بالفعل المستقبل تارة، وباسم الفاعل أخرى.

وذلك – والله أعلم – لحكمة بديعة، وهي: أن المقصود الأعظم، براءته من معبوديهم، بكل وجه، وفي كل وقت؛ فأتى أولًا، بصيغة الفعل، الدالة على الحدوث، والتجدد؛ ثم أتى في هذا النفي، بعينه، بصيغة اسم الفاعل، الدالة على الوصف، والثبوت؛ فأفاد في النفي الأول: أن هذا لا يقع مني؛ وأفاد في الثاني أن هذا ليس وصفي، ولا شأني، فكأنه قال: عبادة غير الله، لا تكون فعلًا لي، ولا وصفًا فأتى بنفيين، لمنفيين، مقصودين بالنفي.

وأما في حقهم، فإنما أتى بالاسم الدال على الوصف، والثبوت، دون الفعل؛ أي: الوصف الثابت، اللازم للعابد لله، منتف عنكم، فليس هذا الوصف، ثابتًا لكم، وإنما يثبت لمن خص الله وحده بالعبادة، لم يشرك معه فيها أحدًا؛ وأنتم لما عبدتم غيره، فلستم من عابديه، وإن عبدتموه في بعض الأحيان، فإن المشرك: يعبد الله، ويعبد معه غيره،........ فهم كانوا يعبدون الله، ويعبدون معه غيره، لم ينف عنهم الفعل، لوقوعه منهم، ونفي الوصف، لأن من عبد غير الله، لم يكن ثابتًا على عبادة الله، موصوفاً بها. فتأمل: هذه النكتة البديعة، كيف تجد في طيها: أنه لا يوصف بأنه عابد لله، وإن عبده، ولا المستقيم على عبادته، إلا من انقطع إليه بكليته، وتبتل إليه تبتيلًا، لم يلتفت إلى غيره، ولم يشرك به أحدًا في عبادته، وأنه إن عبده، وأشرك به غيره، فليس عابدًا لله، ولا عبدًا له؛ وهذا من أسرار هذه السورة، العظيمة، الجليلة، التي هي أحد سورتي الإخلاص، التي تعدل ربع القرآن، كما جاء في بعض السنن، وهذا لا يفهمه كل أحد، ولا يدركه، إلا من منحه الله، فهما من عنده، فله الحمد والمنة، انتهى كلامه رحمه الله تعالى اهـ.

ع . قال ابا بطين . في بيان أن الموالاة والمعاداة من الألوهية . قال شيخنا عبد الرحمن: الدرر (٢ / ٣٠٤) فالموحد: من جمع قلبه، ولسانه، مخلصا لله تعالى، في الإلهية، المقتضية لعبادته، بمحبته، وخوفه، ورجائه، ودعائه، والاستغاثة به، والتوكل عليه، وحصر الدعاء، بما لا يقدر على جلبه، أو دفعه، إلا الله وحده؛ والموالاة في ذلك، والمعاداة فيه، وامتثال أمره، ناظرا إلى حق الخالق، والمخلوق، من الأنبياء، والأولياء، مميزًا بين الحقين؛ وذلك واجب في علم القلب، وشهادته، وذكره، ومعرفته، ومحبته؛ وموالاته، وطاعته، وهذا من تحقيق «لا إله إلا الله».

لأن معنى: «الإله» عند الأولين، ما تألهه القلوب، بالمحبة التي كحب الله، والتعظيم، والإجلال، والخضوع؛ قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ الآية فالمحبة التي لله، غير المحبة التي مع الله، قال الله تعالى، عن الكفار: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

فمعنى شهادة: ألا إله إلا الله، أن يقولها، نافيًا قلبه ولسانه، الإلهية عن كل ما سواه، ومثبتها لمستحقها، وهو الله المعبود بالحق، فيكون معرضا بقلبه، عن جميع المخلوقات، لا يتألههم فيما لا يقدر عليه إلا الله، مقبلا على عبادة رب الأرض والسماوات، وذلك يتضمن، إرادة القلب في عبادته ومعاملته، ومفارقته في ذلك كل ما سواه؛ فيكون: مفرقًا في علمه وقصده وشهادته وإرادته، ومعرفته ومحبته، بين الخالق والمخلوق، بحيث يكون عالمًا بالله، ذاكرا له، عارفًا به؛ وأنه تعالى مباين لخلقه، منفرد عنهم، بعبادته، وأفعاله، وصفاته؛ ويكون محبًا له، مستعينًا به، لا بغيره، متوكلا عليه، لا على غيره. وهذا هو معنى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ اهـ.

ف .وسئل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين في الدرر (٢ / ٣٠٩)، عن قول من يقول: إن الأمر بعبادة الله وحده، لا يفيد النهي عن الشرك، بل لابد من النهي عن الشرك؟

فأجاب: قول الجاهل، الكاذب على الله، الهاضم لكلام الله عما أريد منه، من قوله: إن الأمر بعباده الله وحده، لا يفيد النهي عن الشرك، بل لابد من النهي عن الشرك، فهذا مخطئ ضال، والوعيد الشديد فيمن قال في القرآن برأيه، ولو أصاب؛ فكيف بمن قال برأيه وأخطأ! وقد قال ابن عباس: كل ما ورد في القرآن من الأمر بالعبادة، فمعناها التوحيد؛ وعلى هذا جميع المفسرين، والعلماء.

فعلى قول هذا الجاهل: إن قوله سبحانه: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ وقوله: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ وقوله: ﴿وما وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ وقوله: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ ونحو ذلك، لا يفيد النهي عن الشرك؛ فإذا كانت العبادة المأمور بها، هي التوحيد؛ والتوحيد، هو إفراد الله بالإلهية، ونفيها عمن سواه، وهو معنى: لا إله إلا الله؛ التي حقيقتها: إثبات العبادة لله وحده، ونفي الشركة عن الله سبحانه فيها، وهذا أمر واضح، وما يحتاج إلى إيضاح، فقد تبين بطلان قوله بما ذكرناه اهـ.

ص .وسئل ابا بطين الدرر (٢ / ٣١٢) عن معنى: لا إله إلا الله، وعمن قالها، ولم يكفر بما يعبد من دون الله، وهل من قالها، ودعا نبيًا، أو وليًا، تنفعه؟ أو هو: مباح الدم، والمال، ولو قالها؟

فأجاب رحمه الله: معنى «لا إله إلا الله» عند جميع أهل اللغة، وعلماء التفسير، والفقهاء كلهم، يفسرون: الإله، بالمعبود؛ والتأله: التعبد؛ وأما العبادة، فعرفها

بعضهم، بأنها: ما أمر به شرعًا، من غير اطراد عرفي، ولا اقتضاء عقلي؛ والمأثور عن السلف، تفسير العبادة، بالطاعة، فيدخل في ذلك فعل المأمور، وترك المحظور، من واجب ومندوب، وترك المنهى عنه، من محرم و مكروه.

فمن جعل: نوعًا من أنواع العبادة، لغير الله، كالدعاء، والسجود، والذبح، والنذر، وغير ذلك، فهو مشرك؛ ولا إله إلا الله: إثبات العبادة لله وحده، والبراءة من كل معبود سواه؛ وهذا معنى: الكفر بما يعبد من دونه؛ لأن معنى الكفر بما يعبد من دونه، البراءة منه، اعتقاد بطلانه، وهذا معنى الكفر بالطاغوت، في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾.

والطاغوت: اسم لكل معبود سوى الله، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ وقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله، ودمه، وحسابه على الله**» فقوله: «**وكفر بما يعبد من دون الله**» الظاهر: أن هذا زيادة إيضاح؛ لأن لا إله إلا الله، متضمنة الكفر بما يعبد من دون الله.

ومن قال: لا إله إلا الله، ومع ذلك يفعل الشرك الأكبر، كدعاء الموتى، والغائبين، وسؤالهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، والتقرب إليهم بالنذور، والذبائح، فهذا مشرك، شاء أم أبى؛ و﴿اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ و﴿مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ ومع هذا فهو شرك، ومن فعله، فهو كافر.

ولكن كما قال الشيخ: لا يقال فلان كافر [1]، حتى يبين له ما جاء به

---

(١) هذا مهم جدا يوضح لكل معنى كلام الشيخ إذا قال لا اكفر ليس معناه أنه مسلم بل مشرك كما فرق بينهما هنا ففهم ولا تغلط هداني الله وإياك. فلا يقال كافر لمن يفعل الشرك حتى يبين له ما جاء به الرسول

الرسول ﷺ فإن أصر بعد البيان، حكم بكفره، وحل دمه، وماله؛ وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٌ﴾ أي: شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ فإذا كان في بلد: وثن يعبد من دون الله، قوتلوا، لأجل هذا الوثن، أي لإزالته، وهدمه، وترك الشرك، حتى يكون الدين كله لله.

والدعاء: دين سماه الله دينا، كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: الدعاء، وقال ﷺ: «**بعثت بالسيف بين يدي الساعة، حتى يعبد الله وحده لا شريك له**» فمتى كان شيء من العبادة مصروفا لغير الله، فالسيف مسلول عليه، والله أعلم.

ق ـ قال عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى: (٢ / ٣٢٦) وأما الموالاة، والمعاداة، فهي من أوجب الواجبات؛ وفى الحديث: «**أوثق عرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله**» وأصل الموالاة: الحب؛ وأصل المعاداة: البغض؛ وينشأ عنهما من أعمال القلوب، والجوارح، ما يدخل في حقيقة الموالاة، والمعاداة؛ كالنصرة، والأنس، والمعاونة، وكالجهاد، والهجرة، ونحو ذلك من الأعمال؛ والولي ضد العدو اهـ.

ش. ومنهم من جعلها من اللازم: قال ابن سحمان في الدرر (٢ / ص٣٦٠) ولوازمها من الولاء، والبراء، والعمل بشرائع الإسلام، ولا يلائمه إلا ما وافق هواه، أو تحصيل دنياه؛ وهذه حال كثير من الناس اهـ.

❁ ❁ ❁

ﷺ فإن أصر بعد البيان، حكم بكفره، وحل دمه، وماله؛ لكنه ليس بمسلم وليس من أهل ملة الإسلام فانتبه للفرق.

فصل

ثم قال المصنف: أولًا (كالدعاء) الكاف هنا بمعنى مثل فذكر أمثلة لأنواع العبادة فذكر خمس عشرة عبادة، أما الحفيد فاختصر. وذكر تسع عبادات فقط ولم يردا الاستيعاب هنا ولذلك في ثلاثة الأصول ذكر أربعة عشر. عبادة وفي رسالة لنفس المصنف ذكر تسع عشرة عبادة.

ومن العبادات التي لم يذكر المصنف كالسجود لغير الله والركوع وكالتحاكم لغير حكم الله والتشريع والطواف والتبرك والرياء والطاعة والعكوف.. الخ.

قال المصنف في الدرر (١ / ١٣٧) ومن أنواع العبادة، كالدعاء، والذبح، والنذر، والتوكل، والاستغاثة، والإنابة. وقال مرة في أنواع العبادة (١ / ١٢٨) وأنواع العبادة التي أمر الله بها، مثل: الإسلام، والإيمان الإحسان ومنه الدعاء والخوف والرجاء والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة،، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها اه. ومرّ سابقا بحث هذه المسألة.

قاعدة كبرى في تحديد نوع العبادة التي صرفت لغير الله: سوف نتكلم إن شاء الله بعد أسطر عن العبادات وتحديد مسميات أنواعها، لكن لا بد أن يُعرف أن هناك قواعد في هذه المسألة وهي: أ .أن تحديد نوع مسمى العبادة لا دخل له بالتكفير والإخراج عن الملة فمثلا إذا وقع خلاف هل هذا شرك رجاء أم شرك في المحبة، فكونه شركا هذا واقع على كل حال ومناطه الفعل لكن الخلاف في مسمى النوع، أو قيل هذا كفر استكبار أم كفر إباء أم عناد؟ فكونه كفرا هذا واقع على كل

حال لكن الخلاف في مسمى النوع، وعلى هذه القاعدة فالخلاف في مسمى النوع . إذا كان له حظ من اللغة .إذا اتفقنا أنه كفر أكبر أو شرك أكبر فالخلاف بعد ذلك خلاف فيه خطأ وصواب وليس فيه سنة أو بدعة مخرجه إلى مذاهب أهل الأهواء والبدع.

ب .إنما الخلاف الذي فيه سنة وبدعة من بدع أهل الأهواء والبدع هي الخلاف في أسباب الكفر وموجبات الكفر والشرك، لأنه بإجماع أهل السنة أن الكفر إما قول أو عمل أو اعتقاد .وبعضهم يزيد أو شك .فمثلا من خالف ولم يكفر بالعمل أو القول فهذا مبتدع بدعة أهل الأهواء والبدع، فالقاعدة في هذا أن المخالفة في الأنواع ليس كالمخالفة في الأسباب، والله اعلم. ج .إذا سمى سببا باسم آخر مثل أن يكون سبب الكفر أو الشرك هو العمل فلم يعلّقه بالعمل بل بالقلب أو الاعتقاد مثل الذبح لغير الله قال إنه شرك لأنه اعتقد بقلبه أو سجد لصنم فقال هذا خرج عن الملة لأنه اعتقد بقلبه فسجد فهذا الكلام من كلام أهل الأهواء والبدع، وأمثال ذلك.

مسألة: أما معانيها فتختلف عند الاجتماع والافتراق وأحيانا هي متداخلة ففسر ابن تيمية ﵀: متى تكون الإنابة؟ وهو وقت الشدة، ومتى الدعاء؟ ومتى التوكل؟، كل ذلك عند الاجتماع لهذه الكلمات فقال: فإن الإله، هو: المحبوب المعبود الذي، تألهه القلوب بحبها، وتخضع له، وتذل له، وتخافه، وترجوه، وتنيب إليه في شدائدها، وتدعوه في مهماتها، وتتوكل عليه في مصالحها، وتلجأ إليه، وتطمئن بذكره، وتسكن إلى حبه؛ وليس ذلك إلا لله وحده، وبهذا كانت: لا إله إلا الله، أصدق الكلام، وكان أهلها، هم: أهل الله، وحزبه؛ والمنكرون لها،

أعداؤه، وأهل غضبه، ونقمته؛ فإذا صحت، صح بها كل مسألة، وحال، وذوق؛ وإذا لم يصححها العبد، فالفساد لازم له، في علومه، وأعماله اهـ.

مسألة: الآن ندخل في أنواع العبادة التي ذكر ولكن قبل الدخول لا بد أن يعرف أن من خلّط ولم يعتبرها من الشرك والكفر فقوله هذا كفر .وكلمة كفر لها معنى فلينتبه لذلك، قال المصنف: قال في الدرر (٢ / ٤٦) فإذا كان لم يقنع منهم إلا بترك عبادة الأوثان، تبين أن النطق بها لا ينفع، إلا بالعمل بمقتضاها، وهو: ترك الشرك، وهذا هو المطلوب؛ إلى أن قال: فإن قلتم: ليس هذا من الأوثان، وإن دعاء أهل القبور، والاستغاثة بهم في الشدائد، ليست من الشرك، مع كون المشركين الذين في عهد رسول الله ﷺ: يخلصون لله في الشدائد، ولا يدعون أوثانهم، فهذا: كفر؛ وبيننا وبينكم: كلام العلماء، من الأولين، والآخرين، الحنابلة وغيرهم، وإن أقررتم: أن ذلك كفر، وشرك، وتبين أن قول: لا إله إلا الله، لا ينفع إلا مع ترك الشرك، فهذا هو المطلوب اهـ [1].

وقال المصنف في مفيد المستفيد: (الوجه الثاني) أن معصية الرسول ﷺ في الشرك وعبادة الأوثان بعد بلوغ العلم كفر صريح بالفطر والعقول والعلوم الضرورية فلا يتصور أنك تقول لرجل ولو من أجهل الناس وأبلدهم ما تقول فيمن عصى الرسول ﷺ ولم ينقد له في ترك عبادة الأوثان والشرك مع أنه يدعى

---

(١) ومثل قصة قدامة، فمن قال الخمر مثلا يجوز لطائفة معينة فهذا من باب الاعتقادات وباب الكفر فيها، أما من شربها حتى لو ظن أنها تجوز له فهذا من باب الأفعال وباب ذم الأفعال وباب أسماء الأفعال التي تلحق بالفعل، ولذا في الأول أراد الصحابة المناقشة وفي الثاني أقيم الاسم ثم الحد لأنها مسالة ظاهر لمن كان عائشا مع المسلمين. لذلك اعتقادات العلماء لها باب يختلف عن أعمال العلماء فهي من باب ذم الأفعال.

أنه مسلم متبع إلا ويبادر بالفطرة الضرورية إلى القول بأن هذا كافر من غير نظر في الأدلة أو سؤال أحد من العلماء ولكن لغلبة الجهل.

قوله: (الدعاء) هذه العبادة الأولى وهي الدعاء:

ويقصد بالدعاء دعاء المسألة وهو المصدر بياء النداء مثل يا الله ويا عزيز، قال عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في الدرر (١ / ٢٤٢) فمن أنواع العبادة: الدعاء، وهو الطلب بياء النداء، لأنه ينادى به القريب والبعيد، وقد يستعمل في الاستغاثة، أو بأحد أخواتها من حروف النداء، فإن العبادة: اسم جنس، فأمر تعالى عباده: أن يدعوه ولا يدعوا معه غيره اهـ.

ولماذا قلنا أن الدعاء يقصد به هنا دعاء المسألة مع أن الدعاء ينقسم إلى قسمين دعاء عبادة ودعاء مسألة؟ قلنا ذلك لأنه بعد قليل سوف يذكر دعاء العبادة كالذبح والنذر وهذه عبادة عملية، فلما كان سوف يذكر ذلك بعدها كان الدعاء خاص بالمسألة حتى لا يقع التكرار، والدعاء لابد أن يكون موجه لله وحده لابد أن يوحد الله به، وضده الشرك في الدعاء وهو أن تدعوا الله وتدعوا غيره من الأنبياء والصالحين الموتى أو الغائبين وهو شرك أكبر وصور دعاء المسألة الذي هو شرك أكبر كالتالي:

أ. أن يقول يا رسول الله أو يا ولي الله. الميت. اكشف كربتي أو ارزقني وهذا شرك أكبر في الربوبية والألوهية.

ب. أن يقول يا ولي الله. أي الميت أو الغائب. ادع الله لي بالتوفيق أو الرزق أو المغفرة أو استغفر لي.

ج .يا ولي الله .الميت .اشفع لي يوم القيامة، والفرق بين الثاني والثالث أن الثاني طلب من الميت أمورا يريدها منه في الدنيا، أما الثالث فهو يريدها في الآخرة ولذا قال اشفع من الشفاعة وهي أخروية.

وكل الثلاث السابقة شرك أكبر في الألوهية بالقرآن والسنة والإجماع، مع ملاحظة أنه دعاء رسول الله أو أي ولي من الأولياء الميتين سواء عند قبورهم أو بعيدًا عنهم، والدليل على ذلك نقل جمع من أهل العلم عن ابن تيمية قوله: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة كفر إجماعًا.

قال في الدرر (٢ / ٣٧)... فأخبر تبارك وتعالى: أن دعاء غير الله شرك، فمن قال: يا رسول الله؛ أو: يا عبد الله بن عباس؛ أو: يا عبد القادر؛ أو: يا محجوب؛ زاعمًا أنه يقضي حاجته إلى الله تعالى، أو أنه شفيعه عنده، أو وسيلته إليه، فهو الشرك الذي يهدر الدم، ويبيح المال، إلا أن يتوب من ذلك، وكذلك: من ذبح لغير الله، أو نذر لغير الله، أو توكل على غير الله، أو رجا غير الله، أو التجأ إلى غير الله، أو استغاث بغير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهو أيضًا شرك. اهـ.

وقال أيضا في الدرر (٢ / ٣٨)... إذا عرفت هذه القاعدة، وأنهم أقروا بهذا، ثم توجهوا إلى غير الله، فاعرف: القاعدة الثانية؛ وهي: أنهم يقولون، ما توجهنا إليهم، ودعوناهم، إلا لطلب الشفاعة عند الله، نريد من الله لا منهم، لكن بشفاعتهم؛ والدليل على ذلك، قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ اهـ.

وقال الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله الحصين من تلامذة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدرر (٢ / ١٧٧) وإنما ذكر الله ذلك عنهم، لأنهم يدعون

الملائكة، والأنبياء، ويصورون صورهم، محبة لهم، ويرجونهم، ويلتجؤون إليهم؛ ليشفعوا لهم، فيما دعوهم فيه، وذلك بطرق مختلفة؛ ففرقة قالت: ليس لنا أهلية مباشرة دعاء الله، ورجائه، بلا واسطة تقربنا إليه، وتشفع لنا عنده، لعظمته؛ وفرقة قالت: الأنبياء، والملائكة، ذووا وجاهة عند الله، ومنزلة عنده، فاتخذوا صورهم، من أجل حبهم لهم، ليقربوهم إلى الله زلفى؛ وفرقة: جعلتهم قبلة في دعاء الله، وفرقة قالت: إن على كل صورة مصورة، على صور الملائكة، والأنبياء، وكيلًا موكلًا بأمر الله، فمن أقبل على دعائه، ورجائه، وتبتل إليه، قضى ذلك الوكيل، ما طلب منه، بأمر الله، وإلا أصابته نكبة بأمره؛ فالمشرك: إنما يدعو غير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، ويلتجىء إليه فيه ويرجوه منه، لما يحصل له في زعمه من النفع اهـ.

❁ ❁ ❁

فصل

وقبل الدخول في عبادة الرجاء وغيرها من العبادات خصوصا العبادات القلبية نذكر كلاما لابن القيم نفيس في مراتب العبادات ومقاماتها، وهي كالقواعد في فهم تلك العبادات وارتباط بعضها ببعض وترتيب بعضها مع بعض، فقال رحمه الله في مدارج السالكين (١/ ١٣٦) ومن المقامات ما يكون جامعا لمقامين، ومنها ما يكون جامعا لأكثر من ذلك، ومنها ما يندرج فيه جميع المقامات فلا يستحق صاحبه اسمه إلا عند استجماع جميع المقامات فيه:

فالتوبة جامعة لمقام المحاسبة ومقام الخوف لا يتصور وجودها بدونهما، والتوكل جامع لمقام التفويض والاستعانة والرضى لا يتصور وجوده بدونها، والرجاء جامع لمقام الخوف والإرادة، والخوف جامع لمقام الرجاء والإرادة، والإنابة جامعة لمقام المحبة والخشية لا يكون العبد منيبا إلا باجتماعهما، والإخبات له جامع لمقام المحبة والذل والخضوع لا يكمل أحدها بدون الآخر إخباتا، والزهد جامع لمقام الرغبة والرهبة لا يكون زاهدا من لم يرغب فيما يرجو نفعه ويرهب مما يخاف ضرره، ومقام المحبة جامع لمقام المعرفة والخوف والرجاء والإرادة فالمحبة معنى يلتئم من هذه الأربعة وبها تحققها، ومقام الخشية جامع لمقام المعرفة بالله والمعرفة بحق عبوديته فمتى عرف الله وعرف حقه اشتدت خشيته له كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ فالعلماء به وبأمره هم أهل خشيته قال النبي ﷺ: «**أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية**»، ومقام الهيبة جامع لمقام المحبة والإجلال والتعظيم، ومقام الشكر جامع لجميع مقامات الإيمان ولذلك كان أرفعها وأعلاها وهو فوق الرضا وهو يتضمن الصبر من غير

عكس ويتضمن التوكل والإنابة والحب والإخبات والخشوع والرجاء فجميع المقامات مندرجة فيه لا يستحق صاحبه اسمه على الإطلاق إلا باستجماع المقامات له ولهذا كان الإيمان نصفين نصف صبر ونصف شكر والصبر داخل في الشكر فرجع الإيمان كله شكرا والشاكرون هم أقل العباد كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾، ومقام الحياء جامع لمقام المعرفة والمراقبة، ومقام الأنس جامع لمقام الحب مع القرب فلو كان المحب بعيدا من محبوبة لم يأنس به ولو كان قريبا من رجل ولم يحبه لم يأنس به حتى يجتمع له حبه مع القرب منه، ومقام الصدق جامع للإخلاص والعزم فباجتماعهما يصح له مقام الصدق.

ومقام المراقبة جامع للمعرفة مع الخشية فبحسبهما يصح مقام المراقبة، ومقام الطمأنينة جامع للإنابة والتوكل والتفويض والرضى والتسليم فهو معنى ملتئم من هذه الأمور إذا اجتمعت صار صاحبها صاحب طمأنينة وما نقص منها نقص من الطمأنينة.

وكذلك الرغبة والرهبة كل منهما ملتئم من الرجاء والخوف والرجاء على الرغبة أغلب والخوف على الرهبة أغلب.

وكل مقام من هذه المقامات فالسالكون بالنسبة إليه نوعان: أبرار ومقربون، فالأبرار في أذياله والمقربون في ذروة سنامه وهكذا مراتب الإيمان جميعها وكل من النوعين لا يحصى تفاوتهم وتفاضل درجاتهم إلا الله اهـ.

ثانيًا:

ثم قال المصنف: **(والرجاء)**: فالدعاء عبادة قولية والنحر عبادة عملية والنذر عبادة عملية فعلية بالجوارح، أما الرجاء فهي عبادة قلبية وهي أولى

العبادات القلبية [١] التي ذكر المصنف حيث ذكر ست عبادات بالجوارح أو اللسان وتسع كلها بالقلب، فالرجاء عبادة محلها القلب لكنه متعلق بمحل العلم ومحل التصورات، وليس كل العلم بل بنوع من العلم وهو الظن الغالب، لماذا قلنا ذلك؟ لأن الرجاء له علاقة بالظن، والظن تابع للعلم، أي أن تتطلع إلى حصول شيء لكنه مظنونا قد يحصل وقد لا يحصل لكن الغالب أنه يحصل، ولذا قال العسكري في كتابه الفروق (ص ٢٠٣): الرجاء الظن بوقوع الخير الذي يعتري صاحبه الشك فيه إلا أن ظنه فيه أغلب وليس هو من قبيل العلم.... ولذا لا يقال أرجو أن يدخل النبي الجنة لكون ذلك متيقنًا ويقال أرجو أن يدخل فلان من المؤمنين الجنة إذ لا يُعلم ذلك، والفرق بين الرجاء والخوف أن الرجاء والأمل في الخير والخشية والخوف في الشر. لأنهما يكونان مع الشك في المرجو والمخوف ولا يكون الرجاء إلا عن سبب يدعو إليه من كرم المرجو أو ما به إليه، ويتعدى بنفسه تقول رجوت زيدًا والمراد رجوت الخير من زيد لأن الرجاء لا يتعدى إلى أعيان الرجال) انتهى بحروفه.

فالرجاء إذًا متعلق بالظن لكن مع تطلع قلب وترقب، وتعلق القلب من باب أعمال القلوب فإذا رجوت الله فهذا توحيد، ومتى يكون الرجاء شركًا؟ إذا رجوت غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله هذا شرك أكبر كما لو رجوت من شخص أن يرزقك.

---

(١) هذا باعتبار محلها ومنبعها وليس معنى ذلك أنه لا يكفر بها إلا إذا علما اعتقاده فلم نرد ذلك، ولكن الكلام على الرجاء في باب الشرح والبيان يختلف عن الكلام على الرجاء في باب الحكم والاسم والوعيد ومناطات ذلك. وهذه قاعدة عامة في كل ما قلنا أنه عبادة قلبية، للمعلومية.

النوع الثاني من الرجاء: هو الرجاء من المقبورين أو الغائبين فإذا رجوت من مقبور أو غائب فهذا يعتبر من باب الشرك الأكبر ولا نقيده بأنه مالا يقدر عليه إلا الله، لأن الأول في الأحياء أما إذا رجوت من ميت ولو رجوت من الميت شيئًا يقدره لو كان حيًا مثل جئت إلى ولي من الأولياء ميت ورجوت منه أو يعطيك مالًا، فإنه لو كان حيًا أمكن أن يعطيك فلما رجوته وهو ميت هذا يعتبر شركًا أكبر.

مسألة: لو أن إنسانا ذبح لميت يرجو شفاعته أو وساطته عند الله فهل هذا العمل شرك في الرجاء أم شرك في الذبح؟ هذه مسألة مهمة وبها يقع الغلط والالتباس والاختلاف، فمن نظر إلى الرجاء لوحده قال إنها عبادة رجاء ومن نظر إلى الذبح جعلها من باب الذبح لغير الله.

والصحيح في هذه المسألة وأمثالها مما له وجهان [1] وجه يتعلق بالقلب ووجه يتعلق بالجوارح أن يناط الاسم بالظاهر لأنه كفر مستقل ظاهرا علق عليه الشارع الكفر أو الشرك، وتعليق الأمر الظاهر الذي سُمي في النصوص بالكفر أو الشرك بأمر باطني أو قلبي هذا إرجاء وهو مسلك المرجئة.

أمر آخر لو جاء شخص وذبح للصنم فهذا مشرك، ونوع الشرك تقول أشرك لأنه ذبح لغير الله، ومن الخطأ أن تقول أشرك لأنه رجاء غير الله.

إذن متى يقال أشرك شرك رجاء فقط؟ الجواب: لا بد من قولِ صورةٍ لا يدخل فيها أمرا من العبادة الظاهرة المعروفة في الشرع أن صورتها صورة عبادة أو هيئتها هيئة عبادة، فإن قلت طاف رجاءا فهذا لا يصح لأن الطواف صورته صورة

---

(١) هذه قاعدة عامة في أمثال ذلك.

عبادة في الشرع لأن له مثيلا شرعيا، ولا تقل ذبح رجاءا لأن الذبح صورته صورة عبادة في الشرع لأن له مثيلا شرعيا، وإذا تجنبنا صور العبادات لم يبق إلا أن نمثل ذلك بأمر مباح فعله رجاءا ممن لا يجوز الرجاء منه لأنه لا يقدره إنما يقدره الله تعالى، هذه هي القاعدة، مثل رجل سكن في قرية فيها وليّ مقبور معظما يرجوا بهذا السكن والمجاورة السلامة من الآفات أو المال من هذا المقبور ونحو ذلك.

فإن قال قائل على كلامكم هذا لا يمكن التكفير بالرجاء الشركي حتى يقول بلسانه أنني سكنت وجاورت رجاءا من هذا المقبور فنعود إلى أنه لا تكفير إلا بالقول، والقول مثل العمل، فنعود إلى الإرجاء أو إلى مذهب الكرامة بطريقة أخرى.

قلنا ليس الأمر كذلك مع أنه صحيح إذا قال ذلك بلسانه فهذا واضح أنه أشرك شرك رجاء بلسانه ولكن نقول وأيضا لو دلت القرائن على الرجاء من دون أن يتكلم لحكمنا به، مثل لو جرت العادة أنهم يأتون إلى هذه القرية ويسكنون رجاء العافية من المقبور لقلنا هذا شرك رجاء، أو وقع في ضر شديد فجاء وعمل ما يعمله الراجون من المقبورين لقلنا هذا شرك رجاء، وهكذا في بقية العبادات القلبية التي ليس صورتها صورة عبادة مستقلة حتى لا تتداخل الأمثلة مثل الرهبة والخشية ونحو ذلك.

مسألة: هل الرجاء عبادة أقرب إلى المحبة أم إلى الخوف؟ الله أعلم لكن في كتاب الألفاظ المؤتلفة قال في باب الخوف أن مما يتفق مع الخوف: الوجل والذعر والروع والفزع والخشية والرهب والفرق والهيبة والوهل والرجاء والإشفاق والحذر اهـ. فألحق الرجاء بالخوف، لكن المسألة فيها نقاش فإنه لا يقال رجوت

زيدا أي خفت منه، لكن هناك جزء من الخوف في الرجاء لأنك ترجو زيدا مع أن فيه نسبة أن لا يعطيك مثلا، ولو قليلة لأنك لو كنت جازما أنه سوف يعطيك فإن هذا يقين وليس رجاءا، وهذه النسبة التي قلنا أنها قد لا تحصل فيصحب ذلك خوف أنها لن تحصل، فمن رأى من هذه الحيثية قال إن الرجاء فيه خوف، لكن الغالب مع الرجاء طمع وتوقع غالب وظن غالب مرجعها إلى الصفات التي يتحلى فيها من رجوته لكونه كريم أو باذل فيغلب الرجاء، وإن كان لا بد من المفاضلة فالرجاء أقرب إلى الخوف منه إلى المحبة، والله أعلم.

ثالثًا:

ثم قال المصنف: (**والخوف**): الخوف عبادة قلبية والخوف يتعلق بالظن مثل ما قلنا في الرجاء، قال العسكري في الفروق ص ١٩٩ إن الخوف توقع الضرر المشكوك في وقوعه، ومن تيقن الضرر فليس بخائف، وكذلك الرجاء لا يكن إلا مع الشك ومن تيقن النفع لم يكن راجيا له، وقال: (والخشية والخوف في الشر المظنون فالخوف توقع الشر المظنون أو الظن بوقوع الشر) اهـ. فإن خفت الله هذا توحيد ومتى يكون الخوف شركًا؟ يكون شركًا في الحالات التالية:

أ. أن تخاف من المخلوق مالا يقدر عليه إلا الله مثل أن تخاف من شخص أن يقطع نسلك أو يدخل النار.

ب. الخوف من أهل القبور ومن الغائبين أما بالنسبة لأهل القبور فالخوف منهم شرك أكبر. أما بالنسبة للغائبين ففيه تفصيل أما إن خفت منه ما سوف يفعل بك فيما بعد، فهو الآن غائب لكن لو حضر. قد يؤذيك فهذا خوف طبيعي، أما إذا خفت منه وهو غائب وخافت منه الآن وهو لا يسمعك ولا يدري عنك وليس

هناك وسائل حسية مادية مثلًا فهذا شرك أكبر لأنك ما خفت منه بهذه المثابة إلا وإنك تعتقد أن عنده قدرة خارقة للمادة وقدره فوق طاقة البشر.

أما الدليل على ذلك فقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ومثل ذلك الخوف من الجن هذا من الشرك الأكبر قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

مسألة: هناك فرق بين الخوف والإكراه:

فالإكراه عذر لمن أكره على أن يقول الإنسان كلمة الكفر أو يمزق المصحف و أكره على ذلك وخاف الإكراه فمزق المصحف هذا معذور لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ أما الخوف الذي ليس على الإكراه فهذا هو المقصود هنا، خوف ليس عن إكراه.

ويشترط في الإكراه حتى يكون معتبرا:

أ. أن يكون من قادر على عمل ما هدد به.

ب . أن لا يكون متعد على الغير قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ وروى ابن ماجة بسند صحيح حديث «**لا ضرر ولا ضرار**».

ج . أن يكون طارئا وليس مستمرا أو غالبا قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾.

د . أن يكون فرديا وليس جماعيا قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾.

وهذه الشروط الأربعة عامة في كل إكراه.

مسألة: وهناك فرق أيضا بين الخوف والاستضعاف، فالاستضعاف مرحلة بين الخوف والإكراه.

رابعا:

ثم قال المصنف: **(الخشية)**: . وهذه لم يذكرها عب..

وقبل الدخول في الخشية فإن الخوف اسم جامع يشمل معاني تابعة له قريبة منه هي من بابه وفي كتاب الألفاظ المؤتلفة قال في باب الخوف الوجل والذعر والروع والفزع والخشية والرهب والفرق والهيبة والوهل والرجاء والإشفاق والحذر اهـ.

ومما يدل على الفرق حين الاجتماع قوله تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾.

قال في لسان العرب: الخشية الخوف، يخشى خشية أي خاف، قال ابن بري خشيانا و تخشاه كلاهما خافه، و خشاه بالأمر تخشية أي خوفه، ويقال هذا المكان أخشى من ذلك أي أشد خوفا، وجاء في مختار الصحاح وفي المصباح المنير تفسير ذلك بالخوف اهـ.قال: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

قال في لسان العرب: وخاشيت فلانا تاركته، وفي حديث ابن عمر قال له ابن عباس لقد أكثرت من الدعاء بالموت حتى خشيت أن يكون ذلك أسهل لك عند نزوله خشيت هنا بمعنى رجوت، والخشي. على فعيل مثل الحشي. اليابس من النبت، والخشي اليابس العفن، ويقال نبت خشي وحشي أي يابس اهـ مختصرا.

هذا تفسير الخشية لغة وإذا اجتمعت الخشية مع الخوف فمعنى الخشية شدة الخوف أو الخوف اليابس والمتعفن، فهو إذا أمر زائد على الخوف فهو خوف وزيادة.

والحفيد لم يذكر الخشية وصنيعه أدق من صنيع المصنف، لأن الحفيد اكتفى بالخوف وهذا الأليق بهذا المختصر والله اعلم.

وبالنسبة للأحكام والمسائل العقدية في الخشية هو مثل ما قلنا في الخوف لأنهما كالكلمة الواحدة.

خامسا:

قال المصنف: (**والاستعانة**): .وهذه لم يذكرها عب .. والاستعانة هي طلب العون، فإن طلب العون من الله فهذا توحيد. ومتى تكون الاستعانة شركا؟

في الصور التالية هي شرك أكبر:

أ .أن يقول يا رسول الله أو يا ولي الله .الميت .أ عني ساعدني، كن في عوني ونحو ذلك وهذا شرك أكبر في الربوبية والألوهية.

ب.أن يقول يا ولي الله.أي الميت أو الغائب.ادع الله لي بالعون والمساعدة.

ج .يا ولي الله .الميت .اشفع لي يوم القيامة، والفرق بين الثاني والثالث أن الثاني طلب من الميت أمورا يريدها منه في الدنيا، أما الثالث فهو يريدها في الآخرة ولذا قال الشفاعة وهي أخروية.

وكل الثلاث السابقة شرك أكبر في الألوهية بالقرآن والسنة والإجماع، مع ملاحظة أنه استعان برسول الله أو أي ولي من الأولياء الميتين سواء عند قبورهم

أو بعيدًا عنها، والدليل على ذلك نقل جمع من أهل العلم عن ابن تيمية قوله: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة كفر إجماعًا.

والحفيد عب لم يذكر الاستعانة ولا الاستعاذة والسبب في ذلك لأنهما دخلتا في أول عبادة ذكرها وهي الدعاء، فالدعاء اسم جامع يشمل الاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والشفاعة.

مسألة: ثم ذكر المصنف الاستعاذة بعد الاستعانة فتكون على حسب ترتيب المصنف (**سادسا**) وما قلنا في الاستعانة نقوله في الاستعاذة لأن معناهما واحد وهما من أنواع الدعاء بشكل عام، لكن الفرق أن الاستعاذة هي الدعاء والطلب عند الخوف من شر أو ضرر سوف يقع أو الدعاء والطلب وقت الشدة والضرورة والضيق، والاستعانة الطلب وقت الأمن وعدم الشدة، وفسرنا الاستعاذة هنا بتفسير عام مزدوج وأدخلنا في تعريفها الاستغاثة لأنها عند الإفراد تجتمع مع الاستعاذة، أما عند التفصيل فهناك فرق بين الاستعاذة والاستغاثة والاستعانة باعتبار الزمن والوقت، فالاستعاذة هي الدعاء والطلب عند الخوف من شر أو ضرر سوف يقع، والاستغاثة هي الدعاء والطلب عند شر أو ضرر قد وقع فدعاء الغريق والحريق استغاثة، ودعاء من توعده أحد بالقتل مثلا استعاذة، والاستعانة الطلب وقت الأمن.

سابعا:

قال المصنف: (**المحبة**):

وهذه لم يذكرها الحفيد وهذا أمر مستغرب لأن المحبة من أهم العبادات.

قال في لسان العرب: الحب نقيض البغض والحب الوداد، والمحبة أيضا

اسم للحب وقاله في النهاية، وتحبب إليه تودد، والتحبب إظهار الحب والإحباب البروك وأحب البعير برك اهـ مختصرا. ويأتي بمعنى ميل النفس وهذا أول مراتب المحبة.

ومن الفروق بين الإرادة والمحبة: أن الإرادة قبل الفعل والمحبة بها الفعل، قال العسكري (ص ١١٦) ليس الرضا من الإرادة في شيء اهـ، تقول أحببت زيدا ولا يقال أردت زيدا، والمحبة تجري مجرى الشهوة فيقال أحب هذا أي اشتهيه ولا يقال في الإرادة اشتهيه، ويجوز أن يريد الشيء مع كراهيته له ولا يقال يحب الشيء مع كراهيته له والإرادة يتعلق بها العزم والمشيئة والاختيار والنية والقصد والهم، ثم الإرادة قبل المحبة.

متى تكون المحبة شركا؟.

مثل ما قلنا في ما يتعلق بالرجاء تماما. ونزيد مثلا: لو أن رجلا ذبح للولي الميت الفلاني فماذا يُسمى؟ ولو كانت زوجة هذا الرجل مسحورة فذبح للولي الميت الفلاني لكي تسلم زوجته فماذا يُسمى؟ هنا تداخل ولا بد من التفريق بينهما في الاسم حتى لا نقع في التداخل أو الغلط في النوعية. فالأول عبادة ذبح لغير الله والثاني محبة شركية ولو قلت إن الأول شرك محبة لكان على هذا التفسير أن كل أنواع العبادة شرك محبة لأن الباعث عليه المحبة، وهذا وإن كان صحيحا في الجملة لكنه على وجه الإجمال أما التفصيل والدقة فلا بد من فرز أنواع العبادة حتى لا يتداخل بعضها عن بعض، وإلا فما فائدة قولنا هذا شرك في الذبح وهذا شرك في النذر وهذا شرك في المحبة وهذا شرك في الخوف إذا كان لا فرق بينها.

أمر أخر مثل ما قلنا في الرجاء أنه يتعلق بالمباحات إذا تحولت إلى شرك في الرجاء فكذلك المحبة تتعلق بالمباحات إذا تحولت إلى شرك في المحبة.

ومن الفروق بين المحبة وبعض العبادات أمثال الذبح والنذر والدعاء أن المحبة الشركية مبنية على ثلاثة أطراف كما مثلنا بالرجل. هذا طرف أول. وزوجته. هذا طرف ثاني. والمذبوح له وهو الولي. طرف ثالث. أما الذبح والنذر فطرفان، الناذر. طرف أول. المنذور له. طرف ثاني. ولا طرف ثالث في عبادة الذبح المحض ولا النذر المحض ولا الدعاء وهكذا، والله اعلم.

ثامنا:

قال المصنف: (**الإنابة**):

ومعنى الإنابة: قال في لسان العرب: وقيل النوب بالفتح القرب خلاف البعد قال ابن الأعرابي النوب القرب ينوبها يعهد إليها، قال والقرب والنوب واحد وقال أبو عمرو القرب أن يأتيها في ثلاثة أيام مرة والحمى النائبة التي تأتي كل يوم، وانتاب الرجل القوم إنتيابا إذا قصدهم وأتاهم مرة بعد مرة وهو ينتابهم وهو افتعال من النوبة وفي حديث صلاة الجمعة كان الناس ينتابون الجمعة من منازلهم، وهو افتعال من آب يؤوب إذا أتى، والنوبة بالضم الاسم من قولك نابه أمر و انتابه أي أصابه، والنوبة الفرصة والدولة، وناب فلان إلى الله تعالى وأناب إليه إنابة فهو منيب أقبل وتاب ورجع إلى الطاعة وقيل ناب لزم الطاعة وأناب تاب ورجع وفي حديث الدعاء وإليك أنبت، والإنابة الرجوع إلى الله بالتوبة وفي التنزيل العزيز ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ أي راجعين إلى ما أمر به غير خارجين عن شيء من أمره وقوله ﷻ ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ أي توبوا إليه وارجعوا.

وفي نهاية غريب الحديث لابن الأثير: وقد ناب ه ينوبه نوبا وانتابه إذا قصده مرة بعد مرة، والإنابة الرجوع إلى الله بالتوبة يقال أناب ينيب إنابة فهو منيب إذا أقبل ورجع.

أما متى تكون الإنابة شركا؟.

الإنابة مبنية على التكرار القريب والرجوع والتوبة والقرب، أما على وجه التفصيل فلا أعلم كيف صورها الشركية، لكن على وجه الإجمال فإذا أناب إلى غير الله فيما هو من خصائص الله فقد أشرك وكذا إذا أناب إلى غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك، وكذا التوبة للولي الميت ونحو ذلك.

مسألة: يمكن أن يقال أن الإنابة تشمل الرجاء والخوف لأنها مبنية أما على الرجاء أو الخوف مثال ذلك إذا جاء إنسان إلى صاحب القبر رجاء ما عنده هذا شرك في الرجاء فإذا كرر العودة يقال أناب والإنابة هنا مبنية على الرجاء والإنابة أعظم من الرجاء مثلا في الذبح خوفًا من الجن هذا شرك فإذا كرر الذبح مرة أخرى يقال أناب يعنى رجع وهذه مبنية على الخوف ولذا الإنابة أعظم من الخوف.

قال المصنف: وقد تصدر الإنابة والتوكل من عابد الوثن بسبب معرفته بالربوبية، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ الآية، وأما عبادته سبحانه بالإخلاص دائمًا في الشدة والرخاء فلا يعرفونها وهي نتيجة الإلهية، إلى أن قال: وأما الصبر والرضا، والتسليم والتوكل، والإنابة، والتفويض والمحبة، والخوف، والرجاء، فمن نتائج توحيد الربوبية، وهذا وأمثاله لا يعرف إلا بالتفكر لا بالمطالعة، وفهم العبارة اهـ من الرسائل الشخصية في المسألة الحادية عشر.

وذكر ابن القيم في الصواعق (٤/ ١٤٣٦) قال: وأما الإنابة إليه فأصل الإنابة محبة القلب وخضوعه وذله للمحبوب المراد فمن لا يحب لا يمكن الإنابة إليه اه فجعلها تابعة للمحبة. وقال مرة في كتابه الفوائد (١ / ١٩٦) فائدة: الإنابة هي عكوف القلب على الله ﷻ كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال والتعظيم وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله ومن لم يعكف قلبه على الله وحده عكف على التماثيل المتنوعة اه.

وقال مرة في طريق الهجرتين (١ /٢٧٢) قاعدة: كثيرا ما يتكرر في القرآن ذكر الإنابة والأمر بها كقوله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ وقوله حكاية عن شعيب أنه قال: ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ وقوله: ﴿ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴾ وقوله عن نبيه داود ﴿ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ﴾ والإنابة الرجوع إلى الله وانصراف دواعي القلب وجواذبه إليه وهي تتضمن المحبة والخشية، فإن المنيب محب لمن أناب إليه خاضع له خاشع ذليل والناس في إنابتهم على درجات متفاوتة: المنيب إلى الله بالرجوع إليه من المخالفات والمعاصي وهذه الإنابة مصدرها مطالعة الوعيد والحامل عليها العلم والخشية والحذر، ومنهم المنيب إليه بالدخول في أنواع العبادات والقربات فهو ساع فيها بجهده وقد حبب إليه فعل الطاعات وأنواع القربات وهذه الإنابة مصدرها الرجاء ومطالعة الوعد والثواب ومحبة الكرامة من الله وهؤلاء أبسط نفوسا من أهل القسم الأول وأشرح صدورا وجانب الرجاء ومطالعة الرحمة والمنة أغلب عليهم وإلا فكل واحد من الفريقين منيب بالأمرين جميعا ولكن خوف هؤلاء اندرج في رجائهم فأنابوا بالعبادات ورجاء الأولين

اندرج تحت خوفهم فكانت إنابتهم بترك المخالفات، ومنهم المنيب إلى الله بالتضرع والدعاء والافتقار إليه والرغبة وسؤال الحاجات كلها منه ومصدر هذه الإنابة شهود الفضل والمنة والغنى والكرم والقدرة فأنزلوا به حوائجهم وعلقوا به آمالهم فإنابتهم إليه من هذه الجهة مع قيامهم بالأمر.... ومنهم المنيب عند الشدائد والضراء فقط إنابة اضطرار لا إنابة اختيار كحال الذين قال الله في حقهم ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ مختصرا.

تاسعا:

ثم قال المصنف: **(والنذر)** الواو هنا للمغايرة فهنا قاعدة في العطف أنه يقتضي المغايرة فالنذر غير الدعاء وإن كانا يشتركان في شيء واحد لأنهما كلاهما عبادة ومعنى النذر أن يلزم المكلف نفسه لله شيئًا ليس واجبًا عليه شرعا، مثل لله عليّ أن أصوم ثلاثة أيام ونحو لك.

ما ضده؟ وضده أن يشرك بالنذر مع الله فيقول:

أ. للولي الفلاني. وهو ميت معظّم. ذبيحه إن شُفي مريضي، هذا نذر لغير الله لم يفرد الله بالنذر، وهو وعد بالشرك بغض النظر عن من يُخاطب.

ب. وفي بعض البلاد شيء يسمى صندوق النذور يوضع في المساجد وأحيانًا عند طرق المزارات والقبور المعظمة ويقصد بهذه النذور هي التي تنذر للأولياء والصالحين الموتى وهذه تعتبر من باب الشرك الأكبر وهي ليست نذرًا لله أنها هي نذر للولي الفلاني.

ج .أن يوجه الخطاب للولي المقبور وغيره من الأموات يقول: يا ولي إن شفيتني أنت وعافيتني من المرض فلك من المال كذا ومن الذبائح كذا، وهذه أعظم صوره لأنه شرك أكبر في الربوبية لأنك جعلته شافيًا معافيًا وشرك أكبر في الألوهية، لصرفك النذر له.

د .أن يوجه الخطاب للولي فيقول يا ولي الله إن شفى الله مريضي. فلك من المال أو الذبائح كذا وهذا شرك أكبر في الألوهية.

هـ .أن يوجه الخطاب للولي فيقول يا ولي الله توسط لي أو شفع لي عند الله بالشفاء من مرضي ولك من المال أو الذبائح كذا وهذا شرك أكبر وفي الألوهية.

وهذه الصور الثلاث الخطاب موجه للولي بياء النداء، وهناك صورة أخرى موجه الخطاب إلى الله تعالى لكن بصرف النذر لغيره تعالى وهي كالتالي:

أن يقول يا الله إن شفيت مريضي. أو عافيتني فللولي الفلاني .الميت المعظم . كذا من المال أو الذبائح ونحوها وهذا شرك أكبر في الألوهية لأنه صرف النذر والتزامه للولي الفلاني تعظيمًا له .وانتبه لمناط التعظيم .ولأنه اتخذه واسطة إلى الله لتحقيق مراده، فجمع بين عبادتين التعظيم والتشفع والتوسط بالأولياء والصالحين الموتى واتخاذهم شفعاء ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾.

عاشرًا:

ثم قال المصنف: **(والذبح)** يقصد بالذبح أو بالنحر هي إراقة الدماء تقربًا أو تعظيما وإذا ذبح لله هذا توحيد أفرد الله بهذه العبادة، وضده أن يذبح لغير الله ومن أمثلة ذلك:

أ . **الصورة الأولى**: كالذبح للأولياء المقبورين فيأتي بذبيحه ويريقها عند قبره له.

ب . **الصورة الثانية**: الذبح للجن، لماذا؟ لكي يكفوا شرهم ألا يؤذوه، أو يخرجوا من أطفاله وأهله ونفسه ونحوه هذا شرك أكبر لأنه ذبح لغير الله.

ج . **الصورة الثالثة**: وهي قضية معاصرة وهي الذبح للملوك والرؤساء عند طلعتهم وقدومهم أمامهم إما تعظيمًا لهم أو لكي يكسب رضاهم أو شيئًا من أموالهم، والحكم مناط بالذبح لهم عند طلعتهم بغض النظر عن ما في اعتقاده، والمقصود أن يذبح لهم أي يريق الدم أمامهم أو عند طلعتهم، وهذه تسمى الذبح عند قدوم السلطان فإذا مرّ السلطان ذبحوا فتكون إراقة الدماء مرتبطة بقدومه أو مروره وذكر الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في كتاب التيسير في باب الذبح لغير الله أن هناك من العلماء من أفتى بتحريمه وأنه مما أهل به لغير الله اهـ وهذا من الشرك الأكبر، وقوله مما أهل به لغير الله قرينة على أنهم أرادوا أنها عبادة ذبحت لغير الله.

د . ومن القضايا المعاصرة ذبح الصلح وذبح الاسترضاء، وهو أن يأتي بذبيحة إلى عتبة من وقعت له معه خصومة أو يريد أن يسترضيه وينتظر حتى إذا خرج من بابه ذبح له حتى يقع الصلح أو الاسترضاء وهذا موجود عند بعض القبائل، وهو شرك أكبر مخرج من الملة وهو مثل الذبح للملوك عند طلعتهم.

الحادية عشرة:

ثم قال المصنف: **(الرغبة)**:

الرغبة هذه عباد قريبة من عبادة الرجاء، ولذا لو كان ترتيبها بعد الرجاء لكان أحسن، لأن جمع الأشياء المتقاربة مع بعضها البعض أولى وأحسن، ولأن

الرغبة هي رجاء وزيادة، والرجاء الشديد يسمى رغبة إلا أن الرغبة والله أعلم معها حب وميل فهو تطلع القلب إلى الخير المظنون مع محبة تتطلع إليه، ونوع التطلع أنه أشد ولذا دعاء الرغبة يكون فيه إطالة في الدعاء وتودد ومثله صلاة الرغبة فها إطالة ومحبة. ولذلك الكلام في الرغبة تمامًا مثل الكلام في الرجاء وقد سبق.

الثانية عشرة:

ثم قال المصنف: **(والرهبة)**: والرهبة عبادة قريبة من الخوف ولو ألحقت بالخوف لكان أحسن، ولذا الرهبة هي الخوف وزيادة، قال العسكري في الفروق (ص ٢٠٠): (الرهبة طول الخوف واستمراره ومن ثم قيل للراهب راهب لأنه يديم الخوف، وجمل راهب إذا كان طويل العظام وقال الرهبة العلم بوقوع الضرر). إذًا يُقصد به الخوف الشديد فإنه يسمى رهبة، وما قلنا في الخوف يقال هنا في الرهبة.

الثالثة عشرة:

ثم قال المصنف: **(الخشوع)**: . وهذه لم يذكرها عب ..

قال في لسان العرب: خشع يخشع خشوعا و تخشع رمى ببصره نحو الأرض وغضه وخفض صوته، ويقال خشع بصره انكسر، واختشع إذا طأطأ صدره وتواضع، وقيل الخشوع قريب من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن وهو الإقرار بالاستخذاء و الخشوع في البدن والصوت والبصر. كقوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾، وقوله ﷻ: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ أي سكنت وكل ساكن خاضع خاشع، والتخشع نحو التضرع و الخشوع الخضوع

والخاشع الراكع في بعض اللغات والتخشع تكلف الخشوع والتخشع لله الإخبات والتذلل، وقيل هو ما غلبت عليه السهولة أي ليس بحجر ولا طين، والخاشع من الأرض الذي تثيره الرياح لسهولته فتمحو آثاره، وقال الزجاج وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ قال الخاشعة المتغبرة متهشمة النبات وبلدة خاشعة أي مغبرة لا منزل بها، وإذا يبست الأرض ولم تمطر قيل قد خشعت قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ والعرب تقول رأينا أرض بني فلان خاشعة هامدة ما فيها خضراء ويقال مكان خاشع وخشع سنام البعير إذا أنضوى فذهب شحمه وتطأطأ شرفه وجدار خاشع إذا تداعى واستوى مع الأرض، وخشع الرجل صدره إذا رمى به ويقال خشعت الشمس وخسفت بمعنى واحد وقال أبو صالح الكلابي خشوع الكواكب إذا غارت وكادت تغيب في مغيبها.

وقد يطلق على الركوع والسجود خشوع، قال في غريب الحديث لابن قتيبة: وإنما قيل للواضع جبهته بالأرض ساجدا لتطامنه ويجوز إن سمي ساجدا لخشوعه وذله، وكل شيء خشع وذل فقد سجد ومنه سجود الظلال إنما هو استسلامها لما سخرت له.

قال العسكري في الفروق: (ص ٢٠٦) إن الخشوع على ما قيل فعل يرى فاعله أن من يخضع له فوقه وأنه أعظم منه، والخشوع في الكلام خاصة والشاهد قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ وقيل هما .أي الخضوع والخشوع .من أفعال القلوب، وذكر أن الخضوع يكون في الكلام والمطأطئ الرأس والعنق ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ وعند بعضهم أن الخشوع لا يكون إلا مع خوف الخاشع المخشوع له ولا يكون تكلفا ولذا يضاف إلى القلب، والخضوع هو

التطامن والتطأطؤ ولا يقتضي أن يكون معه خوف ولهذا لا يجوز إضافته إلى القلب فيقال خضع قلبه وقد يجوز أن يخضع الإنسان تكلفا من غير أن يعتقد أن المخضوع له فوقه ولا يكون الخشوع كذلك، وجعله عند الاجتماع أن الخضوع في البدن والإقرار بالاستجداء والخشوع بالصوت اه مختصرا .....

أما متى يكون الخشوع شركا؟.

أما إن خشع خشوعا صورته عبادة محضة فهذا شرك أكبر لكن اسمه ونوعه يتبع صورة العبادة، فمثلا قد يطلق على السجود خشوع كما قال ابن قتيبة، فهنا يقال أشرك شركا أكبر ونوع الشرك لأنه سجد لغير الله.

وإن وقف ساكنا مطأطأ الرأس والبصر. هامد الحركة خافض الصوت أمام القبور المعظمة التي تعبد من دون الله بالذبح والنذر ونحو ذلك فهذا شرك أكبر. وما عدا ذلك فهو محل بحث عندي في كونه أكبر أم لا؟ والله أعلم.

لكن لا بد من مراعاة مسألة القلب عند الحكم على الخشوع أو الخضوع إن كان الفعل المحكوم عليه ليس صورته صورة عبادة محضة، ولذا قال العسكري فيما سبق: إن الخشوع على ما قيل فعل يرى فاعله أن من يخضع له فوقه وأنه أعظم منه اه المقصود.

قال الشيخ عبد الله ابا بطين في الدرر (٢ / ٢٨٩) في تعريف العبادة قال عن ابن القيم أنه عرف العبادة: بتوحيد المحبة، مع خضوع القلب، والجوارح؛ فمن أحب شيئًا، وخضع له، فقد تعبد قلبه له، فلا تكون المحبة المنفردة، عن الخضوع عبادة، ولا الخضوع بلا محبة عبادة؛ فالمحبة والخضوع: ركنان للعبادة، فلا يكون أحدهما عبادة بدون الآخر، فمن خضع لإنسان مع بغضه له، لم يكن عابدًا له؛ ولو

أحب شيئًا، ولم يخضع له، لم يكن عابدًا له؛ كما يحب ولده، وصديقه؛ ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة الكاملة، والذل التام إلا الله سبحانه اهـ.

الرابعة عشرة:

ثم قال المصنف: (التذلل): . وهذه لم يذكرها عب..

قال في مختار الصحاح: الذل ضد العز، والذل بالكسر- اللين وهو ضد الصعوبة يقال دابة ذلول بينة الذل، وقوله تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ أي سويت عناقيدها ودليت و تذلل له أي خضع. اه ويأتي بمعنى المنقاد وخشع وخنع وخضع واستسلم.

وقال العسكري في الفروق (ص ٢٠٦): أن التذلل إظهار العجز عن مقاومة من يتذلل له.... وهناك فرق بين التذلل والذلة، فالتذلل هو إدخال النفس في الذل كالتحلم إدخال النفس في الحلم، والذليل المفعول به الذل من غيره، وهو الانقياد كرها ونقيضه العز، ولهذا يمدح الرجل بأنه متذلل ولا يمدح بأنه ذليل لأن تذلله لغيره اعترافه له والاعتراف حسن ويقال للعلماء متذللون لله تعالى ولا يقال اذلاء له سبحانه اه.

أما متى يكون التذلل شركا؟. فالجواب أن ما قلنا في الخشوع والرجاء يقال هنا.

أ. فإن تذلل له بعبادة كسجود ونحوه فهذا شرك أكبر.

ب. فإن تذلل له فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك أكبر.

ج. فإن تذلل للأموات والغائبين فهذا شرك أكبر.

د. فإن تذلل له فيما لا يُصرف إلا لله فهذا شرك أكبر.

الخامسة عشرة:

ثم قال المصنف: (**التعظيم**): . وهذه لم يذكرها عب..

التعظيم يأتي بمعنى التكبير والتوقير والسجود والتبجيل، والشيء العريض والكثير والصلب يسمى عظيما. (منتقى من لسان العرب).

وجاء في النهاية في غريب الحديث عند كلمة صلاة قال: وقيل إن أصل الصلاة في اللغة التعظيم وسميت العبادة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الرب تعالى.

أما متى يكون التعظيم شركا؟.

فمثل ما قلنا في الخشوع، فنقول: أما إن عظم تعظيما صورته عبادة محضة فهذا شرك أكبر لكن اسمه ونوعه يتبع صورة العبادة، فمثلا قد يطلق على السجود تعظيم كما جاء في لسان العرب، فهنا يقال أشرك شركا أكبر ونوع الشرك لأنه سجد لغير الله. أو طاف على القبور المعظمة أو ذبح أو نذر لها ونحو ذلك فهذا شرك أكبر.

ب. أو عظم أحدا كما يعظم الله فهذا شرك أكبر.

السادسة عشرة:

وهي من الزوائد مما زاده عب على المصنف وهي: (**التوكل**): والتوكل عبادة قلبية وهي الاعتماد فإذا توكل على الله فهذا توحيد.؟

ومتى يكون التوكل شركًا؟ يكون في الحالات التالية:

أ. أن يعتمد على المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله.

ب. أن يعتمد على الأموات والمقبورين.

ج. أن يعتمد على الغائبين فيما لا يقدرونه.

❁ ❁ ❁

فصل

ثم قال المصنف: ودليل الدعاء قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ الشاهد قوله ادعوني هذا دعاء وقوله عن عبادتي الأصل أن يقول إن الذين يستكبرون عن دعائي مما يدل على أن الدعاء عبادة وفيه دليل على كفر من دعاء غير الله وأنه يدخل جهنم داخرًا، كما قال: ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

ثم قال المصنف: وكل نوع من هذه الأنواع عليه دليل من القرآن، ونقول أيضًا ومن السنة يوجد لكن المصنف ترك ذلك اختصارًا.

❁ ❁ ❁

فصل

المتن:

قال المصنف وأصل العبادة تجريد الإخلاص لله تعالى وحده، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وقوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. وهذه الآية لم يذكرها عب وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ وقوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ ثم قال عب والآيات معلومة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

الشرح:

قول المصنف: (وأصل العبادة: تجريد الإخلاصً لله تعالى وحده وتجريد المتابعة للرسول ﷺ) قوله: وأصل العبادة المقصود بالأصل هنا هل يقصد به أركان العبادة أم شروطها؟.

العبادة لها أصلان: الإخلاص والمتابعة، وكلمة أصل تطلق أحيانًا على الأركان وأحيانًا تطلق على الشروط فالأركان أصول والشروط أصول لكن هنا لم يفسر المصنف ماذا يقصد بالأصل؟ ويمكن الاجتهاد أنه يقصد به الشروط لا

الأركان لأن ركني العبادة هو التذلل والخضوع فمن تذلل وخضع يقال له عبد، أما إخلاصه ومتابعته فهذا أمر زائد على العبادة لكنه ليس زائدًا فضله، بل زائدا على الركنيّه وهو شرط فيها، وهو من شروط العبادة الصالحة النافعة، فهو شرط في باب الصلاح والنفع للعبادة، وعلى ذلك يقصد بأصل العبادة هنا أي شروط الصلاح والنفع، والألف ولاّم في العبادة للخصوص وهي أصل العبادة النافعة والشرعية.

وأصل العبادة تجريد الإخلاص هذا الشرط الأول لأن الإنسان قد يُسمى عابدًا لكن غير مخلص فالمرائي عابد لكن عبادته باطلة.

(الإخلاص لله تعالى) كلمة إخلاص هنا ماذا يراد بها؟ هل معنى الإخلاص ما هو ضد الرياء أم ما هو ضد العمل الصالح لأجل الدنيا؟ أم ما هو ضد التوحيد وهو الشرك؟.

يحتمل هذا ويحتمل هذا، فإن معنى كلمة الإخلاص لها عدة معاني كما سبق ويحدد ذلك السياق، والمراد بالإخلاص هنا في هذا السياق يراد بالإخلاص أي عدم الشرك لأن أعظم شروط العباد أن لا يكون فيها شرك وليس أن لا يكون فيها رياء فقط بل أعم من ذلك.

الشرط الثاني: تجريد المتابعة للرسول ﷺ، والمتابعة معناها إفراد الرسول بالمتابعة والاقتداء، فمن تابع من خالف الرسل فقد نقص عنده هذا الشرط ومعنى متابعة الرسول أن يكون تبعًا لأوامر الرسول ونواهيه ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾.

قال في الدرر (٢ / ١٣٠) المسألة كبيرة؛ ولما ذكر الإمام أحمد الصدق، والإخلاص، قال: بهما ارتفع القوم؛ ولكن يقربهما إلى الفهم: التفكر في بعض أفراد العبادة، مثل الصلاة، فالإخلاص فيها، يرجع إلى إفرادها عما يخالطها كثيرا، من الرياء، والطبع، والعادة، وغيرها، والصدق، يرجع إلي: إيقاعها على الوجه المشروع؛ ولو أبغضه الناس لذلك، وحديث البطاقة: أنه رزق عند الخاتمة قولها، على ذلك الوجه؛ والأعمال بالخواتيم؛ مع أن على بقية إشكال، والله أعلم(فائدة ومن كلام المصنف هذا يتضح ما هو ضد الإخلاص).

قال الحفيد عب في الدرر (٢ / ٢٤٩) فذكر: أصل العبادة، التي يصلح العمل مع حصولها، إذا كان على السنة، فذكر قطبيها، وهما: غاية المحبة لله، في غاية الذل له؛ والغاية تفوت بدخول الشرك، وبه يبطل هذا الأصل، لأن المشرك، لابد أن يحب معبوده، ولابد أن يذل له، ففسد الأصل بوجود الشرك فيه، ولا تحصل الغاية فيهما إلا بانتفاء الشرك، وقصر المحبة والتذلل لله وحده؛ وبهذا تصلح جميع الأعمال المشروعة، وهي المراد بقوله: وعليهما فلك العبادة دائر، والدائر هي الأعمال، ولا تصلح إلا بمتابعة السنة اهـ.

مسألة: هذا الأمر فيه قضايا معاصرة: أ . منها جعل الحكام بمنزلة الرسول يتابَعون في أوامرهم ونواهيهم الصادرة منهم حتى لو خالفت الشرع.

ب . ومنها تنزيل النظام منزلة الرسول في التمشي مع الأنظمة ولو خالفت أمر الشرع ج . ومنها تنزيل العادات والتقاليد والسلوم منزلة الرسول في الطاعة والاتباع ولو خالفت الشرع.

كل هذه الثلاثة وأمثالها مضادة ومخالفة لهذا الشرط العظيم في العبادة وهو شرط تجريد المتابعة للرسول ﷺ.

وتولد عن الفقرة (أ) و (ب) ما يُسمى بتيار الولاتيّة المعاصرة أو الإمامية المعاصرة أو الحُكّاميّة المعاصرة، وهم الذين يرون اتباع مذهب الحاكم أو الإمام السياسي أو ولي الأمر وإن خالف الشرع وضاد الشريعة ومحاربة من لم يخضع لهذا التوجه وسجنه ومنعه من الإفتاء والدروس والتأليف وتسميته بخارجي أو إرهابي أو صاحب فتنة أو حروري أو محارب لله ورسوله أو تكفيري أو غالي أو هالك تالف أو خَلفِي أو تَلفِي... الخ من الألقاب التي ظلموا بها أهل الحق، وإنما يصدون عن سبيل الله.

ثم ذكر المصنف الأدلة: الدليل الأول على الإخلاص وهي خمسة أدلة:

أ. قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾.

ب ـ وقوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ . وهذه الآية لم يذكرها عب .. وظاهر هذه الآية أنها تصلح للمسألتين المتابعة لقوله: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ ﴾ وتصلح للإخلاص لقوله: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ ﴾ ووجه أن مقتضى الإيمان أن يكون بإخلاص. ولما كانت تصلح لهذا وهذا تركها الحفيد ولم يذكرها.

ج. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾.

د . وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾.

هـ . وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ ثم قال عب والآيات معلومة.

أما الآيات في شرط المتابعة فهي:

أ. قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾.

ب . وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

تتميما للفائدة نذكر ما قاله الحفيد وبابطين في أركان العبادة نقلا عن ابن القيم مع الانتباه لما قلنا سابقا: قال الحفيد عبد الرحمن في الدرر (٢ / ٢٥٠):

وأما تعريف التوحيد، فقد ذكره ابن القيم، رحمه الله تعالى، في؛ الكافية الشافية، بقوله:

فالصدق والإخلاص ركنا ذلك التو حيد كالركنين للبنيان

وحقيقة الإخلاص توحيد المراد فلا يزاحمه مراد ثان

والصدق توحيد الإرادة وهو بذل الجهد لا كسلا ولا متوان

ثم ذكر توحيد المتابعة فقال:

والسنة المثلى لسالكها فتوحيد الطريق الأعظم السلطان

فلواحد كن واحدًا في واحد أعني طريق الحق والإيمان

وقد ذكر؛ شيخ الإسلام، ابن تيمية رحمه الله، الإخلاص، بمثل ما ذكره ابن القيم، رحمه الله، فقال: الإخلاص: محبة الله، وإرادة وجهه اهـ.

وقال أبا بطين: (٢ / ٢٩٥) ودل كلام ابن القيم رحمه الله: أن توحيد العبادة، أعم من الإخلاص، حيث قال:

فلواحد كن واحدًا في واحد	**أعني سبيل الحق والإيمان**
هذا وثاني نوعي التوحيد تو	**حيد العبادة منك للرحمن**
أن لا تكون لغيره عبدًا ولا	**تعبد بغير شريعة الإيمان**
فتقوم بالإسلام والإيمان والـ	**ـإحسان في سر وفي إعلان**
والصدق والإخلاص ركنا ذلك الت	**ـوحيد كالركنين للبنيان**

إلى أن قال:

وحقيقة الإخلاص توحيد المرا	**د فلا يزاحمه مراد ثان**
والصدق توحيد الإرادة وهو بذ	**ل الجهد لا كسلًا ولا متوان**
والسنة المثلى لسالكها فتو	**حيد الطريق الأعظم السلطان**

فقوله رحمه الله: والصدق، والإخلاص، ركنا ذلك التوحيد، جعل الإخلاص، أحد ركني العبادة، والصدق ركنه الآخر، وفسر الصدق بما ذكر؛ وقال في بعض كلامه: ومقام الصدق، جامع للإخلاص؛ فعرفنا رحمه الله: أن توحيد العبادة، أعم من الإخلاص اهـ المراد.

❁ ❁ ❁

فصل

المتن:

الأصل الثالث: وهو توحيد الذات، والأسماء والصفات، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

الشرح:

قال المصنف: (الأصل الثالث) قوله الأصل الثالث يعني من أصول التوحيد والمصنف رحمه الله آخر هذا الأصل وجعله الثالث وبدأ بتوحيد الربوبية وانتهى بتوحيد الأسماء والصفات وقد سبق أن تكلمنا عن هذه المسألة.

ثم قال المصنف: (فهو توحيد) هو ضمير يعود على الأصل الثالث على الأسماء والصفات وتوحيد مصدر من وحد يوحد توحيدًا وقد سبق ذكر ذلك، ثم ذكر المصنف ثلاثة يجب إفراد الله بها هذا ا لثلاثة موجودة في قول المصنف: (الذات والأسماء والصفات) وهناك لفظه غريبة غير معتادة وهي كلمة الذات هذه غير معتادة من تعبيرات المصنف فيما أعلم وغير معتادة من تعبيرات أئمة الدعوة أو على أقل تقدير أنها نادرة، وقد جاءت كلمة توحيد الذات أيضا عن حسين وعبد الله ابني الشيخ: محمد بن عبد الوهاب وحمد بن ناصر بن معمر في الدرر (٢ / ١٥٥)... والشأن كل الشأن، في معرفة: حقيقة التوحيد، الذي بعث الله به رسوله، وبه يكون الرجل مسلما، مفارقا للشرك وأهله؛ وذلك: لأن كثيرا

من المصنفين، إذا ذكر التوحيد لم يبينه، وقد يفسره بتوحيد الربوبية، الذي أقر به المشركون؛ ومنهم من يفسره: بتوحيد الذات، والصفات؛ وذلك وإن كان حقا، فليس هو المراد من توحيد العبادة، الذي هو معنى: لا إله إلا الله اهـ.

وفسرها ابن سحمان فقال لما وسئل رحمه الله في الدرر (٢ / ٣٦٢): عن الفرق، بين التوحيد العلمي الخبري، والتوحيد الإرادى الطلبي؟.

فأجاب: الفرق بينهما، **الأول**: هو توحيد الأسماء والصفات؛ **والثاني**: هو توحيد الإلهية؛ ثم وجدت لابن القيم رحمه الله، ما لفظه: وأما التوحيد، الذي دعت إليه الرسل، وأنزلت به الكتب، فهو: نوعان؛ توحيد: في المعرفة، والإثبات؛ وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى، وأسمائه وصفاته، وأفعاله، وعلوه فوق سماواته على عرشه وتكلمه، وتكليمه، لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمه؛ وقد أفصح القرآن عن هذا النوع حد الإفصاح، كما في أول سورة: الحديد، وسورة: طه، وآخر: الحشر، وأول: تنزيل السجدة، وأول آل عمران، وسورة: الإخلاص، بكمالها، وغير ذلك النوع الثاني: ما تضمنته سورة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ الآية وأول سورة: تنزيل الكتاب، وآخرها، وأول سورة: يونس، ووسطها، وآخرها وأول سورة: الأعراف، وآخرها، وجملة سورة: الأنعام، وغالب سور القرآن؛ بل كل سورة في القرآن، فهي: متضمنة لنوعى التوحيد.

بل نقول قولًا كليًا: إن كل آية في القرآن، فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وأفعاله؛ فهو التوحيد

العلمي الخبري؛ وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى اهـ.

لكن لعل المصنف تبع البخاري في تبويبه في ذكر الذات حيث قال البخاري في كتاب التوحيد: باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله.

فهل معنى ذلك أن هذه الثلاثة متغايرة؟ أما الأسماء والصفات فنعم بمعنى أن لله أسماء كالعزيز و الحكيم وله صفات كالعزة والحكمة، يبقى كلمة الذات بمعنى إفراد الله بالذات، فما معنى إفراده بالذات؟ أي والله أعلم أنه ذات واحدة بائنة عن خلقه، ويحتمل أن المصنف أراد الرد على أهل الحلول والاتحاد الذين يقولون إن الله حال في خلقه أو متحد، وهؤلاء كانوا موجودون في عصر المصنف في الخرج ومعكال كما ذكرهم في تاريخ نجد في بعض رسائله.

وأهل البدع يعرفون توحيد الذات بأنه غير منقسم أي ذات واحدة غير منقسمة ولذلك يقولون واحد في ذاته لا قسيم له يريدون مقصدا باطلًا وهو نفي الصفات خصوصا الصفات الذاتية.

قال ابا بطين: قال شيخنا عبد الرحمن: الدرر (٢ / ٣٠٧) النوع الثاني: الشرك في أسمائه، وصفاته؛ ومنه تشبيه الخالق بالمخلوق، كمن يقول: يد، كيدي؛ وهو شرك المشبهة اهـ.

مسألة: توحيد الذات غير مسألة إثبات الذات لله تعالى، والذي قصد المصنف الأول ولكن لم يقصد الأول إلا وهو مثبت للثاني، فالذات ثابتة لله تعالى، فيقال ذات الله أو الذات الإلهية ويدل عليه:

أ. قول خبيب الأنصاري في شعره المعروف رواه البخاري:

وذلـــك في ذات الإلـــه وإن يشـــأ يبـــارك علـــى أوصـــال شـــلو ممـــزع

ب .عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله عز وجل متفق عليه.

ج .والبخاري في صحيحه في كتاب التوحيد قال باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله وقال خبيب وذلك في ذات الإله فذكر الذات باسمه تعالى اهـ.

د .قال قوام السنة الأصبهاني في كتابه الحجة في بيان المحجة قال: فصل في ذكر الذات.

وقال المصنف: (الأسماء و الصفات) المصنف هنا قدم الأسماء على الصفات وهذا تقديم جيد لأن الأسماء هي الأصل والصفات فرع عنها ولذا كل اسم يؤخذ منه صفة وهل يؤخذ من الصفات أسماء؟ وهل يؤخذ من أفعال الله أسماء؟. وأيهما الأصل الصفات أم الأسماء؟

أما قدماء السلف فإنهم يجوزن أن يؤخذ من الصفات والأفعال أسماء لله تعالى، فإن بعض السلف أخذوا من الأفعال ومن الصفات أسماء مثل قوله تعالى: ﴿يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ قال يؤخذ منه أسم (الباعث) مع أن يبعث صيغة فعل، ومثل قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ وهذه صيغة فعل يبقى أخذوا منها الباقي.

وممن اختار هذا القول:

أ. اختاره جعفر الصادق من آل البيت فإن له جمعا في أسماء الله تعالى ذكرها

الحافظ ابن حجر في فتح البارئ في كتاب الدعوات آخر باب من كتاب الدعوات في البخاري باب إن لله تسعة وتسعين اسمًا، فمما ذكر اسم الباعث والباقي والمبديء والمعيد وهذه ما خوذة من الأفعال.

ب . وأختاره سفيان بن عيينة حيث أقر جمع أبي زيد اللغوي في جمعه لأسماء الله ذكرها الحافظ ابن حجر في فتح البارئ في كتاب الدعوات آخر باب من كتاب الدعوات في البخاري باب إن لله تسعة وتسعين اسمًا، منها: المبديء والمعيد والمحيي والمميت.

د . والخطابي في كتابه شأن الدعاء، منها: الباعث والباقي والمبديء والمعيد والبادئ والدائم والرشيد والمنتقم.

هـ . وقال به ابن مندة في كتاب التوحيد، منها: الرشيد والباعث والباقي والقاضي.

و . والحليمي في كتابه المنهاج في شعب الإيمان وأقره عليه البيهقي في كتابه الأسماء والصفات، منها: الباعث والباقي والذارئ والطالب والغياث والقاضي والمحصي.

ز . قوام السنة إسماعيل الاصبهاني في كتابه الحجة ومنها: البادئ والباعث والباقي والذارئ والمغيث والمقسط.

ح . ابن العربي في كتابه أحكام القرآن عند آية (والله الأسماء الحسنى) ومنها: الباقي والغيور والمحصي والممتحن.

ط . ابن القيم في النونية ذكر: الرشيد والحسيب والكفيل والمحيي والمميت

والمغيث والمنتقم والمنعم، والسعدي في تفسيره: الرشيد والمبدئ والمعيد. وبعضها مأخوذة من الفعل مثل: المحيي والمميت.

ي .قول أبي أحمد بن الحسين الشافعي المعروف بابن الحداد فقد ذكر أسماء منها: المحيي المميت الباعث الطالب الغالب المثيب المعاقب.

ك .الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقد ذكر في كتاب التوحيد باب التسمي بقاضي القضاة، وأن هذا الاسم لا يجوز لأنه مشابهة لله في أسمائه. ومثل ما جاء في الدرر (١/ ٣٢٧) عن الحفيد عب قال شيخنا شيخ الإسلام:محمد بن عبد الوهاب: ﷫ من أعجب العجائب، وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغالب: ستة أصول، بينها الله تعالى بيانًا واضحًا للعوام ثم ذكرها اهـ.

القول الثاني:

وهو قول المتأخرين من السلف وهو شبه إجماع عند المتأخرين، وأكثر من قعّده وذكره ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله ثم تابعهما المتأخرون لا يكاد يشذ أحد في هذا العصر على أنه لا يؤخذ من الصفات ولا من الأفعال أسماء، ولذا ينكرون التسمية (بالباقي أو الباعث وأمثالها) ويقولون إن الأصل هو الأسماء وإن الأسماء توقيفية كما جاء في القاعدة ويستدلون بحديث (كل اسم سميت به نفسك) لابد أن يكون الله هو الذي سمى نفسه، لا أن الخلق سموه به.

مسألة: لكن نذكر بعض أسماء الله التي يظن بعض الناس أنها ليست بأسماء:

أـ مثل ما يسمى بالأسماء المصدرة بذو مثل: ذو القوة ذو الجلال ذو الطول... ونحوه هذه أسماء وبعض الناس يظنها صفات فقط، مع أننا في الدعاء نقول يا ذا الجلال وفي باب الذكر نقول سبحان ذي الجلال، وكذا باب الثناء.

ب .من الأسماء أيضًا المصدرة بخير مثل خير الوارثين، خير الفاتحين، خير الحاكمين هذه من أسماء الله.

ج .وكذلك الأسماء المصدرة بأفعل تفضيل مثل أحكم الحاكمين، أرحم الراحمين فهذه أسماء لله.

د .ومثل الأسماء المضافة في غير ما سبق مثل ملك الملك وخالق الحبِ وفاطر السموات، ونور السموات كل هذه أسماء لله.

واخترنا هذه الأنواع من الأسماء لأنه قد يقع فيها الجهل فينفى أنها من أسماء الله وهي أسماء لله في أبواب مثل باب الدعاء تقول يا ذا الجلال وتقول يا فاطر السموات والأرض ويا أرحم الراحمين هذا **الأول**.

ثانيا: في باب ا لذكر فنقول سبحان الله ذي الجلال، سبحان الله خير الفاتحين، والحمد لله فاطر السموات.

ثالثا: في باب ا لثناء تثنى على الله ﷻ نقول الحد لله ذي الجلال، والحمد لله رب العالمين والحمد له خير الفاتحين.

رابعًا : في باب الخبر فتخبر عن الله وتذكر هذه الأسماء مخبرًا عنه تعالى.

بقي باب وهذا الباب هو ما يسمى باب التعبيد أي أسماء للخلق المبدوءة بعبد، أما هذا الباب فلا يُعبد الخلق إلا بالأسماء المقطوعة وهي المفردة التي ليست مضافة مثل العزيز، الحكيم مثلا أن يقال عبد الله وعبد العزيز وعبد الحكيم وعبد الرؤوف، وقد يقول قائل لماذا خصصتم هذا الباب ولم تجيزوا أن تقولوا عبد ذي الجلال اسمًا ولا عبد فاطر السموات والأرض اسما؟.

قلنا التفريق لأنه ليس عليه العمل فغير معهود في أسماء المسلمين أنهم سموا أو عبّدوا بالأسماء المضافة، وعدم الذكر هنا نقلًا للعدم مع توفر الأسباب، ولو راجعت مثلًا كتاب الإصابة في أسماء الصحابة واستعرضت الأسماء المبدوءة بعبد مثل عبد الله ونحوها لما وجدت تعبيدا بالأسماء المضافة أو المصدرة بذي وخير أو أفعل تفضيل ومثله كتاب الكمال في أسماء الرجال وكتاب تهذيب التهذيب وغيرها من الأسماء المهتمة بأسماء الصحابة وعلماء الأمة والقرون المفضلة لم تجد ذلك، هذا ما ظهر لي والله أعمل فإن تبين شيء غير ذلك يمكن القول به والله أعلم إلا أن هناك اسما يتردد كثيرًا خصوصًا في الأحاديث وهو من التابعين وهو اسم عبد خير وهذا يروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولا أدري كلمة خير مختصرة من اسم خير الفاتحين مثلًا أم غير مختصرة فلا أدري عن ذلك؟ ويمكن بحث هذه المسألة.

مسألة: المصنف هنا قال ثلاث كلمات: توحيد الذات والأسماء والصفات، وبعضهم يضيف كلمة رابعة ويقول الأفعال، قال ابن سحمان لما وسئل رحمه الله في الدرر (٢ / ٣٦٢): عن الفرق، بين التوحيد العلمي الخبري، والتوحيد الإرادى الطلبي؟.

فأجاب: الفرق بينهما، **الأول**: هو توحيد الأسماء والصفات؛ **والثاني**: هو توحيد الإلهية؛ ثم وجدت لابن القيم رحمه الله، ما لفظه: وأما التوحيد، الذي دعت إليه الرسل، وأنزلت به الكتب، فهو: نوعان؛ توحيد: في المعرفة، والإثبات؛ وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى، وأسمائه وصفاته، وأفعاله، وعلوه فوق سماواته على عرشه وتكلمه، وتكليمه، لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمه اهـ المقصود. والشاهد ما تحته خط.

ثم ذكر المصنف أدلة وهي ثلاثة أدلة على توحيد الذات والأسماء والصفات قال المصنف وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ سورة الإخلاص كاملة أما الدليل الأول ففيها من الأسماء، الله والأحد والصمد، وفيها من الصفات: لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، ففيها ثلاثة أسماء وثلاث صفات منفية تتضمن الإثبات والكمال.

قال المصنف وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وهذا الدليل الثاني والآية الثانية واللام في لله للاختصاص وللاستحقاق والألف واللام في الأسماء للاستغراق أي كل أسماء الله حسنى، وأسماء الله أحسن شيء كل باب في بابه، ففي باب العزة والغلبة له أحسنها وهو العزيز وفي باب المكر له أحسنها وهو المكر بالماكرين، فأحسن المكر أن يمكر الماكرين وقوله: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ سواء كان دعاء مسألة أو دعاء عبادة.

قال المصنف: وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ هذا الدليل الثالث والآية الثالثة وفيها من الأسماء السميع والبصير.

❁ ❁ ❁

فصل

ولخص الحفيد عبد الرحمن أنواع التوحيد الثلاثة فقال في الدرر (٢ / ٢٥٠): وأما أقسام التوحيد، فهي: ثلاثة؛ توحيد الإلهية، وهي: العبادة، كما تقدم؛ فهي تعلق بأعمال العبد، وأقواله الباطنة، والظاهرة، كما قال شيخ الإسلام، ابن تيمية: العبادة اسم جامع، لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال، الباطنة والظاهرة؛ فمن صرف منها شيئا لغير الله، فهو مشرك بالله؛ فهذا هو الذي أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب بالإنذار عنه، وترتبت عليه عقوبات الدنيا والآخرة، في حق من لم يتب منه.

ويسمى هذا التوحيد، إذا كان لله وحده: توحيد القصد، والطلب، والإرادة؛ وهو: الذي جحده المشركون من الأمم؛ وقد بعث الله نبينا محمدا ﷺ بالأمر به، والنهي عما ينافيه من الشرك؛ فأبى المشركون إلا التمسك بالشرك الذي عهدوه ومن أسلافهم فيجاهدهم ﷺ على هذا الشرك، وعلى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ﴾.

النوع الثاني: توحيد الربوبية، وهو العلم، والإقرار: بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه، وهو المدبر لأمور خلقه جميعهم، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾. وقال: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ﴾ وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير، وهذا النوع: قد أقر به المشركون، كما دلت عليه الآيات.

والنوع الثالث: توحيد الأسماء، والصفات؛ وهو: أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ من صفات الكمال، التي تعرَّف بها سبحانه إلى عباده، وينفي مالا يليق بجلاله وعظمته، وهذا النفي: أقسام، ذكرها العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى، في: الكافية الشافية.

فأهل السنة والجماعة، سلفًا وخلفًا: يثبتون لله هذا التوحيد، على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتا بلا تمثيل، وتنزيها بلا تعطيل، وهذا النوع، والذي قبله، هو: توحيد العلم والاعتقاد.

وأما تعريف التوحيد، فقد ذكره ابن القيم، رحمه الله تعالى، في؛ الكافية الشافية، بقوله:

فالصدق والإخلاص ركنا ذلك التو ... حيد كالركنين للبنيان
وحقيقة الإخلاص توحيد المراد ... فلا يزاحمه مراد ثان
والصدق توحيد الإرادة وهو بذل ... الجهد لا كسلا ولا متوان

ثم ذكر توحيد المتابعة فقال:

والسنة المثلى لسالكها ... فتوحيد الطريق الأعظم السلطان
فلواحدٍ كن واحدًا في واحد ... أعني طريق الحق والإيمان

وقد ذكر؛ شيخ الإسلام، ابن تيمية رحمه الله، الإخلاص، بمثل ما ذكره ابن القيم، رحمه الله، فقال: الإخلاص: محبة الله، وإرادة وجهه اهـ.

وقال ابا بطين: (٢ / ٢٩٥) ودل كلام ابن القيم رحمه الله: أن توحيد العبادة، أعم من الإخلاص، حيث قال:

فلواحد كن واحدًا في واحد أعني سبيل الحق والإيمان
هذا وثاني نوعي التوحيد تو حيد العبادة منك للرحمن
أن لا تكون لغيره عبدًا ولا تعبد بغير شريعة الإيمان
فتقوم بالإسلام والإيمان والـ إحسان في سر وفي إعلان
والصدق والإخلاص ركنا ذلك التـ وحيد كالركنين للبنيان

إلى أن قال:

وحقيقة الإخلاص توحيد المرا د فلا يزاحمه مراد ثان
والصدق توحيد الإرادة وهو بذ ل الجهد لا كسلًا ولا متوان
والسنة المثلى لسالكها فتو حيد الطريق الأعظم السلطان

فقوله رحمه الله: والصدق، والإخلاص، ركنا ذلك التوحيد، جعل الإخلاص، أحد ركني العبادة، والصدق ركنه الآخر، وفسر الصدق بما ذكر؛ وقال في بعض كلامه: ومقام الصدق، جامع للإخلاص؛ فعرفنا رحمه الله: أن توحيد العبادة، أعم من الإخلاص، ولم يذكر إلا عمومًا مطلقًا؛ وأما العموم الوجهي، فالظاهر، أن المراد به: إذا كان أحد الشيئين أعم من وجه، وأخص من وجه؛ والعموم الذي بين مطلق العبادة، وبين توحيد العبادة، والإخلاص، وكل ما اتخذ معبودًا، أله عند متخذه؛ قال، والتأله: التنسك، والتعبد، انتهى؛ وجميع العلماء، من: المفسرين، وشراح الحديث، والفقه، وغيرهم، يفسرون: الإله، بأنه: المعبود. وإنما غلط في ذلك بعض أئمة المتكلمين، فظن أن الإله، هو القادر على الاختراع؛ وهذه زلة عظيمة، وغلط فاحش، إذا تصوره العامي العاقل، تبين له بطلانه؛ وكأن هذا القائل، لم يستحضر ما حكاه الله عن المشركين، في مواضع من كتابه؛ ولم يعلم أن

مشركي العرب، وغيرهم، يقرون بأن الله، هو القادر على الاختراع، وهم مع ذلك مشركون؛.... وأما الإله، فهو: الذي تألهه القلوب، بالمحبة، والخضوع، والخوف، والرجاء؛ وتوابع ذلك، من: الرغبة، والرهبة، والتوكل، والإستغاثة، والدعاء، والذبح، والنذر، والسجود؛ وجميع أنواع العبادة: الظاهرة والباطنة؛ فهو إله، بمعنى: مألوه؛ أي: معبود؛ وأجمع أهل اللغة: أن هذا معنى الإله....

إلى أن قال: فتبين: أن موالاة الله بعبادته، والبراءة من كل معبود سواه، هو معنى: لا إله إلا الله اهـ.

❁ ❁ ❁

فصل

المتن:

واعلم: أن ضد التوحيد الشرك؛ وهو ثلاثة أنواع: شرك أكبر؛ وشرك أصغر، وشرك خفي.

والدليل على الشرك الأكبر، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾.

وهو: أربعة أنواع:

النوع الأول: شرك الدعوة، والدليل عليه، قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾.

النوع الثاني: شرك النية، وهى: الإرادة والقصد، (قال عب شرك النية والإرادة والقصد) والدليل عليه، قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾.

النوع الثالث: شرك الطاعة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾

وتفسيرها الذي لا إشكال فيه، هو: طاعة العلماء والعباد، في معصية الله سبحانه، لادعاؤهم إياهم، كما فسرها رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم، لما سأله فقال لسنا نعبدهم فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية.

النوع الرابع: شرك المحبة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

والنوع الثاني: شرك أصغر، وهو الرياء، والدليل عليه، قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

والنوع الثالث: شرك خفي، والدليل عليه قوله ﷺ: «الشرك في هذه الأمة أخفي، من دبيب النمل على الصفاة السوداء في ظلمة الليل» وكفارته قوله ﷺ: «اللّٰهم إن أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم».

الشرح:

هنا ترتيب المصنف هذا جيد، لأن الأحسن للمتعلم أن يعرف التوحيد أولًا ثم بعد ذلك يعرف الشرك ثانيًا، قال المصنف: (اعلم أن ضد التوحيد) قوله التوحيد الألف واللام هل أراد أن يُعرّف ضد التوحيد بالمعنى العام وهو توحيد الأسماء والصفات والربوبية والألوهية أم أراد نوعا معينا؟ أم أراد أقرب مذكور وهو توحيد الألوهية لأن السياق فيه؟ كل ذلك محتمل، فإن نظرنا إلى ما قبل هذا الكلام وأنه ذكر أنواع التوحيد الثلاثة .الأسماء والصفات والربوبية والألوهية .

قلنا المقصود العموم، فهو بعد أن ذكر أن التوحيد ثلاثة فضد هذا التوحيد وهو الشرك في الثلاثة.

وإذا نظرنا إلى ما بعده يتبين لك أنه يتكلم عن الشرك في الألوهية مما يدل على أن المصنف يريد توحيد الألوهية وفي الشرك يريد الشرك في الألوهية بدليل:

أ . لأن الآيات التي ذكرها كلها في باب الشرك في الألوهية أو العبادة مثل قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ وهذا كله في شرك الألوهية.

ب. **قوله وهو: أربعة أنواع،** ثم ذكر الأنواع الأربعة وهي في شرك الألوهية.

فأصبحت الألف واللام هنا للخصوص.

لكن الأقرب إلى قصد المصنف أنه أراد الخصوص وهو توحيد الألوهية والشرك في الألوهية.

ثم قال المصنف: (وهو ثلاثة نوع)، ما هي هذه الثلاثة الأنواع؟ قال المصنف: (شرك أكبر وشرك أصغر وشرك خفي) وهذا اختيار المصنف أن الشرك يُقسّم تقسيما ثلاثيًا، وقد وافقه غيره على هذا ويأتي إن شاء الله، ولا مشاحة في الاصطلاح، ويأتي إن شاء الله تفسير ماهو الشرك الخفي في موضعه، وذهب بعض أهل العلم إلى أن الشرك يُقسّم تقسيمًا ثنائيًا: وهو شرك أكبر وشرك أصغر فقط، وليس هناك شرك خفي مستقلًا بل الشرك الخفي قسم منهما، فهو جزء من

الشرك الأكبر والأصغر، فالشرك الأكبر قسمان: ظاهر وخفي، والشرك الأصغر قسمان: ظاهر وخفي.

وأبناؤه وطلابه ذكروا التقسيم الثنائي كما في الدرر (١ / ١٩٥) حيث سئل أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وحمد بن ناصر، رحمهم الله تعالى، عن الشرك بالله، ما هو الأكبر الذي ذم فاعله، وماله حلال لأهل الإسلام، ولا يغفر لمن مات عليه؟ وما هو الأصغر؟

فأجابوا: قد ذكرت العلماء، رحمهم الله: أن الشرك نوعان، أكبر؛ وأصغر؛ فالأكبر: أن يجعل لله ندًا من خلقه، يدعوه كما يدعو الله، ويخافه كما يخاف الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويتوكل عليه في الأمور، كما يتوكل على الله. إلى أن قالوا: وأما الشرك الأصغر: فكيسير الرياء، والحلف بغير الله، كما ذكر عن النبي ﷺ أنه قال: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» ومن ذلك قول الرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك وأنا بالله وبك، ومالي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا؛ وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: «**أجعلتني لله ندًا، قل ما شاء الله وحده**» وهذه اللفظة: أخف من غيرها من الألفاظ؛ وقد يكون هذا شركًا أكبر، بحسب حال قائله ومقصده؛ وهذا الذي ذكرنا: متفق عليه بين العلماء – رحمهم الله تعالى – أنه من الشرك الأصغر، كما أن الذي قبله متفق عليه: أنه من الشرك الأكبر. اهـ لكن عدم ذكرهم للخفي لا يدل على العدم، أو عدم الموافقة أو التخطئة؟ فهذا أمر آخر.

إلا أن التقسيم الذي لا يجوز الخلاف فيه أنه من حيث الخروج من الملة أم عدمه فإنه ينقسم إلى قسمين فقط لا غير ولا يجوز غير ذلك: قسم يخرج من الملة،

وقسم لا يخرج من الملة، أما مع عدم النظر إلى ذلك فهو محل خلاف ولا مشاحة في الاصطلاح.

مسألة: وهنا نسأل الذين يوجبون التقسيم الثلاثي للتوحيد الذين ذكرناهم سابقا، نقول لهم ماذا تقولون في من قسم الشرك الى تقسيم ثلاثي، هل تبدعونه أيضا!

وما هو تعريف الشرك؟

الشرك لغة: مأخوذ من المشاركة، قال في لسان العرب: الشركة مخالطة الشريكين يقال اشتركنا بمعنى تشاركنا وقد اشترك الرجلان و تشاركا و شارك أحدهما الآخر، و شاركت فلانا صرت شريكه واشتركنا وتشاركنا في كذا وشركته في البيع والميراث أشركه شركة والاسم الشرك... وفي الحديث من أعتق شركا له في عبد أي حصة ونصيبا، وفي حديث معاذ أنه أجاز بين أهل اليمن الشرك أي الاشتراك في الأرض وهو أن يدفعها صاحبها إلى آخر بالنصف أو الثلث أو نحو ذلك.... وطريق مشترك يستوي فيه الناس... و أشرك بالله جعل له شريكا في ملكه تعالى الله عن ذلك والاسم الشرك... والشرك أن تجعل شريكا في ربوبيته تعالى الله عن الشركاء والأنداد وإنما دخلت التاء في قوله: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ لأن معناه لا تعدل به عن غيره فتجعله شريكا له وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ لأن معناه عدلوا به ومن عدل به شيئا من خلقه فهو كافر مشرك لأن الله وحده لا شريك له ولا ند له... ويقال في المصاهرة رغبنا في شرككم وصهركم أي مشاركتكم في النسب قال الأزهري وسمعت بعض العرب يقول فلان شريك فلان إذا كان متزوجا بابنته أو بأخته، وامرأة الرجل شريكته... ويقال شريكه ذا دخل معه فيه اهـ مختصرا.

وفي المصباح المنير: والشرك النصيب ومنه قولهم ولو أعتق شركا له في عبد أي نصيبا و الجمع أشراك مثل قسم وأقسام، والشرك اسم من أشرك بالله إذا كفر به اهـ.

وفي أنيس الفقهاء قال: فاسم من أشرك بالله إذا جعل له شريكا وفسر الشرك بالرياء في قوله عليه السلام إن أخوف ما أخاف على أمتي الشرك والشهوة الخفية وهي أن تعرض للصائم شهوة فتواقعها والشرك أيضا النصيب تسمية بالمصدر اهـ

وقال بعضهم: الشرك إسناد الأمر المختص بواحد إلى من ليس معه أمره، وقال الراغب: أكبر وهو إثبات الشريك لله، وأصغر: وهو مراعاة غير الله في بعض الأمور.

وفي النهاية لابن الأثير: شركته في الأمر أشركه شركة والاسم الشرك وشاركته إذا صرت شريكه وقد أشرك بالله فهو مشرك إذا جعل له شريكا والشرك الكفر اهـ.

اصطلاحًا: أن تجعل لله ندًا أو تجعل لغير الله نصيبًا، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا: (أي الذنب أعظم قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك) [متفق عليه]، وعن أبي بكر رضي الله عنه : (قلنا يا رسول الله وهل الشرك إلا ما عُبد من دون الله أو دعي مع الله) رواه أبو يعلى وفيه ضعف، وروى البخاري معلقا وقال ابن عباس كباسط كفيه مثل المشرك الذي عبد مع الله إلها غيره كمثل العطشان الذي ينظر إلى خياله في الماء من بعيد وهو يريد أن يتناوله ولا يقدر اهـ.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تاريخ نجد (ص ٢٢٣) قال إن الشرك عبادة غير الله والذبح والنذر له ودعاؤه قال ولا أعلم أحدا من أهل العلم يختلف في ذلك (بتصرف).

والشرك الأكبر بالمعنى العام: هو أن تجعل لله ندًا في الأسماء والصفات أو الربوبية أو الألوهية وعلى ذلك فالشرك الأكبر ثلاثة أنواع شرك في الأسماء والصفات وشرك في الربوبية وشرك في الألوهية.

قال عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى: (٢ / ٣١٩) والشرك قد عرفه النبي ﷺ بتعريف جامع، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندا وهو خلقك**» والند المثل، والشبيه اهـ.

أما القسم الأول وهو شرك الأسماء والصفات: هو أن تجعل لله ندًا في أسمائه أو صفاته مثل أن تقول هذا عزيز مثل عزة الله أو رحيم مثل رحمة الله، وأشد منه التعطيل للأسماء والصفات.

القسم الثاني: شرك في الربوبية وهو أن تجعل لله ندًا في أفعاله تعالى كالملك والخلق والتصرف والتدبير، مثل أن تجعل الطبيعة تخلق مع الله وهذا قول العلمانيين، أو أن الخالق هي المادة وهذا قول الشيوعيين لا اله والحياة مادة.

القسم الثالث: الشرك في الألوهية أو في العبادة وهي أن تصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله كالذبح لغير الله أو الحكم بالقوانين الوضعية أو التشريع، ولا حظ أننا قلنا بكلمة (أو) في قولنا: (الألوهية أو العبادة) وإن كان الدقة في التعبير أن يقال هو الشرك في الألوهية فقط لأن هذا هو الأكبر أو نقول هو صرف العبادة لغير الله، أما إذا قلنا هو الشرك في العبادة فقط فهذا في الجملة صحيح لكنه واسع، لأنه قد يدخل في ذلك الشرك الأصغر، لأن من بعض معاني الشرك الأصغر: الشرك في العبادة، لأن المرائي أدخل نية غير الله في العبادة أي أشرك لأن

الإدخال هنا المشاركة، وهو أدخلها في العبادة، ولا حظ كلمة (في) الظرفية فنيّة غير الله دخلت فيها لكن المرائي لم يصرف العبادة لغير الله لكن أدخل في وصفها غير الله فيصح إطلاق أنه أشرك في العبادة، أما إذا أشرك في أصل العبادة وهي فرائض فهنا صرف العبادة لغير الله، والله أعلم.

قال المصنف: (والدليل على الشرك الأكبر) الألف واللام هي للخصوص وعرفنا ذلك من السياق لأن السياق بعدها أنواع في باب الألوهية وفي باب العبادة، وعليه فكلمة (الشرك) أي في الألوهية، ثم ذكرك المصنف آيتين **الأولى**: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ. وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ والشاهد في الآية هل هو قوله: ﴿أَن يُشۡرَكَ ﴾ أم ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ ﴾؟ فقوله: ﴿أَن يُشۡرَكَ ﴾ هل تشمل الأكبر أم الأصغر؟ ثم قوله في الآية: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ ﴾ هل تشمل الأصغر أم الأكبر؟ إذا عرفنا كيف نحدد أيهما استقام الدليل والجواب أن الشاهد ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ ﴾ لأن قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ فإن وما دخلت عليه في تأويل مصدر يعنى لا يغفر شركا به فتشمل الأكبر والأصغر والثانية قال: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ ﴾ تشمل الأكبر فقط وهنا يوجد فرق بين أن مع الفعل ومَن، فمن أراد شخصًا معينًا ولا يقال لشخص مشرك إلا وهو مشرك شركًا أكبر. ومن أشرك الشرك الأصغر لا يسمى مشركًا بل يقال فيه شرك.

الآية الثانية: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ ... مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ الشاهد ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ ﴾ **وقوله**: ﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ وهذه العقوبة لا تكون إلا لمن أشرك شركا أكبر.

❁ ❁ ❁

فصل

المتن:

وهو: أربعة أنواع.

النوع الأول: شرك الدعوة، والدليل عليه، قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾.

الشرح:

ثم قال المصنف: (وهو أربعة أنواع) وهو الضمير يعود على أقرب مذكور هنا يعود على الشرك الأكبر في باب الألوهية وهو أربعة أنواع، نقف عند كلمة أربعة وهي مسألة التربيع في التقسيم، فهل يقال أن من خمّس فهو مبتدع؟ ومن قال ثلاثة فهو مبتدع؟ وهنا وغيره يدل على خطأ من حارب مسألة: توحيد الحاكمية.

المصنف هنا قال أربعة وهي أكثر من أربعة يقينًا لأن هناك شرك الخوف ولم يذكره وهناك شرك التوكل ولم يذكره وشرك التشريع ولم يذكره، مع أن المصنف في كتاب التوحيد ذكر باب الخوف وذكر فيه شرك الخوف، وباب التوكل وذكر فيه شرك التوكل، وباب ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ وهو باب الإيمان بالطاغوت وذكر فيه شرك التشريع مع ملاحظة أن شرك التشريع غير شرك الطاعة، بل إن المصنف لما ذكر أنواع العبادة قال التذلل والتعظيم والإنابة والرهبة، وهذا يعني أن هناك شرك تذلل لغير الله وشرك تعظيم مع الله... وهكذا، فدل على أن المصنف لما قال أربعة لم يرد الاستيعاب إنما أراد أربعة أنواع مما هي مشهورة في عصره أو مما يمكن أن يكون أهم شئ يناسب هذا المختصر.

قال الحفيد عبد الرحمن في الدرر (١١ / ٤٩٦): قال إن أمور الشرك أكبره وأصغره لا تدرك بالعد، لكن الشرك الأكبر يخرج من الملة ويحبط العمل... وأما الشرك الأصغر فهو أكبر من الكبائر لقول النبي ﷺ لمن رأى في يده حلقة من صفر إلى أن قال فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا، ولا يكفّر الشرك أصغره وأكبره إلا التوبة منه قبل المات، والأصغر لا يكفّره في الدار الآخرة إلا كثرة الحسنات فإن الأصغر لا يحبط إلا العمل الذي وقع فيه خاصة اهـ.

مسألة: وهل المصنف قصد الترتيب؟ وكيف رتبها المصنف، هل بدأ بالأهم ثم المهم أم الأغلظ ثم الغليظ؟ أم لا حظ الأكثر انتشارا؟. تحتاج لبحث.

ثم قال المصنف «النوع الأول شرك الدعوة والدليل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ ...الآية﴾» ويقصد بالدعوة هنا شرك الدعاء، وهنا الشرك يشمل عدة أبواب في كتاب التوحيد يشمل:

أ. باب من الشرك الاستعاذة بغير الله.

ب. ويشمل باب من الشرك أن يستغيث بغير الله.

ج. يشمل الباب الثالث وهو باب الشفاعة.

هذه ثلاثة أبواب في كتاب التوحيد لخصها المصنف بهذا النوع.

مسألة: أقسام شرك الدعاء:

القسم الأول:

شرك الاستغاثة وهو أن يقع إنسان في مصيبة كغرق أو حرق أو مرض فيقوم أثناء هذه الحالة ويدعو غير الله ويذكر اسم غير الله ويسبقه بياء النداء

فيقول يا رسول الله أو يا حسين أو يا ملائكة.......... وهو نوعان:

أ .أن يقول يا رسول الله أغثني أو يا ملائكة الله أغيثيني أو يا جن أغيثوني وهذا أعظم وأغلظ النوعين لأن فيه شرك في الألوهية والربوبية، الربوبية لأنك اعتقدت أنه يغيث ويخلق ويتصرف، وفي الألوهية لأنه تعلق قلبك به ودعوته.

ب .أن تجعله واسطة فتقول يا رسول الله أدع الله لي أن يغيثني أو يا حسين أو يا ملائكة أو يا ولي أدع الله لي أن يغيثني ويساعدني، فهنا جعل الرسول واسطة يدعوه وهو يتوسط له عند الله، وهذا القسم شرك أكبر لكنه شرك في باب الألوهية فقط وهو أخف من الذي قبله، وهذا القسم للأسف هناك من يجعله من باب البدعة وكبائر الذنوب فقط وهذا خطأ عظيم بل هو شرك أكبر بالإجماع قال ابن تيمية: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة كفر إجماعا.

القسم الثاني:

دعاء الاستعاذة والفرق بين الاستعاذة والاستغاثة أن المصيبة إذا وقعت ودعاء بكشفها هنا يسمى استغاث أما إذا لم من تقع المصيبة حتى الآن لكنها مقبلة يخشى وقوعها فهذه تسمى استعاذة فدعاء الغريق استغاثة ودعاء الخائف من مصيبة سوف تقع دعاء استعاذة وتقسيم الاستعاذة تمامًا مثل تقسيم الاستغاثة. وسبق أن أضف المصنف الاستعانة لما ذكر أنواع العبادة في أول كلامه وتكلمنا هناك عنها.

القسم الثالث:

شرك الشفاعة وقد يقول قائل أليست هي والاستعاذة طلب شفاعة؟ الجواب نعم لكن الاستعاذة والاستغاثة والاستعانة طلب لأمور في الدنيا كما لو

نزل به مرض فيستغيث لرفعه أما الطلب في الأمور الأخروية تسمى شفاعة عند الافتراق مع تلك الأسماء، كأن تقول يا رسول الله أشفع لي أن أدخل الجنة لأن الشفاعة إذا اجتمعت مع الاستغاثة أو الاستعاذة افترقت، مثل مسألة الإسلام والإيمان، وإذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت، وهنا لما اجتمعت مع الاستغاثة والاستعاذة والاستعانة فسرنا الشفاعة بالأمور الأخروية ولو لم تجتمع لأصبحت الشفاعة بمعنى الاستغاثة.

وذكر المصنف على شرك الدعوة دليلًا واحدًا قال تعالى ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾.

والدليل هنا يصلح لأي الأبواب الثلاثة للاستغاثة أم للاستعاذة أم للشفاعة؟ هذا الدليل يصلح للجميع. وأين الشاهد على أنه شرك ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ لأنهم إذا ركبوا في الفلك وجاءته مصيبة أخلصوا لله وإذا كانوا في البر كانوا في حال أمن فأشركوا.

❁ ❁ ❁

فصل

المتن:

النـوع الثـاني: شرك النية، وهـي: الإرادة والقصـد، (قـال عـب شرك النية والإرادة والقصـد) والـدليل عليـه، قولـه تعـالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

الشـرح:

قـال المصنف النـوع الثـاني شرك النيـة وهـي الإرادة والقصـد، والـدليل قولـه تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ الآية.

لكـن الحفيـد عبـد الـرحمن خـالف المصـنف هنـا فقـال: (شرك النيـة والإرادة والقصد) بـدون (هـي) والأقـرب صـنيع المصـنف (وهـي الإرادة) لـذا قـال (شرك النية وهي الإرادة والقصد) وعلى كلام المصنف النية أوسع من الإرادة والقصد لأنهما قسمان فيها، وعند الحفيد عبد الرحمن أن النية قسيمة للإرادة والقصد، لكن هناك ما هو أقرب من صنيع المصنف لأن الحقيقة أن النية ليست أوسع من الإرادة والقصـد، بـل الصـحيح لغـة أن الإرادة أوسـع ولـو قـال شرك الإرادة وهـي النيـة والقصد لكان أحسن في التعبير، لأن العادة أن الإرادة أعم.

لمـاذا قلنا هـذا الكـلام؟ لأن العلـماء الـذين يهتمـون بـالفروق قـالوا إن الإرادة أوسع من النية كالقرافي في كتابة الفروق ولذا تقول نويت أن أحج ولا تقول نويت أن يعطيني فلانا نقودًا فأصبح النية تتعلق بفعلك لا بفعل الغير مع أن الإرادة يجوز

أن تقول أردت الحج ويجوز أن تقول أردت أن يعطيني فلانا نقودًا، ولما كانت الإرادة تشمل فعلك وفعل الغير كانت أعم، ومما يدل على أن الإرادة أوسع كلام بعض أهل العلم في نوعي التوحيد فيقولون التوحيد الإرادي أو توحيد الإرادة، ومعنى كلامهم أنهم يدخلون النية في الإرادة.

والإرادة ضدها الإباء والاستكبار وعدم الانقياد والبغض والنية ضدها الرياء وشرك العمل الصالح من أجل الدنيا. والنية قريبة من العزم متصلة به والإرادة قبل العزم بمراحل، وإذا خُيِّرت بين اثنين تقول أريد كذا لا كذا ولا تقول نويت كذا لا كذا. وكذا الإرادة أوسع من القصد.

لكن في شرحنا هذا سوف نمشي على تقسيم المصنف في أن المسألة في شرك النيات، لكن ليكن في ذهن القارئ أو السامع وفقه الله الكلام السابق فيما قلنا.

ثم نعود لكلام المصنف ويهمنا كلمة الإرادة والقصد، فقد قسّم المصنف هذا الشرك وهو شرك النيات إلى قسمين إلى شرك الإرادات وشرك المقاصد، من أين عرفنا أنه قسمان؟ من العطف والقاعدة أن العطف يقتضي المغايرة، فالقصد غير الإرادة إذًا هما قسمان.

ما المراد بالإرادة؟ وما المراد بالقصد؟ يمكن معرفة ذلك من الآية التي ذكر المصنف في هذا الشرك ومنه نفهم ماذا يريد ﵀؟ لأنه ذكر آية واحده فيها ذكر الإرادة ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ وأيضًا يمكن من كتاب التوحيد أن نفهم ماذا يريد بالإرادة وماذا يريد بالقصد ويكون بذلك فسرنا كلام المصنف هنا بكلامه هناك، وتفسير كلام المؤلف بكلامه الآخر أقرب إلى العدل.

ففي كتاب التوحيد جعل هناك بابا هو باب إرادة الإنسان بعمله الدنيا ومنه يقال أن الإرادة يقصد بها إرادة الدنيا والمال والجاه، فيعمل العمل الصالح يريد الدنيا والجاه والمنصب، وإذا كانت الإرادة تتعلق بالدنيا أمكن أن يقال أن القصد يتعلق بالرياء حتى لا نكرر التفسير، فيعمل العمل الصالح يقصد مدح الناس وثنائهم، إذًا فالمصنف أراد باب الرياء وباب العمل من أجل الدنيا يبقى أيهما الإرادة وأيهما القصد هذا محل اجتهاد أيهما هذا وأيهما هذا، وذكرنا أيهما أرجح.

وقد يقول قائل حتى الرياء يطلق عليه إرادة؟ نقول هذا صحيح لكن بيّنا أيهما أقرب. وهل الرياء وإرادة الدنيا الذي أراد المصنف هنا في هذا السياق من الشرك الأكبر أم الشرك الأصغر أم كليهما؟ سياق المصنف هو التكلم عن الشرك الأكبر ولذا قال النوع الثاني أي من الأكبر في الألوهية، لذلك سوف نتكلم عنهما على أنه أراد الأكبر وبهذا نسلم من إيراد لماذا لم تتكلموا هنا عن الرياء الأصغر؟ لأنه لا مجال لذلك، ثم المصنف سوف يذكرها في محله إذا تكلم عن الشرك الأصغر.

وعليه نقول متى يكون الرياء شركًا أكبر ؟ الجواب في ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يدخل في الدين أساسًا رياءا يقصد الحمد والثناء مثل العلماني الذي أصله كافر لكن تظاهر بالدين من أجل مدح الناس وثنائهم أو من أجل كسب الشعبية أو كسب أصوات الناخبين في الانتخابات البرلمانية أو التشريعية ومثل الحكام الذين يتدينون ويظهرون صورة دينيّه لهم في مرحلة من المراحل لأجل مدح شعوبه وخدعهم وجعل الإسلام مطية لمآربهم وهم في الأصل على ملة العلمنة.

الحالــة الثانيــة: أن يرائـي في الأركـان الأربعـة ـ ولا نقـول الخمسـة لأن الخامس وهو الشهادة سبق في الأول .فيرائي في أحد الصلوات الخمس ويصليها على وجه الرياء أو يزكي زكاة الفرض لا التطوع على وجه الرياء أو يصوم رمضان على وجه الرياء أو يحج حجة الفرض على وجه الرياء لا حجة التطوع، أما لو حج حجة التطوع مرائيًا فإنه لا يكفر، وأيضا إذا تصدق غير زكاة الفرض رياء لا يكفر أو صلّى يرائي في السنن الرواتب لا يكفر.

لمـاذا حصرنا ذلك في الأركان الأربعة؟ لأنه إذا فعلها على وجه الرياء فهي باطلة فيكون كأنه لم يؤدها لأن وجودها كعدمها، وهذا القول مبني على قول أن من ترك ركنًا من الأركان الأربعة كفر بالترك وهو قول سعيد بن جبير والحكم بن عتيبة ورواية عن أحمد وقال الحميدي هي السنة عندنا، أما الصلاة فتاركها بإجماع الصحابة كافر وتارك الزكاة بإجماع الصحابة كافر كما أجمعوا على قتال المرتدين، وصح عن ابن مسعود: ما تارك الزكاة بمسلم، والثلاثة فيها خلاف وعلى كل حال المسألة خلافية وعلى القول بعدم الكفر بترك المباني الأربعة فهذه الحالة لا تصلح مثالًا لهذا النوع.

ويأتي إن شاء الله بحث ذلك في مبحث كفر الاستكبار والإباء.

الحالـة الثالثـة: أن يكون الغالب على أفعاله الرياء بغض النظر عن الفعل لكن في غير الأركان مثل أن يرائي في السنن الرواتب ويرائي في صيام التطوع لكن يغلب عليه ذلك مثل أن يكون ٦٠٪ أو ٥٠٪ من الطاعات يرائي فيها (والمسألة للتقريب وليست حسابية) هذا فيه خلاف فمن فرق بين الرياء من حيث الكمية وجعل يسيره أصغر فإنه يجعل كثيره أكبر .وهذا هو الشاهد .كما هو اختيار ابن

القيم ومال إليه الحفيد سليمان في كتاب تيسير العزيز الحميد في باب الخوف من الشرك، أما من لم يفرق بين يسير الرياء وكثيره أو أكثره فلا يرى هذا القسم أنه من الأكبر، ولكن الصحيح أنه كافر لأنه لا يفعله إلا منافق كما قال تعالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ وقولنا ٦٠ ٪ و ٥٠٪ ليس تحديًا لكن هذا مثال للتوجيه، وإلاّ فبعض أهل العلم يرى أن كثير الرياء شرك أكبر مثل ٤٠٪ أو ٣٠٪ هذا كثير ولذا يقولون يسير الرياء شرك أصغر وكثير الرياء شرك أكبر ولا يقولون أكثر الرياء.

والآن ننتقل إلى القسم الثاني:

وهو شرك الإرادة وهو ما يُسمى بإرادة الإنسان بعمله الصالح الدنيا والمصنف أتي بدليل منطبق على إرادة الحياة الدنيا قال: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ـ إلى قوله ـ يَعۡمَلُونَ﴾ وشرك إرادة الحياة الدنيا على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وهو شرك أكبر وتقسيمه مثل تقسيم الرياء.

أ ـ أن يدخل في هذا الدين فيسلم يريد المنصب أو المال فهذا يعتبر شركا أكبر إلا إذا تاب بعد ذلك وأصلح نيته تاب الله عليه.

ب ـ أن يكون الغالب على أعماله يريد الحياة الدنيا ٦٠٪ ٧٠٪ ٨٠٪ هذا لا يفعله إلا منافق وهذا لما كان الغالب على عمله يريد الدنيا ألحق بالأول كما قلنا في الرياء.

ج ـ أن يعمل الأركان الأربعة ـ الخامس وهو الشهادة سبق في الأول ـ يريد الدنيا كأن يصلي الفرائص يريد الدنيا، وكذا في بقية الأركان الباقية كما قلنا في الرياء وهو على الخلاف السابق من قال أن تركها كفر يُكفّر به ومن قال تركها ليس بكفر لا يُكفّر به.

وهناك أنواع من الشرك الأصغر في باب الرياء وفي باب إرادة الدنيا لكان ليس هنا مجال بحثها لأن المصنف تكلم عن الشرك الأكبر.

أما الآية التي استدل بها المصنف على شرك النية وهي الإرادة والقصد فقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ ومن هنا عامة شرطية تدل على العموم يعني تشمل المسلم والكافر والرجل والمرأة، وقوله: ﴿يُرِيدُ﴾ أي يريد بعمله الصالح وكونه صالحًا هذا قيد مهم خرج به لو أراد بعمله الدنيوي الدنيا مثل إنسان عمل بيتًا فأتقنه يريد بذلك الدنيا فلا مانع لأن هذا ليس من العمل الصالح، والعمل الصالح كالصلاة والجهاد والحج.

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ هذا دليل التكفير أما قوله: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ هذه مقيدة بآية الإسراء مقيدة بالمشيئة كما قال تعالى ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ هذا تقييد فيكون الله لا يوفي إليه إلا إذا شاء.

❁ ❁ ❁

فصل

المتن:

النوع الثالث: شرك الطاعة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ وتفسيرها الذي لا إشكال فيه، هو: طاعة العلماء والعباد، في معصية الله سبحانه، لادعاؤهم إياهم، كما فسرها رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم، لما سأله فقال لسنا نعبدهم فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية.

الشرح:

قال المصنف النوع الثالث: شرك الطاعة:

المصنف فسر شرك الطاعة فقال: (وتفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية) واستدل المصنف على هذا التفسير بحديث عدي بن حاتم في أن طاعة العلماء والعباد في التحليل والتحريم.

وقال مرة عن هذا الشرك في الدرر (١ / ٤٠) قول الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ وقد فسرها رسول الله ﷺ في حديث عدي بهذا الذي أنتم عليه اليوم .أي يقصد المتفقهه الذين يتبعون بعض العلماء في الشرك والكفر، في الأصول، والفروع، لا أعلمهم يزيدون عليكم مثقال حبة خردل، بل يُبين مصداق قوله: «حذو القذوة بالقذوة» الخ، وكذلك فسرها المفسرون، لا أعلم بينهم اختلافًا، ومن أحسنه: ما قاله أبو العالية، أما إنهم

لم يعبدوهم، ولو أمروهم بذلك ما أطاعوهم، ولكنهم وجدوا كتاب الله، فقالوا: لا نسبق علماءنا بشيء، ما أمرونا به ائتمرنا، وما نهونا عنه انتهينا.

إلى أن قال (ص ٤٥) ولا خلاف بيني وبينكم: أن أهل العلم إذا أجمعوا وجب اتباعهم؛ وإنما الشأن إذا اختلفوا، هل يجب عليّ أن أقبل الحق ممن جاء به، وأرد المسألة إلى الله والرسول، مقتديًا بأهل العلم؟ أو انتحل بعضهم من غير حجة؟ وأزعم أن الصواب في قوله؟ فأنتم على هذا الثاني، وهو الذي ذمه الله، وسماه شركًا، وهو اتخاذ العلماء أربابًا؟ وأنا على الأول، أدعو إليه، وأناظر عليه، فإن كان عندكم حق رجعنا إليه، وقبلناه منكم اهـ.

وقال مرة في الدرر (١ / ١٠١) فانظر رحمك الله، ما أحدث الناس من عبادة غير الله، فتجده في الكتب، جعلني الله وإياك ممن يدعو إلى الله على بصيرة اهـ.

وقال مرة في الدرر (٢ / ٨) ومن نوع هذا الشرك: تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، واعتقاد ذلك، فقد قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ وقال: عدي بن حاتم، يا رسول الله، ما عبدوهم، فقال رسول الله ﷺ: «**أما أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم؟ وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم؟ قال: بلى؛ قال: فتلك عبادتهم**» وأحبارهم، ورهبانهم: علماؤهم، وعبادهم؛ وذلك: أنهم اتخذوهم أربابًا، وهم لا يعتقدون ربوبيتهم، بل يقولون: ربنا وربهم الله، ولكنهم أطاعوهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، وجعل الله ذلك عبادة، فمن أطاع إنسانًا عالمًا، أو عابدًا، أو غيره، في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله،

واعتقد ذلك بقلبه، فقد اتخذه ربًا، كالذين: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله.

ومن ذلك: أن أناسًا من المشركين، قالوا: يا محمد، الميتة من قتلها؟ قال: الله؛ قالوا كيف تجعل قتلك قتلك أنت وأصحابك حلالًا؟ وقتل الله حرامًا؟ فنزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾.اهـ

وقال مرة: قال في الدرر (١ / ١١٧) كذلك قف عند الأرباب منهم، تجدهم العلماء، والعباد، كائنًا من كان، إن أفتوك بمخالفة الدين، ولو جهلا منهم فأطعتهم اهـ.

وقال مرة في الدرر (٢ / ٥٩) ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ فسرها رسول الله ﷺ والأئمة بعده، بهذا الذي تسمونه الفقه، وهو الذي سماه الله شركًا، واتخاذهم أربابًا، لا أعلم بين المفسرين في ذلك اختلافًا.

إلى أن قال: وإن زعمتم: أن المتأخرين معكم، فهؤلاء سادات المتأخرين، وقادتهم: ابن تيمية وابن القيم وابن رجب، عندنا له مصنف مستقل في هذا؛ ومن الشافعية: الذهبي؛ وابن كثير، وغيرهم؛ وكلامهم في إنكار هذا: أكثر من أن يحصر؛ وبعض كلام الإمام أحمد ذكره: ابن القيم رحمه الله في الطرق الحكمية، فراجعه اهـ.

وقال في الدرر (٢ / ١٢٢): اعلم رحمك الله: أن معنى لا إله إلا الله، نفي، وإثبات؛ لا إله نفي، إلا الله إثبات؛ تنفي أربعة أنواع؛ وتثبت أربعة أنواع؛ المنفي الآلهة، والطواغيت، والأنداد، والأرباب.... إلى أن قال: والأرباب: من أفتاك

بمخالفة الحق، وأطعته مصدقا، لقوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾.

مسألة: نعود الآن إلى كلام المصنف: ومعنى الطاعة: هي الموافقة على وجه الاختيار. متى تكون الطاعة شركًا أكبر؟

ابن تيمية رحمه الله فسر ذلك ووافقه على ذلك أئمة الدعوة مثل الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في كتابه تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ذكره في باب من أطاع العلماء والأمراء، وذكره الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتابيه فتح المجيد شرح كتاب التوحيد وكتابه قرة عيون الموحدين.

قال ابن تيمية في الفتاوى (٧ /٦٧) قال أبو البخترى أما أنهم لم يصلوا لهم ولو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم ولكن أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه وحرامه حلاله فأطاعوهم فكانت تلك الربوبية، وقال الربيع بن أنس قلت لأبى العالية كيف كانت تلك الربوبية في بنى إسرائيل قال كانت الربوبية أنهم وجدوا في كتاب الله ما أمروا به ونهوا عنه فقالوا لن نسبق أحبارنا بشيء فما أمرونا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا لقولهم، فاستنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، فقد بيّن النبي ﷺ أن عبادتهم إياهم كانت في تحليل الحرام وتحريم الحلال لا أنهم صلوا لهم وصاموا لهم ودعوهم من دون الله فهذه عبادة للرجال.

وقال: (٧/ ٧٠) وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون

تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله إتباعا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر وقد جعله الله ورسوله شركا وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركا مثل هؤلاء.

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتا لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال إنما الطاعة في المعروف وقال على المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية، وقال لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وقال من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه.

ثم ذلك المحرم للحلال والمحلل للحرام إن كان مجتهدا قصده إتباع الرسول لكن خفى عليه الحق في نفس الأمر وقد اتقى الله ما استطاع فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه بل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه، ولكن من علم أن هذا خطأ فيما جاء به الرسول ثم اتبعه على خطئه وعدل عن قول الرسول فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله لا سيما إن اتبع في ذلك هواه ونصره باللسان واليد مع علمه بأنه مخالف للرسول فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه ولهذا اتفق العلماء على أنه إذا عرف الحق لا يجوز له تقليد أحد في خلافه وإنما تنازعوا في جواز التقليد للقادر على الاستدلال اهـ

وخلاصة معنى قول ابن تيمية أنه بالتفصيل الآتي:

أ. أن يطيع العلماء والأمراء يعتقد أن لهم التحليل والتحريم فهذا شرك أكبر.

ب .أن يطيعهم في المعاصي وهو يعتقد أنهم مخطئون في ذلك وأن عمله في طاعتهم خطأ لكن اتبعهم هوى، فهذا معصية وحكمه حكم أمثاله ممن يفعل المعاصي.

هذا معنى كلام ابن تيمية ويشكل عليه إطلاق المصنف وعدم التفصيل فالمصنف لم يفصل وقال إنه الطاعة في المعصية وقال لا إشكال في ذلك، فكيف؟.

أهم مسألة في شرك الطاعة هي أن يطيعهم في التحليل والتحريم أي في التشريع فإذا شرعوا فقالوا حلالا وحراما، أي كان تحليلهم وتحريمهم له صفة التشريع العام فهنا له حكم، ومتى لم يكن له صفة التشريع فله حكم وينزل عليه كلام ابن تيمية وإن كان له صفة التشريع فينزل عليه كلام المصنف ويكون على النحو التالي:

القسم الأول: أن يحلل العلماء أو العباد أو الأمراء على وجه العموم والقضايا العامة، مثاله أن يفتي العالم فتوى ويجعلها عامة لكل الناس بأن الخمر حلال أو فتوى عامة بأن شيء من المباحات كالكسب وغيره أنه حرام، ويُشترط صفة العمومية، وصفة العمومية أن تكون بألفاظ عامة لجميع الناس فهي بهذه الصفة تعتبر تشريعًا وقانونًا مثلها مثل لو شرع قانونًا وضعيًا بصفة عامة فهو كفر لكن إن صدر من الأمراء والملوك والقانونيين يُسمى قانونًا وضعيًا وإن صدر من العلماء والعباد يُسمى تحليلًا وتحريمًا، وإن اتفقت عليه القبيلة أو الجماعة فهو أعراف وتقاليد وسلوم شركية كبرى، لكن الحكم واحد في هذه المسألة إذا أطاعهم على وجه الاختيار بهذه المعصية على تلك الصفة هذا يكفر بدون النظر إلى اعتقاده مثلما لو أطاع القانونيين بالقوانين الوضعية وفي هذه الحالة لا ينظر إلى

اعتقاده وهذا لابد أن يكون في أمور مجمع عليها من المسائل الظاهرة لا الخفية ولا المختلف فيها، مثل تحليل الخمر والزنا وحلق الحية والربا، وهو الذي ينزل عليه اختيار المصنف. قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ - إلى أن قال .وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ فهذه الآية كما جاء في سبب نزولها أنها عرف عام اصطلحت عليه قريش، فأخبر الله أنه لو حصل طاعة في هذا العرف العام وعمل به الإنسان فإنه شرك طاعة أكبر، وحديث عدي بن حاتم الذي ذكر المصنف.

القسم الثاني: يكون على وجه الخصوص كأن يفتي العالم لك أنت مثلا فتوى خاصة تسأله فيجيب فهذه هي التي ينطبق عليها تقسيم ابن تيمية إن أفتى لك بجواز معصية وأنت تعتقد أن له ذلك فهذا كفر وإن كنت تعتقد أنه مخطئ لكن وافقته هوى منك فعملت بها فهذه معصية، وهذا يوافق كلام السلف في تفسيرهم لهذه الآية ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ ﴾ كما قال أبو العالية، قال المصنف: كما فسرها رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم، لما سأله فقال لسنا نعبدهم فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية.

إذن فكلمة (الطاعة) في تفسير المصنف هي في الأمر العام على شكل التشريع وقوله: (في المعصية) الألف واللام للخصوص يعني المعصية المجمع عليها الظاهرة المعمَم بها كالخمر والزنا إلى آخره.

❁ ❁ ❁

فصل

المتن:

النوع الرابع: شرك المحبة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾.

الشرح:

قال المصنف النوع الرابع شرك المحبة قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ الإضافة هنا والله أعلم بتقدير في أي شرك في المحبة.

متى تكون المحبة شركا أكبر؟ الجواب:

أ . إذا دفعه محبته لشخص أو لشيء إلى أن يفعل من أجله الكفر أو الشرك الأكبر هذه هي القاعدة، مثال ذلك دفعه محبة الزوجة المسحورة فقيل له لابد أن تذبح للجن لكي يذهب السحر فدفعته محبته للزوجة إلى أن يذبح هنا كفر.

ب . أو دفعه محبة المنصب أن يسب الله أو رسوله هنا يكفر وشركه هنا شرك محبة.

ج . أما لو دفعته المحبة إلى أن يفعل محرمًا أو يترك واجبًا فليس من باب الشرك الأكبر كما لو دفعه حب الأولاد إلى أن يشتري لهم معصية أو دفعه حب المال إلى أن يترك الصلاة في المسجد ويصلى عند البقالة أو محله التجارية أو دفعه

حب المال إلى أن يترك الجهاد الواجب فهذا ليس من باب الشرك الأكبر لكنه من باب الشرك الأصغر على أحد الأقوال، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ .إلى أن قال .أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ وذهب بعض المتأخرين من أهل العلم أنه من باب المحرم وليس من باب الشرك الأصغر والصحيح الأول.

مسألة: هل هناك أنواع أخرى غير ما ذكر المصنف: قال ابن تيمية في الفتاوى (٧/ ٧٠).... وتتناول أيضا من استكبر عما أمره الله به من طاعته فإن ذلك من تحقيق قول لا اله إلا الله فإن الإله هو المستحق للعبادة فكل ما يعبد به الله فهو من تمام تأله العباد له فمن استكبر عن بعض عبادته سامعا مطيعا في ذلك لغيره لم يحقق قول لا اله إلا الله في هذا المقام اهـ.

❁ ❁ ❁

فصل

انتهي المصنف الآن من النوع الأول وهو الشرك الأكبر وانتقل إلى الشرك الأصغر فقال:

المتن:

والنوع الثاني: **شرك أصغر، وهو الرياء، والدليل عليه، قوله تعالى:** ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

الشرح:

هذا من أنواع الشرك عموما قال المصنف: (شرك أصغر وهو الرياء) المصنف عرف الشرك الأصغر ببعض أفراده أي عرفه بالمثال وهذا لا مانع منه:

والعلماء رحمهم الله لهم في تعريف الشرك الأصغر ثلاث توجهات كالتالي:

أ. هناك من عرفه بالأمثلة: فيقول الشرك الأصغر هو الرياء مثلا، وقد يعرفه بأكثر من مثال، فيقول هو الرياء والحلف بغير الله وقول ما شاء الله وشئت وقول لولا الله وفلان... الخ كما صنع المؤلف هنا. وكما فعل في الدرر (١ / ١٩٥) أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وحمد بن ناصر، رحمهم الله تعالى، قالوا وأما الشرك الأصغر: فكيسير الرياء، والحلف بغير الله، كما ذكر عن النبي ﷺ أنه قال: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» ومن ذلك قول الرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك وأنا بالله وبك، ومالي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا؛ وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل: ما شاء الله

وشئت، فقال: «**أجعلتني لله ندًا، قل ما شاء الله وحده**» وهذه اللفظة: أخف من غيرها من الألفاظ؛ وقد يكون هذا شركًا أكبر، بحسب حال قائله ومقصده؛ وهذا الذي ذكرنا: متفق عليه بين العلماء – رحمهم الله تعالى – أنه من الشرك الأصغر، كما أن الذي قبله متفق عليه: أنه من الشرك الأكبر.

ب. كل قول أو عمل أو اعتقاد وسيلة إلى الشرك الأكبر.

ج. هناك من عرفه بالحد والحقيقة، فقال الشرك الأصغر هو كل ما ورد في النصوص تسميته شركًا ولم يبلغ حد الأكبر أي ولم يبلغ حد الألوهية.

د. وقيل الشرك الأصغر هو أن تجعل لغير الله نصيبًا مع الله ما لم يبلغ الشرك الأكبر أو بعبارة أخرى أن تجعل نصيبًا لغير الله مع الله بشيء لا يخرج من الملة.

والفرق بين هذا التعريف الأخير والذي قبله أن الذي قبله (ج) يشترط تسميته في النصوص شركًا أي لابد من دليل ينص عليه أما الأخير (د) فيشترط المعنى وهو أن تعمل عملًا وتجعل نصيبًا فيه لغير الله لكن لم يبلغ حد التكفير بهذا الشيء، والتعريف الثالث (ج) مأخوذ من اللغة من أصل كلمة شرك فهو من حيث اللغة العربية صحيح والتعريف الرابع (د) أدق لأنه مبني على اللغة وأيضا أشمل فيدخل فيه الرياء ومثل قول ما شاء الله وشئت ولو لا الله وفلان ومثل الحلف بغير الله وكل ما هو في المعنى أن تجعل نصيبا لغير الله مع الله وإن لم يوجد نص بتسميته شركا لأنه قد يكون من الصور المحدثة وتدخل في العموم المعنوي.

ثم ذكر المصنف الدليل على الشرك الأصغر وهو ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ هذا الدليل ظاهره أنه في الشرك الأكبر لأنه قال

﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ﴾ يعني لا يشرك شرك عبادة من حيث أصلها وشرك العبادة من حيث أصل العبادة لا يمكن أن يكون شركًا أصغر، الثاني أن الآية مكية.

فالدليل في الأكبر والكلام في الأصغر فكيف ذلك؟ وهل يسوغ الاستدلال؟ الجواب: نعم وإن كانت الآية في الأكبر لكن السلف يستدلون بالآيات التي نزلت في الأكبر على الأصغر من باب التغليظ، لا، أنه أكبر مثل استدلال حذيفة لما قطع خيطا في يد شخص وهذا أصغر وستدل بآية ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾.

مسألة: وليس معنى أصغر أنه قليل الأهمية! ليس كذلك بل هو أشد من كبائر الذنوب كما قال ابن مسعود: (لئن أحلف بالله كاذبا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقا) ولأن تسمية أصغر تسمية نبوية، ثم تسميته أصغر بالنظر إلى الأكبر.

مسألة: والمصنف ذكر الشرك الأصغر في باب الألوهية ولم يذكر الشرك الأصغر في باب الأسماء والصفات أو الربوبية، قال ابن تيمية في فتاوى (٣٨٧/٢٢) ومن ترك بعض ما أمر به بعد قضاء حاجته فهو من أهل الذنوب وقد يكون ذلك من الشرك الأصغر الذي يبتلى به غالب الخلق إما شركا في الربوبية وإما شركا في الألوهية كما مبسوط في موضعه وقد يبتلى في أماكن الجهل وزمانه كثير من الناس بما هو من الشرك الأكبر وهم لا يعلمون اهـ.

مسألة: والشرك الأصغر له أنواع كثيرة مثل الشرك الأكبر مثل: شرك المحبة الأصغر وشرك الطاعة الأصغر وشرك الإرادة والقصد الأصغرين و غير ذلك.

فمن شرك المحبة الأصغر: قال ابن تيمية في فتاوى (٧/ ٦٥) وتمام الكلام يبين أن الآية وإن تناولت الظالم الذي ظلم بكفره فهي أيضا متناولة ما دون ذلك وإن قيل فيها وما كانوا يعبدون فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتفش وثبت عنه في الصحيح أنه قال ما من صاحب كنز إلا جعل له كنزه يوم القيامة شجاعا أقرع يأخذ بلهزمته أنا مالك أنا كنزك وفى لفظ إلاّ مثّل يوم القيامة شجاعا أقرع يفر منه وهو يتبعه حتى يطوقه في عنقه وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ وفى حديث آخر مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع يتبع صاحبه حيثما ذهب وهو يفر منه هذا مالك الذي كنت تبخل به فإذا رأى أنه لابد منه أدخل يده في فيه فيقضمها كما يقضم الفحل وفى رواية فلا يزال يتبعه فيلقمه يده فيقضمها ثم يلقمه سائر جسده وقد قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ وقد ثبت في الصحيح وغيره عن النبي ﷺ أنه قال ما من صاحب كنز لا يؤدى زكاته إلا أحمى عليها في نار جهنم فيجعل صفائح فيكوى بها جبينه وجنباه حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار... وهذا كما في القرآن ويدل على أنه بعد دخول النار فيكون هذا لمن دخل النار ممن فعل به ذلك أولا في الموقف فهذا الظالم لما منع الزكاة يحشر مع أشباهه وماله الذي صار عبدا له من دون الله فيعذب به وإن لم يكن هذا من أهل الشرك الأكبر الذين يخلدون في النار ولهذا قال في آخر

الحديث ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار فهذا بعد تعذيبه خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يدخل الجنة وقد قال النبي ﷺ الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل قال ابن عباس وأصحابه كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق وكذلك قال أهل السنة كأحمد بن حنبل وغيره كما سنذكره إن شاء الله... وقال (٧ /٦٧) وتلك عبادة للأموال.اهـ

ومنه: قال ابن تيمية في فتاوى (٥٠٢/٢٧) فهذه نصوصه الصريحة توجب تحريم اتخاذ قبورهم مساجد مع أنهم مدفونون فيها وهم أحياء في قبورهم ويستحب إتيان قبورهم للسلام عليهم ومع هذا يحرم إتيانها للصلاة عندها واتخاذها مساجد ومعلوم أن هذا إنما نهى عنه لأنه ذريعة إلى الشرك وأراد أن تكون المساجد خالصة لله تعالى تبنى لجل عبادته فقط لا يشركه في ذلك مخلوق فإذا بنى المسجد لأجل ميت كان حراما فكذلك إذا كان لأثر آخر فإن الشرك في الموضعين حاصل اهـ. وقال ابن تيمية في فتاوى (٩١/٢٧) وأما التمسح بالقبر أي قبر كان وتقبيله وتمريغ الخد عليه فمنهي عنه باتفاق المسلمين ولو كان ذلك من قبور الأنبياء ولم يفعل هذا أحد من سلف الأئمة وأئمتها بل هذا من الشرك اهـ

مسألة: قال المصنف في الدرر (٢ / ١٥٠، ١٥١) وأما سؤالكم: هل هذا في المسلم الذي لم يصدر منه شرك بالكلية؟.

فنقول: أما الشرك الذي يصدر من المؤمن، وهو لا يدري، مع كونه مجتهدا في اتباع أمر الله ورسوله، فأرجو أن لا يخرجه هذا من الوعد.

وقد صدر من الصحابة أشياء من هذا الباب، كحلفهم بآبائهم، وحلفهم بالكعبة، وقولهم: ما شاء الله وشاء محمد؛ وقولهم: اجعل لنا ذات أنواط؛ ولكن إذا بان لهم الحق اتبعوه، ولم يجادلوا فيه حمية الجاهلية لمذهب الآباء والعادات.

وأما الذي يدعى الإسلام، وهو يفعل من الشرك الأمور العظام؛ وأما الإنسان الذي يفعلها بجهالة، ولم يتيسر له من ينصحه، ولم يطلب العلم الذي أنزله الله على رسوله، بل أخلد إلى الأرض، واتبع هواه، فلا أدري ما حاله. وأما قول من قال: من الشرك التصنع للمخلوق؛ فلعل مراده: التصنع بطاعة الله الذي يسمى: الرياء؛ وهو كثير جدا، فهذا صحيح في أمور لا يفطن لها صاحبها.

وأما خوف المخلوق؟ فالمراد به: الخوف الذي يحملك أن تترك ما فرض الله عليك، وتفعل ما حرم الله عليك، خوفا من ذلك المخلوق؛ وأما: الرجاء؟ فلعل المراد: الذي يخرج العبد عن التوكل على الله والثقة بوعده، وكل هذه الأمور كثيرة جدا.

وأما قولك: هل المراد به الشرك الأصغر، أو الأكبر؟ فهذا يختلف باختلاف الأحوال، وقد يتصنع لمخلوق فيخافه، أو يرجوه، فيدخل في الشرك الأصغر، وقد يتزايد ذلك، ويتوغل فيه، حتى يصل إلى الشرك الأكبر اهـ.

وقال الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله الحصين من طلاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدرر (٢ / ١٨٥) والشرك الأصغر: ذنب تحت المشيئة، كسائر الذنوب، بل هو أكبرها، لعموم قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ وحديث: «**أي الذنب أعظم**» ولكن: لا يكفر مرتكبها، ولا يخرج عن الملة الإسلامية، إذا لم يستحل فعلها اهـ.

وذكر الحفيد عب في الدرر (١١/ ٤٩٦)... وأما الشرك الأصغر فهو أكبر من الكبائر لقول النبي ﷺ لمن رأى في يده حلقة من صفر. إلى أن قال. «**فإنك إن مت وهي عليك ما أفلحت أبدا**» ولا يكفر الشرك أصغره ولا أكبره إلا بالتوبة منه

قبل الممات، ولأصغر لا يكفره في الدار الآخرة إلا كثرة الحسنات، لأن الأصغر لا يحبط إلا العمل الذي وقع فيه خاصة اهـ.

وقد بحثنا هذه المسألة في كتاب الجمع والتجريد في شرح كتاب التوحيد المجلد الأول في باب الخوف من الشرك.

❁ ❁ ❁

فصل

المتن:

والنوع الثالث: شرك خفي، والدليل عليه قوله ﷺ: «الشرك في هذه الأمة أخفي، من دبيب النمل على الصفاة السوداء في ظلمة الليل» وكفارته قوله: «اللّهم إن أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم».

الشرح:

هذا تقسيم المصنف ووافقه عليه الحفيد ولا مشاحة في الاصطلاح ودليله الحديث الذي ذكرا، وقد أشار المصنف إلى الشرك الخفي في كتابه العظيم كتاب التوحيد في باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فقد نقل تفسير ابن عباس للشرك الخفي وأمثلته فقال: قال ابن عباس في الآية: «الأنداد: هو الشركُ، أخفى من دبيبِ النملِ على صفاةٍ سوداء في ظُلْمة الليل. وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كُليبة هذا لأَتَانا اللصوص. ولولا البطُّ في الدار لأتانا اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت: وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانًا؛ هذا كلُّه به شركٌ» رواه ابن أَبِي حاتم. وتلاحظ من هذه الأمثلة أنها أمثلة معتادة للشرك الأصغر خصوصا قول ما شاء الله وشئت.

وممن قال بالشرك الخفي قبل المصنف: شداد بن أوس رضي الله عنه وأبو داود صاحب السنن. قال ابن تيمية في فتاوى (١٨/ ١٦٢) وكان شداد بن أوس يقول يا بقايا العرب يا بقايا العرب إنما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية قال أبو داود السجستانى صاحب السنن المشهورة الخفية حب الرياسة وذلك أن حب الرياسة

هو أصل البغي والظلم و أن الرياء هو من جنس الشرك أو مبدأ الشرك اهـ. وكان ابن تيمية يفسر الشرك الخفي بمثل ما جاء في الصحيح تعس عبد الدينار.. الخ. ووصفه بأنه إذا أعطي رضي، وإن منع سخط... وهذا في المال والجاه والصور، ولهذا كان الشرك أخفى من دبيب النمل. وقال ابن تيمية كما في المسائل التي لخصها المصنف عن ابن تيمية: قال: والشرك غالب على النفوس، كما في الحديث أخفى من دبيب النمل، وكثير ما يخالط النفوس من الشهوات ما يفسد عليها تحقيق ذلك، كما قال شداد بن أوس «أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية»، قال أبو داود هي حب الرياسة وفي الحديث «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه» اهـ.

وعند بعض أهل العلم أن الشرك الخفي من الأصغر. وأشار إلى ذلك الحفيد عبد الرحمن في الدرر(١/ ٣٢٧) أن الخفي هو الأصغر فقال وسماه توحيد الاعتقاد والعمل الذي اتفقت عليه دعوة المرسلين عليهم السلام وما دعوا إلى شيء قبله، وهو توحيد المراد، والإرادة وما تركت مكاتبتهم في هذا الشأن إلا لكون الغرض أعم، فإن عندهم من هو أسن منهم، وقد سمعوا اليسير من شيوخنا، إذا عرفت ما قلته، فإن حصل تعريف جامع لذلك عن توحيد الألوهية أنه هو ثالث أنواعه.

وفسر الشرك الخفي بأنه الشرك الأصغر، كالحلف بغير الله في الجملة، والرياء، وقول: ما شاء الله وشئت، ونحو ذلك، فإنه: أكبر من الكبائر، ولا يخرج من الملة ونعوذ بالله من قول، وعمل، لا يبتغى به وجه الله اهـ.

ومنحى من جعل الخفي قسيما للأكبر والأصغر أنهم لما رأوا خطورته أفردوه وجعلوه مستقلا وهذه طريقة صحيحة، قال ابن تيمية في فتاوى

(١٨/ ١٦٢) وقد بسطنا الكلام في هذه الأبواب الشريفة والأصول الجامعة في القواعد وبينا أنواع الظلم وبينا كيف كان الشرك أعظم أنواع الظلم ومسمى الشرك جليله ودقيقه فقد جاء في الحديث الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل وروى أن هذه الآية نزلت في أهل الرياء ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ وكان شداد بن أوس يقول يا بقايا العرب يا بقايا العرب إنما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية قال أبو داود السجستانى صاحب السنن المشهورة الخفية حب الرياسة وذلك أن حب الرياسة هو أصل البغي والظلم ما أن الرياء هو من جنس الشرك أو مبدأ الشرك والشرك أعظم الفساد كما أن التوحيد أعظم الصلاح اهـ.

والشاهد قوله: (الشهوة الخفية) كما قال شداد بن أوس وأبو داود، لكن لا أجزم أن المصنف وحفيده أرادا بالشرك الخفي أن تعريفه هو الشرك في الشهوة الخفية.

قال ابن تيمية في فتاوى (١/٩٣) وأما الشرك الخفي فهو الذي لا يكاد أحد أن يسلم منه مثل أن يحب مع الله غيره اهـ.

ولم يعرف المصنف ولا حفيده الشرك الخفي هنا كما عرف الشرك الأصغر لا بالمثال ولا بغيره، (مع أنه سابقا نقلنا كلام الحفيد عبد الرحمن أن الخفي هو الأصغر وذكر له مثالا وهو كالحلف بغير الله في الجملة)، فنحاول أن نجتهد في ماذا يقصد به المصنف والحفيد؟، فالذي يظهر من صنيعهما أن الشرك الخفي: هو الشرك الذي يقع فيه الإنسان من حيث لا يشعر ويخفى عليه أو يقال هو الشرك الذي لا يُعلم وهذا أحسن في التسمية لمطابقته للحديث.، ونزيد وهو المتعلق

بالشهوة الخفية، ويأتي إن شاء الله مزيد إيضاح، ولذا استدل المصنف بقول الرسول ﷺ: «**الشرك في هذه الأمة أخفي من دبيب النمل على الصفاة السوداء في ظلمة الليل**».

قال ابن تيمية في فتاوى (١/ ٩٤) إنما الكلام في محبة تتعلق بالنفوس لغير الله تعالى فهذا لا شك أنه نقص في توحيد المحبة لله وهو دليل على نقص محبة الله تعالى إذ لو كملت محبته لم يحب سواه ولا يرد علينا الباب الأول لأن ذلك داخل في محبته وهذا ميزان لم يجر عليك كلما قويت محبة العبد لمولاه صغرت عنده المحبوبات وقلت وكلما ضعفت كثرت محبوباته وانتشرت وكذا الخوف والرجاء وما أشبه ذلك فإن كمل خوف العبد من ربه لم يخف شيئا سواه قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وإذا نقص خوفه خاف من المخلوق وعلى قدر نقص الخوف وزيادته يكون الخوف كما ذكرنا في المحبة وكذا الرجاء وغيره فهذا هو الشرك الخفي الذي لا يكاد أحد أن يسلم منه إلا من عصمة الله تعالى وقد روى أن الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل وطريق التخلص من هذه الآفات كلها الإخلاص لله ﷻ قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ ولا يحصل الإخلاص إلا بعد الزهد ولا زهد إلا بتقوى والتقوى متابعة الأمر والنهى اهـ.

وبعضهم يسمي الشرك الخفي بشرك الشهوة الخفية ففي كتاب أنيس الفقهاء قال: فاسم من أشرك بالله إذا جعل له شريكا وفسر الشرك بالرياء في قوله عليه السلام إن أخوف ما أخاف على أمتي الشرك والشهوة الخفية وهي أن تعرض للصائم شهوة فتواقعها والشرك أيضا النصيب تسمية بالمصدر اهـ.

قال العسكري في الفروق (ص ١١٥) الشهوة: توقان النفس وميل الطباع إلى المشتهي وليست من قبيل الإرادة... وقال: الشهوة توقان النفس الى ما يلذ ويسر.. فأصبح هي أن يميل الإنسان الى طبع له أو شهوة له ويعملها على قصد الطبع وينسب ذلك أنه فعلها طاعة لله والأمر الخفي في ذلك أنه فعلها لتوافقها مع طبعه فقط ولولا ذلك لما فعلها. ولاحظ التفقيط هنا.

والشهوة أقرب إلى المحبة منها إلى الإرادة، لأن الغالب على الإنسان أن يحب طبعه ويحب جرّ الأشياء إلى طبعه، وهي تتبع الملاذ.

لكن إن كانت الشهوة الخفية ليس معها عمل فان شاء الله لا تضر. لحديث «إن الله عفى لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم». وهناك فرق بين الهوى والشهوة فإن الهوى هو ميل النفس كالشهوة وهذا صحيح وهذا هو القدر الذي يجتمعان فيه لكن الهوى ميل إلى ما لا ينبغي ولذا قد ينتبه الإنسان له أما الشهوة فميل إلى ما ينبغي لكن قصده تحقيق لذّته بإدراكه لها ثم يُلبسه لباس الشرع، فالشهوة غلبا تتعلق أيضا بما يدرك بالحواس.

وابن تيمية رحمه الله بسط هذه المسألة بسطا واسعا في الفتاوى (٨ / ٣٥٩) وما قبلها وما بعدها وملخص كلامه: أنها في طائفة من أهل السلوك والتصوف الذين يجعلون القبيح والحسن والحب والكره حسب إرادتهم ومحبتهم وأهوائهم وما يوافق طبعهم، فهم الذين يثبتون ما يلائم الطبع، فالحسن ما وافق طبع الإنسان وما اقترنت به لذته، والسيئة ما خلف الطبع واقترن به الألم وليس ما وافق الكتاب والسنة، ووافقهم على ذلك طائفة من أهل الكلام والرأي، وطائفة من الذين يرون شهود القدر فقط في فعل الله، فينتهون في المحبة والبغض والموالاة والمعاداة إلى

محض أهوائهم وإراداتهم، وقد خفي عليهم ذلك الشرك حتى ظنوه هو غاية الدين ورضاء الله.

قال ابن تيمية في الفتاوى (٨ / ٣٥٩): والنفوس قد تدعي محبة الله وتكون في نفس الأمر محبة شرك تحب ما تهواه وقد أشركته في الحب مع الله وقد يخفى الهوى على النفس، فإن حبك الشيء يعمي ويصم، وهكذا الأعمال التي يظن الإنسان أنه يعملها لله وفي نفسه شرك قد خفي عليه إما لحب رياسة وإما لحب مال وإما لحب صورة، ولهذا قالوا يا رسول الله الرجل يقاتل شجاعة وحمية ورياء أي ذلك في سبيل الله؟ فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، فلما صار كثير من الصوفية النساك المتأخرين يدّعون المحبة ولم يزنوها بميزان العلم والكتاب والسنة دخل فيها نوع من الشرك وإتباع الأهواء... إلى أن قال: إن من أحب الله ولم يتبع الرسول فقد كذب، ليست محبته لله وحده بل إن كان يحبه فهي محبة شرك فإنما يتبع ما يهواه.. إلى أن قال: وهكذا أهل البدع فمن قال إنه من المريدين لله المحبين له وهو لا يقصد إتباع الرسول والعمل بما أمر به وترك ما نهى عنه فمحبته فيها شوب من محبة المشركين واليهود والنصارى بحسب ما فيه من البدعة..... إلى أن قال: إن المحبة الشركية هي التي ليس فيها متابعة للرسول ولا بغض لعدوه ومجاهدة له.... إلى أن قال وهكذا أهل البدع المدعون للمحبة لهم من الإعراض عن إتباع الرسول بحسب بدعتهم وهذا من حبهم لغير الله وتجدهم من أبعد الناس عن موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه والجهاد في سبيله لما فيهم من البدع التي هي شعبة من الشرك اهـ ملخصا.

وقال ابن تيمية فتاوى (٧/ ٥٢٤) والنفاق كالكفر نفاق دون نفاق ولهذا كثيرا ما يقال كفر ينقل عن الملة وكفر لا ينقل ونفاق أكبر ونفاق أصغر كما يقال

الشرك شركان أصغر وأكبر وفى صحيح أبى حاتم وغيره عن النبي ﷺ أنه قال الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل فقال أبو بكر يا رسول الله كيف ننجوا منه وهو أخفى من دبيب النمل فقال: «**ألا أعلمك كلمة إذا قلتها نجوت من دقه وجله قل اللّهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم**» وفى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال من حلف بغير الله فقد أشرك قال الترمذي حديث حسن اهـ.

وقال ابن تيمية فتاوى (١٠/ ١٨٠) ولهذا كان الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل وفى الصحيح عن النبي صلى اله عليه وسلم انه قال تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش إن أعطى رضي وإن منع سخط فسماه النبي ﷺ عبد الدرهم وعبد الدينار وعبد القطيفة وعبد الخميصة، وذكر ما فيه دعاء وخبر وهو قوله (تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش) والنقش إخراج الشوكة من الرجل والمنقاش ما يخرج به الشوكة وهذه حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح لكونه تعس وانتكس فلا نال المطلوب ولا خلص من المكروه وهذه حال من عبد المال وقد وصف ذلك بأنه إذا أعطى رضي وإذا منع سخط كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ فراضاهم لغير الله وسخطهم لغير الله، وهكذا حال من كان متعلقا برئاسة أو بصورة ونحو ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضي وان لم يحصل له سخط فهذا عبد ما يهواه من ذلك وهو رقيق له إذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته فما استرق القلب واستعبده فهو عبده ولهذا يقال العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع اهـ.

مسـألة: ثـم نعـود إلى إشـكال وهـو إذا كـان لا يُعلـم فكيـف يكـون شـركـا؟ والجواب أن الأصل في طبيعة الشرك أنه من أسماء ذم الأفعال وهذا الاسم مرتبط بوقوعه وقيامه في الشخص، فإذا فعل الشرك الخفي لحقه أنه عمله ووقع فيه وإن كان لا يُؤاخذ حتى تقوم الحجة؟ ثم نقع في إشكال آخر كيف يستغفر من شيء لم يعلمه ولم يؤاخذ به؟ هنا لا أدري؟ والله أعلم.

مسألة: أنه قد يجتمع في الشخص الواحد شرك أكبر وكفر أكبر، فإذا أشرك دخل في الكفر باللازم، قال ابن تيمية في فتاوى (٢٧/ ٢٨٤) وأكثر المشركين يجمعون بين التكذيب ببعض ما جاؤا به وبين الشرك فيكون فيهم نوع من الشرك بالخالق وتكذيب رسله ومنهم من يجمع بين الشرك والتعطيل فيعطل الخالق أو بعض ما يستحقه من أسمائه وصفاته اهـ.

❁ ❁ ❁

فصل

المتن:

والكفر: كفران؛ كفر يخرج من الملة، وهو خمسة أنواع.

النوع الأول: كفر التكذيب، والدليل عليه، قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾.

النوع الثاني: كفر الاستكبار، والإباء (وعند عب الإباء والاستكبار) مع التصديق؛ والدليل عليه، قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾.

النوع الثالث: كفر الشك، وهو كفر الظن، والدليل عليه، قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾.

النوع الرابع: كفر الإعراض، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾.

النوع الخامس: كفر النفاق، الدليل عليه، قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾.

وكفر أصغر لا يخرج من الملة، وهو: كفر النعمة؛ والدليل عليه، قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ. هذه الآية لم يذكرها عب.﴾.

الشرح:

وقوله الكفر كفران هذا بإجماع السلف أن الكفر ينقسم إلى قسمين أكبر وأصغر وهو تقسيم ثنائي لا ثالث له، وليس هناك فيما أعلم كفر خفي كما جاء في الشرك الخفي.

مسألة: الكلام السابق في المتن يدل على أن المصنف يفرق بين الشرك والكفر، فقد ذكر الشرك أولا ثم ذكر أنواعه، ثم ذكر الكفر وأنواعه وتلاحظ أنها مختلفة مما يدل على الفرق.

والمصنف أخر الكفر بعد الشرك، لأن الكفر أعم من الشرك فقدم الأخص وأخر الأعم ليدل على أن ما لم يذكر في الشرك فهو في الكفر.

وابن حزم من في كتابه الفصل في المجلد الثالث (ص ٢٢٢) قال عن مسألة الشرك والكفر والعلاقة بينهما، فقال اختلف الناس في الكفر والشرك:

فقالت طائفة هما اسمان واقعان على معنيين وأن كل شرك كفر وليس كل كفر شركا، وقال هؤلاء لا شرك إلا قول من جعل لله شريكا.... وهو قول أبي حنيفة وغيره.

وقال آخرون الكفر والشرك سواء وكل كافر فهو مشرك وكل مشرك فهو كافر وهو قول الشافعي وغيره اهـ كلامه.

والصحيح أن الكفر أوسع من الشرك وكل شرك كفر وليس كل كفر شركا، قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾ فعطف هنا المشركين على الكفار والعطف يقتضي المغايرة.

ويظهر الخلاف في المسائل التالية: أ ـ في عدد الأنواع فمن يفرق عنده مثلا: الشرك أربعة أنواع، والكفر أربعة أنواع. ومن لا يفرق عنده الشرك والكفر ثمانية أنواع.

ب ـ في التلازم: فمن لا يفرق ليس عنده في هذا الباب تلازم، ومن يفرق يقول أحيانا يلزم من الشرك الكفر وهكذا.

ج ـ من مزق المصحف مثلا أو سب الله ورسوله فالأصل في تسميته أنه كافر كما قال تعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ ولا يسمى مشركا بالمطابقة، أما باللازم أو المآل فقد يسمى.

د ـ ويظهر الفرق أيضا في الأسباب والموانع للشرك والكفر فهناك بعض الفروق بينهما مما يدل على أن الشرك غير الكفر.

هـ ـ في الأضداد فالشرك ضده الإسلام، والكفر ضده الإيمان.

و ـ في النيابة فمثلا: فالرجل الذي انتسب إلى غير أبيه ومن أتى امرأة في دبرها يقال فيهما فقد كفر ولا ينوب عن ذلك أن يقال فقد أشرك إلا بتأويل أو بلازم أو مآل.

ز ـ ولا شك أنه باعتبار اللغة العربية فبينهما فرق وهذا بإجماع أهل اللغة، ولو فتشت في أي كتاب في معاني اللغة لوجدت أنه يفرق.

ح ـ وحتى في آيات القرآن فإنك تجد أنه يحصل العطف بين الشرك والكفر، والأصل في العطف أنه للمغايرة قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾.

ط ـ وكذا علماء الفروق الذين يهتمون بشرح الفرق بين كذا وكذا أيضا يفرقون.

مسألة: تعريف الكفر: الكفر لغة مأخوذ من الستر والتغطية ولذا سمي الزراع كفارا لأنهم يسترون الحب إذا زرعوه ويغطوه، قال تعالى: ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ أي الزراع.

وأما شرعًا: فالكفر ضد الإيمان وهذا تعريفه بالضد، وأما تعريفه بالحد والحقيقة فهو اسم جنس يقع على أقوال وأفعال واعتقادات تضاد الإيمان وهذا تعريف أهل السنة والجماعة.

قال ابن عبد البر في بيان الكفر هو العناد والإنكار قال: (من جهل بعض الصفات وآمن بسائرها لم يكن بجهل البعض كافرا، لأن الكفر من عاند لا من جهل، وهذا قول المتقدمين من العلماء ومن سلك سبيلهم من المتأخرين) التمهيد (١٨ / ٤٢).

وقال في الدرر (١ / ١٨٠) في تعريف الكفر: الحادية عشر، ويقولون: الأصول التي يكفر مخالفها، هي: التي تعلم بالعقل، وما لا فهي الشرعيات؛ وهذا تناقض؛ فإن الكفر: إنكار السمعيات، ولا يعرف إلا بها. وقال في الرسائل الشخصية، الرسالة (٣٥ في مجموع المؤلفات له ص ٢٤٠) قال: فإن الكفر كما قال ابن القيم في نونيته:

فالكفر ليس سوى العناد وردّ … ما جاء الرسول به لقول فلان

فانظر لعلك هكذا دون التي … قد قالها فتبوء بالخسران

قال ابن سحمان كفر العناد هو أن يرد ويكفر بما علم أن الرسول جاء به من أسماء الله أو صفاته أو أحكامه اهـ.

قال المصنف في كتاب التوحيد في باب الاستسقاء بالأنواء على قوله: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» المسألة لرابعة: أن من الكفر ما لا يخرج من الملة. وقال في تفسير سورة الحجرات المسألة السابعة: أن الكفر نوع والفسوق نوع، والعصيان عام في جميع المعاصي، فمن الكفر شيء لا يُخرج عن الملة كقوله: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» ومنه الفسوق بالكبائر، فعلمتَ أنَّ ما أطلق عليه الكفر أكبر من الكبائر ولو لم يخرج من الملة.

قال في قسم الفتاوى في المسألة الحادية عشرة من مجموع المؤلفات (ص ٤٩) لما سؤل عن معنى قول: («كل ذنب عُصِي الله تعالى به شرك أو كفر»؟ فقال: وأما معنى «كل ذنب عُصِي الله تعالى به شرك أو كفر»، فالشرك والكفر نوع، والكبائر نوع آخر، والصغائر نوع آخر. ومن أصرح ما فيه حديث أبي ذَرٍّ فيمن لقي الله بالتوحيد قوله: «وإن زنى وإن سرق» مع أن الأدلة كثيرة. وإذا قيل: من فعل كذا فقد أشرك أو كفر، فهو فوق الكبائر. وما رأيت ما يخالف مما ذكرت لك فهو بمعنى الذي هو أخفى من دبيب النمل. وقول القائل: «كفر نعمة» خطأ ردَّه الإمام أحمد وغيره. ومعنى: (كفر دون كفر) أنه ليس يخرج من الملة مع كبره اهـ بنصه.

والمصنف ممن يفرق بين كلمة الإسلام والإيمان إذا اجتمعا كما في ثلاثة الأصول، ومن مظاهر الفرق: قول المصنف: إن الإيمان أعلى من الإسلام فيخرج من الإيمان إلى الإسلام ولا يخرجه من الإسلام إلا الكفر، فيخرج من الإيمان إلى

الإسلام الذي ينفعه وإن كان ناقصا... وقال إن الإيمان يستلزم الإسلام قطعا، وأما الإسلام فقد يستلزمه وقد لا يستلزمه (قاله في قسم الفتاوى في المسألة الثالثة عشرة من مجموع المؤلفات ص ٥٧). وكل من فرق بين الإسلام والإيمان يلزمه التفريق بين الشرك والكفر، لأن ضد الإسلام الشرك وضد الإيمان الكفر.

قال أبناء الشيخ محمد وحمد بن معمر في الدرر (١ / ٢٠٦) قال الشيخ تقي الدين: والذي اختاره الخطابي، هو قول من فرق بينهما، كأبي جعفر، وحماد بن زيد، وعبد الرحمن بن مهدي، وهو: قول أحمد بن حنبل، وغيره؛ وما علمت أحدًا من المتقدمين خالف هؤلاء، وجعل نفس الإسلام نفس الإيمان؛ ولهذا كان عامة أهل السنة على هذا الذي قاله هؤلاء، كما ذكره أبو قاسم التيمي الأصبهاني، وابنه محمد، شارح مسلم، وغيرهما: أن المختار عند أهل السنة، وأنه لا يطلق على السارق، والزانى، اسم مؤمن، كما دل عليه النص. اهـ المقصود.

وأما تعريف أهل البدع للكفر فهو كالتالي:

أولاً: المعتزلة والخوارج عندهم الكفر هو المعاصي أي فعل المعاصي سواء كانت مكفرة أو من الكبائر.

ثانيًا: الجهمية الكفر عندهم هو الجهل فقط فلا يكفر إلا الجاهل، والإيمان عندهم العلم فكل عالم بالله ورسوله فهو مؤمن وكل جاهل بهما أو بالدين فهو كافر.

ثالثًا: الكرامية الكفر عنده هو قول اللسان فمن جحد أو كذب أو عاند بلسانه كفر والإيمان عندهم قول اللسان فمن قال بلسانه لا إله إلا الله فهو مؤمن.

رابعًا: الأشاعرة الكفر عندهم هو التكذيب والجحود والإيمان عندهم هو التصديق فقط. فمن جحد بقلبه أو كذب بقلبه فهو كافر.

خامسًا: الماتريديه مذهبهم نفس مذهب الأشاعرة في الكفر والإيمان.

هذه الطوائف الأربعة وهم الجهمية والكرامية والأشاعرة والماتريدية يسمون غلاة المرجئة.

سادسًا: مرجئة الفقهاء وتسمى المرجئة المحضة وهؤلاء الكفر عندهم هو التكذيب والجحود باللسان أو بالقلب وأيضًا الاستخفاف والاستهزاء بالدين، والإيمان عندهم هو تصديق اللسان وتصديق القلب مع الاحترام والتعظيم والانقياد والقبول للدين، وهؤلاء أحسن طوائف المرجئة فإنهم جعلوا الإيمان في ثلاثة أشياء في اللسان وهو قول لا إله إلا الله ويقابله الكفر باللسان هذه الأولى، ثم العلم والتصديق بالقلب ويقابله التكذيب والجحود بالقلب وهو كفر القلب وهذه الثانية، ثم بعض أعمال القلوب وهي محبة الدين وتعظيمه واحترامه وقبوله ويقابله الاستخفاف والاستهتار بالدين وهو كفر القلب وهذه الثالثة.

والملاحظ على الطوائف الخمس والتي تسمى طوائف المرجئة وهم الغلاة وهم أربع طوائف ومرجئة الفقهاء وهي الخامسة ليس عندهم كفر عملي بالجوارح، والسلف وحدهم هم الذين عندهم كفر عملي بغض النظر عن الاعتقاد مثل الذبح لغير الله والسجود لغير الله وتشريع القوانين الوضعية ومثل السخرية بالدين وأهله وتمزيق المصحف ومثل التولي ومساعدة الكفار ضد المسلمين، وأمثال ذلك كل ذلك كفر عملي يكفر بمجرده بغض النظر عن اعتقاده وهو قول السلف.

فصل

المتن:

كفر يخرج من الملة، وهو خمسة أنواع.

النوع الأول: كفر التكذيب، والدليل عليه، قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾.

الشرح:

قال المصنف: (كفر يخرج من الملة) وقصد بالملة هنا الملة الإسلامية وقول الصنف (وهو خمسة أنواع) هذا اختيار المصنف وهناك من أهل العلم من يجعله أكثر من ذلك ولا مشاحة في ذلك لأن المصنف ما قصد الاستيعاب وإنما اختار خمسة من الأشياء المهمة في عصره، وإلا فالكفر الأكبر خصال كثيرة.

والمصنف رتبها هكذا: التكذيب ثم الاستكبار والإباء ثم الشك والظن ثم الإعراض ثم النفاق. فهل الترتيب مقصود؟ إن قلت إن المصنف بدأ بالأخف ثم انتهى بالأغلظ وهو النفاق فهذا ترتيب حسن. لكن يشكل على ذلك أن الإعراض والشك أخف من التكذيب وهما بعده. لكن أقرب ما يقال أن المصنف رتب باعتبار المحل فما يتعلق بقول القلب قدمه على عمل القلب.

فبدأ بالتكذيب لأنه ضد التصديق، والتصديق من قول القلب (أي محل التصورات والعلم ومحل عقد القلب) وقول اللسان، فيقدم على عمل القلب لأنه بعده في الترتيب، ومثله الشك والظن فإن كان بمعنى الريب فله علاقة بالقلب وإلا فهو متعلق بالعلم الذي هو قبل عمل القلب إنما متعلق بالتصورات والعقل وهو محل العلوم.

والإعراض هل هو بعد التكذيب والظن أم قبلهما؟ الإعراض قد يكون لهذا وقد يكون لذاك، فقد يعرض بعد التصديق وهو الإباء والاستكبار .وهذا نص عليه المصنف .وقد يعرض من غير إرادة للهدى، وقد يكون قبله فقد يعرض لجهله وهو كفر الجهل.

مسألة: والشيء الذي لا يجوز الاختلاف فيه وهو من أصول أهل السنة والجماعة تسمية ما جاء في النصوص تعليق الكفر الأكبر به أنه مخرج من الملة وكفر أكبر، لكن الاختلاف في نوع اسمه هل هو إباء أم استكبار أم تولي أم امتناع أم شك وهل هو الظن أم لا؟ فهذا الخلاف فيه ليس فيه سنة وبدعة بل خطأ وصواب وفيه والأجر والأجرين.

قال المصنف:

النوع الأول: كفر التكذيب والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ فنوع الكفر هنا التكذيب، والتكذيب بالقلب واللسان أن يكذب بقلبه مع لسانه وهذا التكذيب المطلق، وأحيانًا يكذب بلسانه ويصدق بقلبه وهذا يسمى تكذيب اللسان ويسمى جحود اللسان قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ أي كذبوا بألسنتهم وصدقوا بقلوبهم، وهناك عكسه وهو ما يسمى بتكذيب القلب وتصديق اللسان وهذا ما يسمى بالنفاق في بعض أنواعه ويأتي أن شاء الله في النوع الخامس.

مسألة: أين محل التكذيب؟ في اللسان أم في القلب؟. وفي أي مكان في القلب؟ قبل الإجابة عن هذا السؤال – هل التكذيب معه علم أو ليس معه علم؟.

التكذيب يتبع العلم ولا يمكن أن يكذب الإنسان إلا بشيء علمه ثم كذبه كما في الآية التي ذكر المصنف (**وكذب بالحق لما جاءه**)، والكذب لا يقع إلا في الخبر وضد الكذب الصدق قاله العسكري في الفروق (ص ٣١).

وعلى ذلك فالتكذيب ليس ضد العلم بل هو تابع له وإنما العلم ضده الجهل، وهنا نعود إلى أين محل التكذيب من القلب نقول ليس محل التكذيب من القلب محل العلم من القلب فإن محل العلم من القلب هو فيما يسمى بقول القلب أو بالعقل، فالعلم والتصورات والأفكار قول القلب ومحلها العقل، والعقل هو مقدم القلب وهو في القلب قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ فالعقل النافع في القلب، ومجرد المعلومات والتصورات والذكاء ففي الدماغ، ولذلك فالكافر يحصل له الثاني دون الأول. ثم بعد محل العلم يأتي محل الكذب وضده التصديق وعلى ذلك أيهما أغلظ كفر الجهل أو كفر التكذيب؟ كفر التكذيب أغلظ.

ثم استدل المصنف بآية تدل على كفر التكذيب الشاهد قوله: (وكذب بالحق لما جاءه) وسماه في آخر الآية من الكافرين.

وهناك أمثلة معاصرة لكفر التكذيب مثل تكذيب العلمانيين ببعض الآيات التي تتحدث عن الأمور العلمية والغيبية، ومثله التكذيب ببعض الأحاديث التي يزعمون أنها تخالف العلم كحديث الذباب فإنه مشهور عند العلمانيين بالتكذيب به ومثل التكذيب ما جاء في النصوص من علامات الساعة كالدجال وغيره، ومثل تكذيبهم بالجن فالعلمانيون ينكرون الجن ومثل تكذيبهم بآيات والأحاديث أن المستقبل لهذا الدين ويرون أن المستقبل للحضارة الغربية ومثل تكذيبهم

بالتشريعات الإسلامية في السياسة والاقتصاد والحكم وهم يجحدونها، ومثل جحودهم تفريق الإسلام بين المرأة والرجل إلى غير ذلك من الكفريات المعاصرة للعلمانيين في باب التكذيب.

❁ ❁ ❁

فصل

المتن:

النوع الثاني: كفر الاستكبار والإباء (وعند عب الإباء والاستكبار) مع التصديق؛ والدليل عليه، قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

الشرح:

هنا تكلم المصنف عن كفرين فدمج كفرين في نوع واحد، وبعض أهل العلم يسميه كفر الرفض أو كفر عدم القبول وبعضهم يسميه كفر الامتناع وبعضهم يسميه كفر العناد. والاستكبار ضد القبول، والإباء هو الترك ضد الانقياد بالعمل.

ويحتمل أن المصنف قدم الاستكبار لأن ضده القبول على الإباء الذي ضده الانقياد لأن القبول في المرتبة قبل الانقياد، لأن الاستكبار أشد من الإباء وأخص منه فراعى المصنف هذا الجانب فقدم الأشد. أما الحفيد فربما نظر إلى نص الآية، والآية قدمت الإباء على الاستكبار ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾. والله اعلم.

مسألة: لا بد أن نفهم أن كلامه هنا في الاستكبار والإباء في باب الكفر لا في باب الشرك، فهو استكبار وإباء يكفر به ويقال كفر بهذا لا يقال أشرك بهذا، لأن شرك الاستكبار والإباء سبق أن مر علينا في أنواع الشرك قبل ذلك.

مسألة: وهناك أصول لابد من مراعاتها لفهم هذا الفصل وهي:

أ. التفريق بين الاستكبار والإباء وبين الترك كسلا وتهاونا.

ب. التفريق بين معنى الاستكبار وبين معنى الإباء.

ج . التفريق بين التكفير بهما . أي الإباء والكسل . ظاهرا وبينه وبين التكفير باطنا وهو النفاق الأكبر.

د . وبين الردة والنفاق الأكبر فيهما. فهناك فرق بين ترك الصلاة أو أحد المباني الأربع تأويلا أو جهلا أو نفاقا أو امتناعا، وهناك فرق بين كفر الردة وكفر التأويل وكفر النفاق. والخلط بين هذه الأمور يؤدي إلى عدم ضبط هذا الفصل ويؤدي إلى الخلط واللبس، وقد يظن القاريء أنّا نسوقهما سوقا واحد نظرا لتداخل الأدلة.

وقول المصنف كفر الاستكبار والإباء، هنا عطف المصنف والعطف يقتضي المغايرة فالاستكبار غير الإباء، إذا اجتمعا فأحدهما في الأوامر أو الواجبات والآخر في النواهي أو المحرمات، فالاستكبار مثلا أن يترك ما فعله إيمان وتركه كفر أكبر، فيكون كفر بالترك لكن على جهة الاستكبار، والإباء أن يرفض ترك ما تركه إيمان وفعله كفر أكبر لكن على جهة الرفض والإباء.

ومن جهة أخرى فالإباء في المحرمات فيرفض ويمتنع عن تركها أو الكف عنها والاستكبار في الواجبات فيستكبر ويرتفع أن يفعلها، ويقصد بالإباء إباء القلب ورفض القلب من التزم وترك المحرمات، وقد يقول قائل هذه نزعة خوارج وخارجية معاصرة لأن رفض ترك المحرمات والتكفير بذلك توجه الخوارج، مثل أن تقول له لا تزن فأبى وزنا فإن التكفير به فعل الخوارج لأنه رفض؟ والجواب: هناك فرق بين رفض القلب ورفض الجوارح، ولنضرب مثالًا في الزنا: إنسان رفض أن يلتزم تحريم الزنا بقلبه ورفض أن ينقاد ويقبل الحكم

بتحريم الزنا ولذا تجده يفعل الزنا على أنه حلال بقلبه هذه الصورة الأولى، الصورة الثانية أن يدعي أن الزنا تقدم وحضارة هذا لم يلتزم تحرم الزنا، الصورة الثالثة أن ينكح امرأة أبيه مثلا، الصورة الرابعة أن يلزم الناس ألزامًا عامًا بالزنا هذا دليل أنه لم ينقد بقلبه ويقبل، هذه الصور الأربعة تدل على أن الرجل بقلبه لم يقبل ولم ينقد وهذا موضع التكفير.

أما القسم الثاني وهو إباء الجوارح فهذا منقاد وقابل بقلبه تحريم الزنا، ولذا تجده إذا زنا خاف من الله وخاف من العقوبة ويفعل الزنا بتستر، والخوف والتستر دليل أنه منقاد بقلبه لكنه إذا وجد فرصة زنا هذه هو الذي ليس بكفر وهو الذي يكفر به الخوارج و فرق بينهما، وفرق بين إنسان يُحسّن الزنا ويدعو إليه جهرة وينشا أماكن للدعارة علنية ويرخص بها هذا يدل أنه غير مبال بتحريم الزنا وغير ملتزم لتحريمه بقلبه وفرق بين هذه وبين إنسان لا يدعو للزنا ويخاف العقوبة أو يفعله بتستر، لابد من التفريق بين هذا وهذا.

ومن أمثله الإباء والاستكبار ما قال المصنف في الدرر (١ / ١٢٣) الخامسة: أن الرسول ﷺ فرض الإيمان بما جاء به كله، لا تفريق فيه، فمن آمن ببعض، وكفر ببعض، فهو كافر حقًا، بل لابد من الإيمان بالكتاب كله، فإذا عرفت: أن من الناس من يصلي ويصوم، ويترك كثيرًا من المحرمات، لكن لا يورثون المرأة، ويزعمون أن ذلك هو الذي ينبغي إتباعه، بل لو يورثها أحد عندهم، ويخلف عادتهم، أنكرت قلوبهم ذلك، أو ينكر عدة المرأة في بيت زوجها، مع علمه بقول الله تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ ويزعم أن تركها في بيت زوجها لا يصلح، وأن إخراجها عنه، هو: الذي ينبغي فعله؛ وأنكر: التحية بالسلام، مع معرفة أن الله شرعه، حبًا لتحية الجاهلية لما

ألفها، فهذا يكفر، لأنه آمن ببعض وكفر ببعض، بخلاف من عمل المعصية، أو ترك الفرض، مثل فعل الزنا، وترك بر الوالدين، مع اعترافه أنه مخطيء، وأن أمر الله، هو الصواب.

واعلم. أني مثلت لك بهذه الثلاث، لتحذو عليها، فإن عند الناس من هذا كثير، يخالف ما حد الله في القرآن، وصار المعروف عندهم: ما ألفوه عند أهليهم، ولو يفعل أحد ما ذكر الله، ويترك العادة، لأنكروا عليه، واستسفهوه، بخلاف من يفعل أو يترك، مع اعترافه بالخطأ، وإيمانه بما ذكر الله اهـ.

مسألة: قوله مع التصديق أي أنه استكبر وأبى ليس عن تكذيب، لا، بل هو مصدق لكن رفض الالتزام والقبول والانقياد بالقلب، أو بالجوارح في الأركان الخمسة على نقاش سوف يأتي إن شاء الله في مسألة الأركان الخمسة.

مسألة: لا بد أن يكون إباؤه للشرع لا لشخص معين لا يحبه قد أمره بواجب فرفض، فهذا ليس إباءا للشريعة بل لذات الآمر ففرق بينهما.

أما الدليل على أن الاستكبار والإباء كفر أكبر:

الأول: ما صح عن النبي ﷺ أنه أرسل سرية إلى رجل نكح امرأة أبية جهرًا فأرسل إليه من يقتله وخمّس ماله وهذا دليل التكفير.

الدليل الثاني: نقل ابن تيمية الإجماع على أن من رفض التزام شعيرة من شعائر الدين الظاهرة أنه يقاتل وحكمه حكم المرتد، واسمه مرتد.

وهنا قاعدة كبرى يجب الانتباه إليها عند دراسة موضوع الاستكبار والإباء وهو التفريق بين من ترك إباءا أو استكبارا، وبين من ترك كسلا وتهاونا،

فالأول هو غير ملتزم لها قلبا ولا قبولا، والثاني غير ملتزم لها في الجوارح ولذا في الثاني يفرق بين الأركان الخمسة وغيرها، أما الأول فلا تفريق، وسوف نتعرض لهذا إن شاء الله مرة أخرى لكن أحببنا أن نتقدم هذه القاعدة دفعا للخلط مقدما.

أما النوع الثاني: وهو كفر الاستكبار وهذا في الواجبات أن يستكبر عن أدائها والاستكبار في الواجبات على قسمين:

القسم الأول: الأركان الخمسة فمن استكبر عن التوحيد كفر بالإجماع وهذا يُذكر في باب الشرك فمن ترك التوحيد فعل الشرك ولا بد لأنهما ضدان لا يجتمعان ولا يرتفعان، ومن استكبر عن الصلوات الخمس ورفض أدائها هذا يكفر وهو إجماع الصحابة نقله ابن حزم في المحلى في أول كتاب الصلاة، وقال شقيق بن عبد الله ما كانوا يرون من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة، وقال إسحاق بن راهويه: وكذلك كان رأى أهل العلم من لدن النبي ﷺ إلى زماننا هذا أن تارك الصلاة عمدا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر اهـ التمهيد (٤ / ٢٢٥).

أما الاستكبار عن الثلاثة الباقية وهي الزكاة والصيام والحج فيرفض أدائها ويستكبر ففي الزكاة يكفر وهو إجماع الصحابة في مانعي الزكاة وصح عن ابن مسعود: ما تارك الزكاة بمسلم، وقال الحميدي في كتابه أصول السنة: قال السنة عندنا... ثم قال إنما الكفر ترك الخمس (أي الأركان الخمسة) أما ثلاثة فلا يناظر بها: الشهادة والصلاة والصوم اهـ.

مسألة: ولأن هذا الموضوع مهم فسوف نفصل فيه إن شاء الله الآن كلام أهل العلم على شكل نقاط، والشاهد أو الكلام المهم نضع تحته خط:

النقطة الأولى: قال عبد الله بن أحمد حدَّثنا سويد بن سعيد الهرويّ قال:

سألنا سفيان بن عيينة عن الإرجاء. فقال: يقولون الإيمان قولٌ وعملٌ، والمرجئة أوجبوا الجنَّة لمن شهد أَنَّ لا إله إلا الله مصرًّا بقلبه على ترك الفرائض وسمُّوا ترك الفرائض ذنبًا بمنزلة ركوب المحارم، وليس بسواء لأَنَّ ركوب المحارم من غير استحلالٍ معصية، وترك الفرائض متعمِّدًا من غير جهل ولا عذر هو كفر.اهـ السنَّة لعبد الله بن أحمد (١/٣٤٧-٣٤٨).

النقطة الثانية: وقال الحميديّ في أصول السُّنَّة: (وأن لا نقول كما قالت الخوارج: من أصاب كبيرةً فقد كفر. ولا تكفير بشيء من الذُّنوب، إنَّما الكفر في ترك الخمس التي قال رسول الله ﷺ: «**بُنِيَ الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله، وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت**».

النقطة الثالثة: وفي السنَّة للخلاَّل قال الحميدي: أُخبِرتُ أَن قومًا يقولون: إِنَّ من أقرَّ بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، ولم يفعل من ذلك شيئًا حتى يموت أو يصلي مسندٌ ظهرَه مستدبر القبلة حتى يموت فهو مؤمنٌ ما لم يكن جاحدًا إذا علم أَنَّ تركه ذلك في إيمانه إذا كان يقرُّ الفروض واستقبال القبلة؛ فقلت: هذا الكفر بالله الصُّراح وخلاف كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ وفعل المسلمين. قال حنبل: قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: من قال هذا فقد كفر بالله، وردَّ على الله أمره وعلى الرسول ما جاء به اهـ.

النقطة الرابعة: قال ابن تيمية في الفتاوى (٧/٣٠٢) وقد اتفق المسلمون على أنه من لم يأت بالشهادتين فهو كافر، وأما الأعمال الأربعة فاختلفوا في تكفير تاركها، قال الحكم بن عتيبة من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر، ومن ترك الزكاة

متعمدا فقد كفر، ومن ترك الحج متعمدا فقد كفر، ومن ترك صوم رمضان متعمدا فقد كفر. وقال سعيد بن جبير من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر بالله، ومن ترك الزكاة متعمدا فقد كفر بالله، ومن ترك صوم رمضان متعمدا فقد كفر بالله. وقال الضحاك لا ترفع الصلاة إلا بالزكاة. وقال عبدالله بن مسعود من أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فلا صلاة له، رواهن أسد بن موسى اه.

النقطة الخامسة: وقال أيضا في الفتاوى (٧ / ٦١٠) وأما مع الإقرار بالوجوب إذا ترك شيئا من هذه الأركان الأربعة ففي التكفير أقوال للعلماء هي روايات عن أحمد، **أحدها:** أنه يكفر بترك واحد من الأربعة حتى الحج وإن كان في جواز تأخيره نزاع بين العلماء فمتى عزم على تركه بالكلية كفر، وهذا قول طائفة من السلف، وهي إحدى الروايات عن أحمد اختارها أبو بكر.

والثاني: أنه لا يكفر بترك شيء من ذلك مع الإقرار بالوجوب وهذا هو المشهور عند كثير من الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وهو أحدى الروايات عن أحمد اختارها ابن بطة وغيره.

والثالث: لا يكفر إلا بترك الصلاة وهي الرواية الثالثة عن أحمد وقول كثير من السلف وطائفة من أصحاب مالك والشافعي وطائفة من أصحاب أحمد.

والرابع: يكفر بتركها وترك الزكاة فقط.

والخامس: بتركها وترك الزكاة إذا قاتل الإمام عليها دون ترك الصيام والحج.

وهذه المسألة لها طرفان:

أحدهما: في إثبات الكفر الظاهر.

والثاني: في إثبات الكفر الباطن، فأما الطرف الثاني فهو مبنى على مسألة كون الإيمان قولا وعملا كما تقدم ومن الممتنع أن يكون الرجل مؤمنا إيمانا ثابتا في قلبه بأن الله فرض عليه الصلاة والزكاة والصيام والحج ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة ولا يصوم من رمضان ولا يؤدي لله زكاة ولا يحج إلى بيته فهذا ممتنع ولا يصدر هذا إلا مع نفاق في القلب وزندقة لا مع إيمان صحيح، ولهذا إنما يصف سبحانه بالامتناع من السجود الكفار كقوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾..

النقطة السادسة: إلى أن قال ابن تيمية: وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وغيرهما في الحديث الطويل حديث التجلي أنه إذا تجلى تعالى لعباده يوم القيامة سجد له المؤمنون وبقي ظهر من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة مثل الطبق لا يستطيع السجود فإذا كان هذا حال من سجد رياء! فكيف حال من لم يسجد قط؟

وثبت أيضا في الصحيح أن النار تأكل من ابن آدم كل شيء إلا موضع السجود فإن الله حرم على النار أن تأكله فعلم أن من لم يكن يسجد لله تأكله النار كله، وكذلك ثبت في الصحيح أن النبي يعرف أمته يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فدل على أن من لم يكن غرا محجلا لم يعرفه النبي فلا يكون من أمته وقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ وكذلك قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ

ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ فوصفه بترك الصلاة كما وصفه بترك التصديق ووصفه بالتكذيب والتولي، و المتولي هو العاصي الممتنع من الطاعة كما تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وكذلك وصف أهل سقر بأنهم لم يكونوا من المصلين وكذلك قرن التكذيب بالتولي في قوله: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ و أيضا في القرآن علق الأخوة في الدين على نفس إقام الصلاة وإيتاء الزكاة كما علق ذلك على التوبة من الكفر فإذا انتفي ذلك انتفت الأخوة، و أيضا فقد ثبت عن النبي أنه قال: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**» وفى المسند: «**من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه الذمة**» وأيضا فإن شعار المسلمين الصلاة ولهذا يعبر عنهم بها فيقال اختلف أهل الصلاة واختلف أهل القبلة، والمصنفون لمقالات المسلمين يقولون مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، وفى الصحيح: «**من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ما لنا وعليه ما علينا**» وأمثال هذه النصوص كثيرة في الكتاب والسنة.

وأما الذين لم يكفروا بترك الصلاة ونحوها فليست لهم حجة إلا وهي متناولة للجاحد كتناولها للتارك فما كان جوابهم عن الجاحد كان جوابا لهم عن التارك مع أن النصوص علقت الكفر بالتولي كما تقدم وهذا مثل استدلالهم بالعمومات التي يحتج بها المرجئة كقوله: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه أدخله الله الجنة» ونحو ذلك من النصوص.

وأجود ما اعتمدوا عليه قوله: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد في اليوم والليلة فمن حافظ عليهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يحافظ عليهن لم يكن له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة» قالوا فقد جعل غير المحافظ تحت المشيئة والكافر لا يكون تحت المشيئة.

ولا دلالة في هذا فإن الوعد بالمحافظة عليها، والمحافظة فعلها في أوقاتها كما أمر كما قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ وعدم المحافظة يكون مع فعلها بعد الوقت كما آخر النبي ﷺ صلاة العصر. يوم الخندق فأنزل الله آية الأمر بالمحافظة عليها وعلى غيرها من الصلوات وقد قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ فقيل لابن مسعود وغيره ما إضاعتها فقال تأخيرها عن وقتها، فقالوا ما كنا نظن ذلك إلا تركها فقال لو تركوها لكانوا كفارا، وكذلك قوله: ﴿فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ ذمهم مع أنهم يصلون لأنهم سهوا عن حقوقها الواجبة من فعلها في الوقت وإتمام أفعالها المفروضة، كما ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «**تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا**» فجعل هذه صلاة المنافقين لكونه أخرها عن الوقت ونقرها، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه ذكر الأمراء بعده الذين يفعلون ما ينكر وقالوا يا رسول الله أفلا نقاتلهم قال: «لا ما صلوا» وثبت عنه أنه قال: «سيكون أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها فصلوا الصلاة لوقتها ثم اجعلوا صلاتكم معهم نافلة» فنهى عن قتالهم إذا صلوا وكان في ذلك دلالة على أنهم إذا لم يصلوا قوتلوا وبين أنهم يؤخرون الصلاة عن وقتها وذلك ترك المحافظة عليها لا تركها وإذا عرف الفرق بين الأمرين فالنبي ﷺ إنما

أدخل تحت المشيئة من لم يحافظ عليها لا من ترك، ونفس المحافظة يقتضي-أنهم صلوا ولم يحافظوا عليها ولا يتناول من لم يحافظ فإنه لو تناول ذلك قتلوا كفارا مرتدين بلا ريب.

ولا يتصور في العادة أن رجلا يكون مؤمنا بقلبه مقرا بأن الله أوجب عليه الصلاة ملتزما لشريعة النبي ﷺ وما جاء به يأمره ولي الأمر بالصلاة فيمتنع حتى يقتل، ويكون مع ذلك مؤمنا في الباطن قط لا يكون إلا كافرا ولو قال أنا مقر بوجوبها غير أنى لا أفعلها كان هذا القول مع هذه الحال كذبا منه كما لو أخذ يلقي المصحف في الحش ويقول أشهد أن ما فيه كلام الله أو جعل يقتل نبيا من الأنبياء ويقول أشهد أنه رسول الله ونحو ذلك من الأفعال التي تنافى إيمان القلب، فإذا قال أنا مؤمن بقلبي مع هذه الحال كان كاذبا فيما أظهره من القول.

فهذا الموضع ينبغي تدبره فمن عرف ارتباط الظاهر بالباطن زالت عنه الشبهة في هذا الباب وعلم أن من قال من الفقهاء أنه إذا أقر بالوجوب وامتنع عن الفعل لا يقتل أو يقتل مع إسلامه فإنه دخلت عليه الشبهة التي دخلت على المرجئة والجهمية والتي دخلت على من جعل الإرادة الجازمة مع القدرة التامة لا يكون بها شيء من الفعل.

ولهذا كان الممتنعون من قتل هذا من الفقهاء بنوه على قولهم في مسألة الإيمان وأن الأعمال ليست من الإيمان وقد تقدم أن جنس الأعمال من لوازم إيمان القلب، وأن إيمان القلب التام بدون شيء من الأعمال الظاهرة ممتنع سواء جعل الظاهر من لوازم الإيمان أو جزء من الإيمان كما تقدم بيانه، وبهذا تزول الشبهة في هذا الباب فإن كثيرا من الناس بل أكثرهم في كثير من الأمصار لا يكونون

محافظين على الصلوات الخمس ولا هم تاركيها بالجملة بل يصلون أحيانا ويدعون أحيانا فهؤلاء فيهم إيمان ونفاق (١) وتجري عليهم أحكام الإسلام الظاهرة في المواريث ونحوها من الأحكام فإن هذه الأحكام إذا جرت على المنافق المحض (٢) كابن أبي وأمثاله من المنافقين فلأن تجري على هؤلاء أولى وأحرى.

وبيان هذا الموضع مما يزيل الشبهة فإن كثيرا من الفقهاء يظن أن من قيل هو كافر فإنه يجب أن تجري عليه أحكام المرتد ردة ظاهرة فلا يرث ولا يورث ولا يناكح حتى أجروا هذه الأحكام على من كفروه بالتأويل من أهل البدع، وليس الأمر كذلك فإنه قد ثبت أن الناس كانوا ثلاثة أصناف مؤمن وكافر مظهر للكفر ومنافق مظهر للإسلام مبطن للكفر، وكان في المنافقين من يعلمه الناس بعلامات ودلالات بل من لا يشكون في نفاقه ومن نزل القرآن ببيان نفاقه كابن أبى وأمثاله، ومع هذا فلما مات هؤلاء ورثهم ورثتهم المسلمون وكان إذا مات لهم ميت آتوهم ميراثه وكانت تعصم دماؤهم حتى تقوم السنة الشرعية على أحدهم بما يوجب عقوبته.

ولما خرجت الحرورية على علي بن أبي طالب رضي الله عنه واعتزلوا جماعة المسلمين قال لهم إن لكم علينا أن لا نمنعكم المساجد ولا نمنعكم نصيبكم من الفئ فلما استحلوا قتل المسلمين وأخذ أموالهم قاتلهم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم اهـ.

---

(١) نفاق أكبر ولذا قال تجري عليه أحكام الإسلام ولو كان يقصد النفاق الأصغر لما قال ذلك، لأن من فعل النفاق الأصغر ليس كافرا أصلا فلا حاجة إلى هذا التقييد لأنه لا يدور في الخلد أصلا.

(٢) هذا لا يناقض الكلام الذي قلنا لأن هذا التارك للصلاة كافر منافق وأغلظ منه ابن سلول الذي من أصله مبغض للإسلام، وتارك الصلاة غير مبغض لكن متكاسل ومهمل وفيه محبة لله وللدين لكن غير نافعة، وان اشتركوا في الكفر لكن اختلفوا في غلظة النفاق، وإذا كان أحكام الإسلام تجري على المنافق الكافر الغليظ فمن باب أولى أن تجري على المنافق الكافر غير الغليظ في النفاق.

النقطة السابعة: وخلاصة كلام ابن تيمية السابق: أن تارك الصلاة كافر ونوع الكفر النفاق وتجرى عليه أحكام الإسلام في كل شيء إلا ما استثني كالصلاة عليه فلا يصلى عليه إذا مات ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ ومثل تحريم موالاته والاستغفار والدعاء له: ﴿لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾... الخ، وتاركها امتناعا كافر ظاهرا وباطنا فإن دُعي لها وأصر هنا أنتقل إلى كفر أخر اسمه مرتد، فإذا استتيب فلم يرجع زاد حكما آخر وهو قتله على الردة.

ونزيد فإن تركوا شيئا من الأركان كفروا، فإن كانوا طائفة ممتنعة سقطت الاستتابة ودعاؤهم إليها ونزّلوا منزلة المرتد اسما وحكما، كما حصل مع مانعي الزكاة، ولذا فإن المراحل التي قلنا في الفرد من كونه يكفر بالترك للصلاة وبقية الثلاثة ونوع الكفر نفاق هذه مرحلة، ثم إذا دُعي وأصر كفر كفر ردة وهذه مرحلة ثانية، فإن هاتين المرحلتان لا توجد في الطائفة الممتنعة وإنما هي مرحلة واحدة وهي الردة بالمنع والرفض، لأن الأصل أنه لا استتابة للطائفة الممتنعة. والله أعلم.

النقطة الثامنة: وقال ابن حزم في الفصل في الملل (٣/ ١٢٨) إلا أن بين السلف [(١)] منهم والخلف اختلافا في تارك الصلاة عمدا حتى يخرج وقتها، وتارك الصوم لو مضى. كذلك وتارك الزكاة وتارك الحج كذلك، وفي قاتل المسلم عمدا وفي شارب الخمر وفيمن سب نبيا من الأنبياء عليهم السلام وفيمن رد حديثا قد صح عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) هذا اللفظ يُخرج الصحابة فلا خلاف بينهم كما نقل هو في المحلى ج ٢ في أول كتاب الصلاة.

فروينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعاذ بن جبل وابن مسعود وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم وعن ابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق ابن راهويه رحمة الله عليهم وعن تمام سبعة عشر رجلا من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أن من ترك صلاة فرض عامدا ذاكرا حتى يخرج وقتها فإنه كافر مرتد، وبهذا يقول عبد الله بن الماجشون صاحب مالك وبه يقول عبد الملك بن حبيب الأندلسي. وغيره، وروينا عن عمر رضي الله عنه مثل ذلك في تارك الحج، وعن ابن عباس وغيره مثل ذلك في تارك الزكاة والصيام وفي قاتل المسلم عمدا وعن أبي موسى الأشعري وعبد الله بن عمرو بن العاص في شارب الخمر وعن إسحق بن راهويه أن من رد صحيحا عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد كفر.

النقطة التاسعة: والذي عليه إجماع الصحابة إن ترك الصلاة تكاسلًا أنه يكفر نقل ذلك الأمام محمد بن نصر. المروزي في كتابه تعظيم قدر الصلاة الجزء الثاني.

النقطة العاشرة: قال ابن قدامة في كتابه تحريم النظر في كتب الكلام (١ / ٤٨) **الثاني**: أن تكليف العامة الاجتهاد تكليف ما لا يطاق فإنهم لو اشتغلوا بعلم ما يصيرون به مجتهدين لانقطعوا عن المعايش والحراثة والزراعة وخربت الدنيا وهلك الخلق وانقطع النسل وترك الجهاد وخربت الدنيا ولا سبيل إلى هذا وقد قال الله تعالى: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾.

الثالث: أن الإجماع منعقد على أن العامة لا يكلفون الاجتهاد في أحكامهم وأن لهم تقليد العلماء في أمورهم وكذلك أمرهم الله تعالى بسؤال علمائهم فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

الرابـع: أن في القـول بوجـوب الاجتهـاد عـلى الكـل حكـما عـلى عامـة الخلـق بالضـلال لتضييعهم الواجـب عليهـم، وإنـما الـذي قيـل إنـه لا يجوز لهـم التقليد هـو الأمر الظاهر الـذي قد علمـوه لظهوره من غير احتياج إلى تعب ولا فكر ولا نظر كتوحيد الله ﷻ ورسالة محمد ومعرفة وجوب الصلوات الخمس وصوم رمضان وسائر الأركان [١] التي اشتهر وجوبها وعلـم ذلك بالإجماع عليها فلا يحتاج فيه إلى بحث ولا نظر فهذا لا يجوز تقليدهم فيه.

وأمـا دقـائق الاعتقـادات وتفاصيـل أحكـام العبـادات والبيوعـات فـما يقـول بوجوب اجتهادهم فيها إلا جاهل، وهو باطل بما ذكرناه اهـ.

مســألة: وصـورة الاسـتكبار [٢] عـن الأركـان الخمسـة والامتنـاع عنهـا لـه صورتان:

الصورة الأولى: أن يسبق أي ركن من الأركان الخمسة بأداة من أدوات النفي والامتناع فيقول لن أصلى ولن أزكي ولا أصوم.

الصورة الثاني: أن يربط المنع بمستحيل فيقول لـن أزكي حتى تنطبق السماء على الأرض، ولن أصوم حتى تخرج الشمس من مغربها، وهذا يدل على الرفض.

ولاحظ أن هذه الصور معها أقوال وهـذا قسـم قـولي، وهنـاك قسـم عمـلي للاسـتكبار مثـل الإباء العملي السابق كما لـو ألـزم النـاس تـرك واجب ظاهر من الواجبات المجمع عليها التي هي من المسائل الظاهرة، أو عاقب وحارب وسجن

---

(١) والشاهد أنه إذا لم يجز التقليد في الأركان لمن كان عائشا بين المسلمين فلو تركها متاولا يكفر ولو مقلدا، لكن كما قلنا في نوع الكفر سابقا.

(٢) وانتبه أن هذه صور للاستكبار والإباء لا للترك تهاونا وكسلا.

من يفعل واجبا ظاهرا من الواجبات المجمع عليها التي هي من المسائل الظاهرة، فإن الإلزام بتركها ومحاربة من فعلها دليل على الاستكبار والإباء هذه الصور تسمى صور الامتناع وهذه يكفر بها ويدل على ذلك قتال الصحابة للمرتدين مانعي الزكاة وسموهم مانعي أي رافضي أداء الزكاة، وهمّ النبي ﷺ قتال بني المصطلق لما قيل إنهم منعوا الزكاة.

الدليل الثاني: نقل ابن تيمية للإجماع على أن من رفض أن يلتزم شعيرة من شعائر الدين الظاهرة أنه يكفر ردة ويقاتل.

مسألة: فإذا قال لن أزكي أو لن أصوم هل يكفر بمجرد هذه الكلمة؟ الجواب فيه تفصيل إن قالها قولًا يدل على الرفض للشريعة أي الرفض لهذه الشعيرة كما لو طلب منه الإمام أو الحاكم أن يصلى أو يزكي فلم يزكي وقال لن أصوم، فإن رفضه هنا مع أن السائل هنا من له ولاية عامة كالإمام و الحاكم أو القاضي أو من له الأمر والنهي هو قرينه على المعاندة لهذه الشعيرة، أما لو طلب منه إنسان ليس له ولاية عامة إنما أحد أفراد الناس فقال له صم قال لن أصوم ولن أزكي فإن قوله هذا لا يدل على رفض الشعيرة لأنه ربما كان من باب معاندة هذا اشخص المعين، فهنا لا يعتبر هذا كفر استكبار ولا إباء. وما قلنا هنا في كفر الاستكبار ينطبق أيضًا على كفر الإباء.

مسألة: أما ما يتعلق بترك الواجبات غير الأركان الخمسة استكبارا مثل أن يستكبر عن صلة الرحم وعن واجب الضيافة الواجبة وعن حق الجار الواجب ونحو ذلك، فهذا مثل ما قلنا في كفر الإباء إن استكبر بقلبه فهذا يكفر لأن استكبار القلب يعني عدم الانقياد والقبول والالتزام في القلب إذا كان متقبلًا بقلبه

لهذه الواجبات ومنقادًا لوجوبها ويقر أنها واجبة لكن لم يلتزمها بجوارحه فهذا ليس بكفر إنما هو معصية.

ثم ذكر المصنف الدليل: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾. فهل الدليل في باب الإباء أم الاستكبار؟.

الدليل في باب الاستكبار وعرفنا أن الدليل في باب الاستكبار بقرائن: الأول من كلمة ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ في الآية وثانيًا لأنه رفض الأوامر ورفض الأوامر استكبار، كما أن رفض التزام المحرمات إباء، والثالثة لأن إبليس رفض واجبا وهو السجود، والشاهد ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

قد يقول قائل وأيضا الآية فيها ﴿أَبَىٰ ﴾ فتدل على الإباء، فيكون المصنف ذكر دليلا واحدا على الاثنين (الاستكبار والإباء)؟ فالجواب صحيح أن الآية ذكرت الإباء والاستكبار لكن العطف غيّر بين معناهما، لأن العطف يقتضي المغايرة لكن هنا عطف خاصا على عام، لأن الإباء أعم من الاستكبار، فقد يأبى ويرفض حقدا أو كسلا أو بخلا أو غيره من الأغراض، وقد يأبى تكبرا وهذا هو الاستكبار، وهذا معنى عطف الخاص على العام هنا، وهذا السبب الذي جعلنا نقول إن الآية في الاستكبار هنا، وهذا الكلام الذي قلنا هنا يُدخلنا في **مسألة أخرى**: وهي أيهما أشد الإباء أم الاستكبار؟ ولماذا اختلف المصنف والحفيد في التقديم والتأخير فقدم المصنف الاستكبار فقال: (الاستكبار والإباء) في حين قال الحفيد (الإباء والاستكبار)؟

الجواب: أن الاستكبار أشد من الإباء وأخص منه فراعى المصنف هذا الجانب فقدم الأشد، والله أعلم.

مسألة: هذا التفريق بين الإباء والاستكبار إذا اجتمعا في اللفظ فقيل كفر إباء واستكبار هنا يفرق بينهما أما إذا أطلق وقيل كفر إباء فقط ولم يذكر معها استكبار أو العكس فيكون أحدهما بمعنى الآخر مثل الإسلام والإيمان.

❁ ❁ ❁

فصل

المتن:

النوع الثالث: كفر الشك، وهو كفر الظن، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾.

الشرح:

ثم قال المصنف النوع الثالث كفر الشك وهو كفر الظن فجعل الشك والظن بمعنى واحد مع أن بينهما فرق، فكفر الظن أغلظ من كفر الشك لأن الظن معه شك قليل لكن الغالب عدم القبول لكن في باب الإخبارات والعلم. مثال ذلك أن يظن أنه ليس هناك بعث فهو يحتمل أن هناك بعثا لكن الغالب لا بعث، فيكون الشك بنسبة ٣٠٪ أن فيه بعثا و٧٠٪ أن لا بعث هذا يسمى ظنًا، أما الشك فهو أن يتردد يقول ٥٠٪ فيه بعث ٥٠٪ ليس فيه بعث، وأشد من الاثنين كفر التكذيب لأن التكذيب ليس معه شك أبدا بل يقول لك ١٠٠٪ ليس هناك بعث.

ولهذا السبب لو أن المصنف قدم كفر الشك والظن على كفر التكذيب لكان أحسن في الترتيب، ولو جمعهما مع بعض ولم يفصل بينهما بشيء لكان أحسن لأن كلاهما يتعلق في باب واحد وهو العلم وبمكان واحد وهو قول القلب وجمع المتماثل أو المتقارب أحسن ومع ذلك فلا مشاحة في الاصطلاح ولا في التقديم والتأخير فالأمر واسع، لكن قلنا هذا الكلام لأننا في صدد الشرح وهو يتطلب مثل ذلك، والله أعلم.

قضية معاصرة: وكفر الشك أو الظن موجود عند العلمانيين في هذا اليوم مثل الشك في مستقبل الإسلام وأن المستقبل لهذا الدين مثل شكهم أن الإسلام أعظم من الحضارة الغربية ومثل شكهم في صلاحية النظام السياسي الإسلامي وهو نظام الشورى والحكم الإسلامي وأن الديمقراطية أحسن منه ومثل شكهم في صدق الأحاديث التي تتكلم عن الأمور العلمية كحديث الذبابة رواه البخاري فهم يشككون فيه ومثل أحاديث المسيح الدجال..... وغير ذلك.

ثم ذكر المصنف الدليل على كفر الظن فقال: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ والشاهد قوله: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾. والشاهد أنه كفر قوله ﴿يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾.

❁ ❁ ❁

فصل

المتن:

النوع الرابع: كفر الإعراض، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾.

الشرح:

وقال المصنف مرة في كفر الإعراض في الدرر (١ / ١٠٢) فنقول: أعداؤنا معنا على أنواع. النوع الأول: من عرف أن التوحيد دين الله ورسوله، الذي أظهرناه للناس؛ وأقر أيضًا: أن هذه الاعتقادات في الحجر، والشجر، والبشر، الذي هو دين غالب الناس: أنه الشرك بالله، الذي بعث الله رسوله ﷺ ينهى عنه، ويقاتل أهله، ليكون الدين كله لله، ومع ذلك: لم يلتفت إلى التوحيد، ولا تعلمه، ولا دخل فيه، ولا ترك الشرك، فهو كافر، نقاتله بكفره، لأنه عرف دين الرسول، فلم يتبعه، وعرف الشرك، فلم يتركه، مع أنه لا يبغض دين الرسول، ولا من دخل فيه، ولا يمدح الشرك، ولا يزينه للناس اهـ.

وقال عن كفر الإعراض مع فوائد أخرى فقال في الدرر (٢ / ٧٤) إذا أمر الله العبد بأمر، وجب عليه فيه: سبع مراتب؛ **الأولى**: العلم به؛ **الثانية**: محبته؛ **الثالثة**: العزم على الفعل؛ **الرابعة**: العمل؛ **الخامسة**: كونه يقع على المشروع خالصًا صوابًا؛ **السادسة**: التحذير من فعل ما يحبطه؛ **السابعة**: الثبات عليه.

إذا عرف الإنسان: أن الله أمر بالتوحيد، ونهى عن الشرك؛ أو عرف: أن الله أحل البيع وحرم الربا؛ أو عرف: أن الله حرم أكل مال اليتيم، وأحل لوليه أن

يأكل بالمعروف، إن كان فقيرًا، وجب عليه أن يعلم المأمور به ويسأل عنه إلى أن يعرفه، ويعلم المنهي عنه، ويسأل عنه إلى أن يعرفه، واعتبر ذلك بالمسألة الأولى، وهي: مسألة التوحيد، والشرك.

أكثر الناس: علم أن التوحيد حق، والشرك باطل، ولكن أعرض عنه، ولم يسأل؛ وعرف: أن الله حرم الربا، وباع واشترى ولم يسأل؛ وعرف: تحريم أكل مال اليتيم، وجواز الأكل بالمعروف؛ ويتولى، مال اليتيم ولم يسأل.

المرتبة الثانية: محبة ما أنزل الله، وكفر من كرهه، لقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ فأكثر الناس: لم يحب الرسول، بل أبغضه، وأبغض ما جاء به، ولو عرف أن الله أنزله.

المرتبة الثالثة: العزم، على الفعل؛ وكثير من الناس: عرف وأحب، ولكن لم يعزم، خوفًا من تغير دنياه.

المرتبة الرابعة: العمل؛ وكثير من الناس: إذا عزم أو عمل وتبين عليه من يعظمه من شيوخ أو غيرهم ترك العمل.

المرتبة الخامسة: أن كثيرًا ممن عمل، لا يقع خالصًا، فإن وقع خالصًا، لم يقع صوابًا.

المرتبة السادسة: أن الصالحين يخافون من حبوط العمل، لقوله تعالى: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ وهذا من أقل الأشياء.

المرتبة السابعة: الثبات على الحق، والخوف من سوء الخاتمة، لقوله ﷺ: «**إن منكم من يعمل بعمل أهل الجنة، ويختم له بعمل أهل النار**» وهذه أيضًا: من

أعظم ما يخاف منه الصالحون؛ وهى قليل في زماننا؛ فالتفكر في حال الذي تعرف من الناس، في هذا وغيره، يدلك على شيء كثير تجهله؛ في زماننا. والله أعلم.

سئل ابن سحمان في إرشاد الطالب إلى أهم المطالب في **المسألة الثالثة**: ما الإعراض الذي هو ناقض من نواقض الإسلام؟ هل يطلق على كل معرض أم لا؟.

الجواب نقول إن هذه المسألة هي مسألة الجاهل المعرض وقد ذكر أهل العلم أن الإعراض نوعان: نوع يخرج من الملة. ونوع لا يخرج من الملة.

فأما الذي يخرج من الملة فهو الإعراض عن دين الله لا يعلمه ولا يتعلمه كما هو مذكور في نواقض الإسلام العشرة، وهذا المعرض هو الذي لا إرادة له في تعلم الدين ولا يحدث نفسه بغير ما هو عليه بل راض بما هو عليه من الكفر والإشراك به لا يؤثر غيره ولا تطلب نفسه سواه.

وأما الذي لا يخرج عن الملة [١] فهو المعرض العاجز عن السؤال والعلم الذي يتمكن به من العلم والمعرفة مع إرادته للهدى وإيثاره له ومحبته له غير قادر عليه ولا على طلبه لعدم المرشد.

ثم ذكر كلام ابن القيم في طريق الهجرتين في العاجز أنه قسمان: مريد للهدى والثاني معرض لا إرادة له.. إلى آخر ما ذكر ابن القيم اهـ.

---

(١) مما كان على الملة وهذا في غير أصل الإسلام، إنما في الأركان الأربعة لأن الأول الذي قبله في من اعرض عن أصل الإسلام، وهذا فيما هو دون ذلك حتى لا يكون فيه تكرار.

وكفر الإعراض هنا هو كفر الجهل وهو أنواع:

النوع الأول: أن يعرض عن هذا الدين كله لا يهتم بالإسلام ولا بالواجب ولا بالمحرم ولا تدخل في اهتماماته وهذا أغلظ الأنواع.

النوع الثاني: أن يعرض عن أصل الدين لا يتعلمه ولا يعمل به، مثل إعراض المشركين، ومثل إعراض من يدعي القبلة وهو يفعل الشرك الكبر جهلا أو تأويلا.

النوع الثالث: أن يعرض عن الأركان الأربعة فلا يتعلمها ولا يعمل بها وهو عائش بين المسلمين وهذا كفر.

النوع الرابع: أن يعرض عن المسائل الظاهرة لا يتعلمها ولا يعمل بها وهو عائش بين المسلمين.

ما الفرق بين الإعراض والإباء والاستكبار؟.

بينهما عموم وخصوص الإعراض عام لأن من كفر كفر إباء أو استكبار فهو معرض لكنه معرض عن علم وعناد، وأما كفر الإعراض هنا في هذا النوع الرابع فيقصد به الإعراض عن جهل وعدم اهتمام وهو يكون عند المقلدة والعوام فيعرضون تبعًا لعلمائهم وحكامهم مثل إعراض القبورية عن تعلم التوحيد والعمل به ومثل إعراض الحكام عن سؤال العلماء في الأمور العامة كتنظيم الناحية الاجتماعية والناحية الاقتصادية والسياسة فيعرضون عن الاستفتاء فيها وينتهجون العلمانية، أو يعرضون عن تطبيق الشريعة في النواحي السياسية ونحوها.

❁ ❁ ❁

فصل

المتن:

النوع الخامس: كفر النفاق [1]، الدليل عليه قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾.

الشرح:

قوله الخامس أي في أنواع الكفر والألف واللام في النوع وفي كلمة الخامس للعهد الذكري أي المذكور سابقا، وقوله كفر النفاق هذا فيه مسائل:

المسالة الأولى: كفر النفاق نحتاج إلى تعريف النفاق؟

النفاق: مأخوذ من نافق اليربوع وهو نوع من الدواب الصغيرة يجعل له بابين باب مفتوح وباب رقيق حتى إذا جاءه عدو من هنا خرج من هنا.

وأما شرعًا: فالنفاق أن يظهر خلاف ما يبطن، وهذا تعريف النفاق بشكل عام. أما تعريف النفاق الأكبر وهو المقصود هنا فهو: إخفاء الكفر أو الشرك وإظهار الإسلام.

المسألة الثانية: قول المصنف: (كفر النفاق) كفر مضاف والنفاق مضاف إليه والمعنى بتقدير في فيكون كفر في النفاق، فيكون الكفر أنواع و النفاق نوع منه ويقصد به النوعية لأن المصنف قال النوع الخامس.

---

(١) من أراد الإطالة في أحكام النفاق وما يتعلق به فليراجع: جزء في النفاق وهو موجود في الموقع على الانترنيت.

المسألة الثالثة: مر علينا في الشرك شرك الإرادة والقصد ومر علينا الآن هنا كفر النفاق هذان الشيئان بينهما تشابه شديد، لأن شرك الإرادة والنية والقصد هو شرك نفاق لأنه يظهر خلاف ما يبطن، فهو يبطن الدنيا وحب المدح ويظهر العمل الصالح كمن يصلى الفرائض لكي يمدح فهذا شرك نفاق لأن باطنه خلاف ظاهره واخترت الصلاة لأن تركها كفر لأنه شيء من الرياء بالفرائض كما مر علينا هذا يعتبر شركا وهو على وجه الدقة شرك نفاق وهنا قال كفر نفاق فهل هما واحد أم بينهما فرق؟

بينهما فرق لأنه أصلًا هناك فرق بين الشرك والكفر فشرك النفاق يختلف عن كفر النفاق وإن اشتراكًا في أن كل منهما نفاق فهو يظهر خلاف ما يبطن وكل منهما يخرج من الملة، لكن الشرك لأنه في العبادات وفي باب الألوهية، وهذا كفر النفاق في غير العبادات وفي غير باب الألوهية، وأيضًا شرك النفاق بالرياء يعمل لهم كي يمدحونه وكفر النفاق هو خوف يعمل لنفسه لكي يسلم أو يدرأ عن نفسه القتل فليس فيه ثلاثة أطراف.

المسألة الرابع: ما هو الفرق يبن الكفر هذا والأنواع الأربعة التي سبقته؟ نقول بينهما عموم وخصوص فمثلا كفر الإعراض قد يكون أحيانًا إعراضا عن نفاق كما قال تعالى في سورة النور: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وهنا أعرضوا عن التحاكم إلى الشريعة، لكن يفترقان لأن كفر الإعراض هنا يقصد به الإعراض عن جهل يعرض جاهلًا أما كفر النفاق فهو إعراض عن خبث وعداوة فختلفا في باعث الإعراض.

أما علاقة كفر النفاق بكفر الاستكبار والإباء وهو النوع الثاني فبينهما تداخل، والتداخل أن كلاهما من باب الاستكبار والتكبر وعدم الانقياد، ويفترقان في الظهور فكفر الاستكبار والإباء واضح للناس لأنه متكبر مترفع، أما النفاق فهو يظهر للناس أنه غير متكبر ولكن في قلبه متكبرا.

أما علاقة كفر النفاق بالنوع الأول وهو كفر التكذيب فهو أقوى علاقة في الأنواع الأربعة لأن أصل كفر النفاق مبنى على التكذيب، لكن كفر التكذيب لا يتستر أنه مكذب ويعلن الكذب أما كفر النفاق فهو يخفي التكذيب بقلبه.

ثم ذكر المصنف الدليل على كفر النفاق قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ هذه جاءت في سورة المنافقين وهذه الأنواع الخمسة أيها أشد؟.

قبل الإجابة عن ذلك فقد جعل ابن القيم قواعد في تفاوت الكفر بالغلظة فقال: في الطبقة السادسة عشرة من كتابه طريق الهجرتين: فصل وغلظ الكفر الموجب للعذاب يكون من ثلاثة أوجه:

أحدها: من حيث العقيدة الكافرة في نفسها كمن جحد رب العالمين بالكلية وعطل العالم عن الرب الخالق المدبر له فلم يؤمن بالله وملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا اليوم الآخر ولهذا لا يقر أرباب هذا الكفر بالجزية عند كثير من العلماء ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم اتفاقا لتغلظ كفرهم، وهؤلاء هم المعطلة والدهرية وكثير من الفلاسفة وأهل الوحدة القائلين بأنه لا وجود للرب سبحانه وتعالى غير وجود هذا العالم.

الجهـة الثانيـة: تغلظه بالعناد والضلال عمدا على بصيرة ككفر من شهد قلبه أن الرسول حق لما رآه من آيات صدقه وكفر عنادا وبغيا كقوم ثمود وقوم فرعون واليهود الذين عرفوا الرسول كما عرفوا أبناءهم وكفر أبي جهل وأمية بن أبي الصلت وأمثال هؤلاء الجهة الثالثة: السعي في إطفاء نور الله وصد عباده عن دينه بما تصل إليه قدرتهم فهؤلاء أشد الكفار عذابا بحسب تغلظ كفرهم، ومنهم من يجتمع في حقه الجهات الثلاث ومنهم من يكون فيه جهتان منها أو واحدة فليس عذاب هؤلاء كعذاب من هو دونهم في الكفر ممن هو ملبوس عليه لجهله . إلى أن قال .وهل يستوي في النار عذاب أبي طالب وأبي لهب وأبي جهل وعقبة بن أبي معيط وأبي بن خلف وأضرابهم والمقصود أن هذه الطبقة وهي طبقة الرؤساء الدعاة الصادين عن دين الله ليست كطبقة من دونهم وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**أهون أهل النار عذابا أبو طالب**» ومعلوم أن كفر أبي طالب لم يكن مثل كفر أبي جهل وأمثاله اهـ.

وعلى ذلك نقول: أما باعتبار حقيقة الكفر فأشدها كفر النفاق ولذلك جعل الله المنافقين في الدرك الأسفل من النار لأنه أعظم من جهة المخادعة والتستر والأنواع الأربعة مكشوفة ليس فيها تستر، ونفاق التكذيب أشد من التكذيب بدون نفاق لأنه جمع بين التكذيب وزاد النفاق وكذا نفاق الإباء والاستكبار والإعراض أشد من هذه بدون نفاق لأنه جمع هذه وزاد النفاق فمن هذه الحيثيات هو أعظم. وأما باعتبار الجرأة فكفر التكذيب أشد جراءة.

مسألة: بقي أنواع من الكفر لم يتعرض له المصنف اختصار، مثل كفر التأويل، وهذا الغالب على أهل العلم أن يتكلموا عنه في باب الإيمان، بخلاف كفر

الـردة فيتكلمـون عنـه في بـاب كتـاب المرتـد في الفقـه، مثـل كفـر النفـاق الغالـب يتحدثون عنه في باب الإيمان أو العقائد.

وقد بحثنا كفر التأويل بحثا مطولا في جزء النفاق وذكرنا الفرق بينه وبين الردة وبين كفر النفاق، ونقلنا كلام ابن تيمية وكلام الشوكاني رحمهما الله.

❁ ❁ ❁

فصل

انتهي المصنف الآن من الكفر المخرج من الملة وهو الكفر الأكبر ونتقل إلى الكفر الأصغر ثم بعد ما ينتهي منه يعود إلى مسائل النفاق.

۞ ۞ ۞

فصل

المتن:

وكفر أصغر لا يخرج من الملة، وهو: كفر النعمة؛ والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾. هذه الآية لم يذكرها عب.

الشرح:

قال المصنف: (وكفر أصغر لا يخرج من الملة) وسُمّي أصغر للتفريق بينه وبين الأكبر ولأنه يقابل الأكبر لا أنه صغير، والذي يظهر أن الكفر الأصغر أشد من الكبائر مثل ما قلنا في الشرك الأصغر أنه أشد من الكبائر، مع أن الشرك الأصغر أعظم من الكفر الأصغر لأن الشرك الأصغر لا يغفر إلا بالتوبة والكفر الأصغر يغفر بغير التوبة إذا شاء الله لكن ليس على إطلاقه أن الكفر الأصغر أشد من جميع الكبائر فأحيانًا بعض الكبائر المتعدية التي ضررها يتعدى إلى الغير كالزنا مثلًا أشد من الكفر الأصغر غير المتعدي كما لو جامع زوجته مع دبرها فهذا كفر أصغر لكنه أخف من الزنا من حيث التعدي وعدمه.

ثم عرف المصنف الكفر الأصغر فقال: (وهو كفر النعمة) وقبل تعريفه أعطاه حكما أنه لا يخرج من الملة فهو يبقى مسلما له أحكام المسلمين بخلاف الكفر الأكبر.

وكلمة: (لا يخرج من الملة) الألف واللام في الملة للعهد والخصوص الذهني أي لا يخرج من الملة التي نعرف وتعرفون وفي أذهاننا وأذهانكم وهي ملة الإسلام.

وقال المصنف في تعريفه: (وهو كفر النعمة) فكفر مضاف والنعمة مضاف إليه والإضافة تحتاج إلى تقدير، فهل هو بتقدير في يقال كفر في النعمة؟ هذا يحتمل، أم هل هو بتقدير اللام كفر للنعمة؟ هذا يحتمل، فهي أما للظرفية أو بمعنى اللام، وقولنا كفر للنعمة أقرب.

والألف واللام في (النعمة) أيضًا للعهد الذهني ويقصد بها نعمة الله التي أنعم بها عليه فبدل أن يقابلها بالشكر قابلها بالكفر، ومعنى كفر هنا يقصد به النكران للجميل والإحسان.

أمثلة له مثل قوله ﷺ فيما روى عنه مالك أن النبي ﷺ (قال لما أخبر أنه رأى أن أكثر أهل النار النساء فقلن بما؟ قال: «**يكفرن العشير**») أي أن المرآة تنكر حق الزوج ونعمته عليها فتقابل هذه النعمة بالجحود بالجوارح.

وهو سبها بلسانها واللسان عمل جوارح وعدم طاعته وسوء عشرته وهذا عمل جوارح، مع أنه قائم بحقها فلا تمكنه من نفسها في الجماع مثلا وهذا عمل جوارح ومن الأمثلة قتال المسلم لقوله ﷺ في الحديث: «وقتاله كفر» ومثل إتيان المرأة في دبرها فقد أخبر الرسول ﷺ أنه كفر إلى آخره.

وهناك تعريف آخر للكفر الأصغر غير ما ذكر المصنف وهو أن يقال إن الكفر الأصغر: هو كل قول أو عمل أو اعتقاد لا يخرج من الدين جاء في النصوص تسميته كفرًا. وهذا التعريف أدق وأخص من تعريف المصنف، لأن

كفر النعمة مقابلة نعم الله بعدم الطاعة وهذه يدخل فيها ما ليس بكفر أصغر كما لو نظر إلى الحرام هذه معصية ومن الكبائر لأن نعمة البصر. قابلها بمعصية لكنها لا تسمى كفرا أصغر وإنما تسمى معصية.

مسألة: المصنف رحمه الله هنا قال كفر نعمة، وجاء في كتب الحنابلة مثل كتاب كشاف القناع في باب المرتد، قال: وقيل كفر نعمة وقيل كفر دون كفر، لكن المصنف في بعض رسائله لم يرتض هذه التسمية للكفر الأصغر بأنه كفر نعمة فقد سئل في الدرر (١ / ١٨٩) في قسم الفتاوى من مجموع مؤلفاته ص ٥٠ في المسألة الحادية عشرة عن معنى: (كل ذنب عُصِي الله به شِرك)، وهل يقع في جزء من الكفر، والمراد به الكفر بالله أو بآلائه مع صغره؟ وما معنى قول من قال: كفر دون كفر؟ وقول من قال: كفر نعمة أي نعمة؟.

فأجاب: وأما معنى: «كل ذنب عُصِي الله تعالى به شرك أو كفر»، فالشرك والكفر نوع، والكبائر نوع آخر، والصغائر نوع آخر. ومن أصرح ما فيه حديث أبي ذَرٍّ فيمن لقي الله بالتوحيد قوله: «وإن زنى وإن سرق» مع أن الأدلة كثيرة. وإذا قيل: من فعل كذا فقد أشرك أو كفر، فهو فوق الكبائر. وما رأيت ما يخالف مما ذكرت لك فهو بمعنى الذي هو أخفى من دبيب النمل. وقول القائل: «كفر نعمة» خطأ ردَّه الإمام أحمد وغيره اهـ. والشاهد آخره. فكيف يكون الجمع؟ وما هو الصواب في المسألة؟.

وقبل الإجابة عن هذا ننقل كلام أبي عبيد لزيادة الإيضاح، فقد جاء في كتاب الإيمان لأبي عبيد (ص ٨٤) في باب الخروج من الإيمان بالمعاصي قال أبو

عبيد: أما هذا الذي فيه ذكر الذنوب والجرائم، فإن الآثار جاءت بالتغليظ على أربعة أنواع:

فاثنان منها فيها نفي الإيمان والبراءة من النبي ﷺ، والآخران فيها تسمية الكفر وذكر الشرك، وكل نوع من هذه الأربعة تجمع أحاديث ذوات عدة... ثم ذكر أدلة للأول ثم الثاني... ثم قال في الثالث مثل حديث: أصبح من عبادي مؤمن وكافر.... الحديث، ثم ذكر حديث: لا ترجعوا بعدي كفارا... الحديث، ثم ذكر حديث: من قال لصاحبه يا كافر فقد باء به أحدهما، ثم ذكر حديث: من أتى كاهنا إلى أن قال أو أتى حائضا أو امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد، ثم ذكر حديث: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.... ثم لما ذكر أمثلة للأحاديث لهذه الأنواع الأربعة قال: فهذه أربعة أنواع من الحديث، قد كان الناس فيها على أربعة أصناف من التأويل:

فطائفة تذهب إلى كفر النعمة، وثانية تحملها على التغليظ والترهيب، وثالثة تجعلها كفر أهل الردة وهو مذهب الخوارج، ورابعة تذهبها كلها وتردها.

ثم قال أبو عبيد فكل هذه الوجوه عندنا مردودة غير مقبولة لما يدخلها من الخلل والفساد، والذي يرد المذهب الأول يقصد من قال أنه كفر نعمة ما نعرفه من كلام العرب ولغاتها، وذلك أنهم لا يعرفون كفران النعم إلا بالجحد لأنعام الله وآلائه كالمخبر على نفسه بالعدم وقد وهب الله له الثروة أو بالسقم وقد منّ الله عليه بالسلامة، وكذلك ما يكون من كتمان المحاسن ونشر المصائب، فهذا الذي تسمية العرب كفرانا إن كان ذلك فيما بينهما وبين الله أو كان من بعضهم لبعض إذا تناكروا اصطناع المعروف عندهم وتجاحدوه ينبئك عن هذه مقالة النبي ﷺ للنساء: «**إنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير**» فهذا ما في كفر النعمة.

ثم قال وأما القول الثاني المحمول على التغليظ فمن أفظع ما تأول [١] على رسول الله ﷺ وأصحابه أن جعلوا الخبر عن الله وعن دينه وعيدا لا حقيقة له، وهذا يؤول إلى إبطال العقاب، لأنه إن أمكن ذلك في واحد منها كان ممكنا في العقوبات كلها، أما الثالث الذي بلغ به كفر الردة فهو شر من الذي قبله لأنه مذهب الخوارج.... وأما القول الرابع الذي فيه تضعيف هذه الآثار فليس مذهب من يعتد به فلا يلتفت إليه إنما هو احتجاج أهل الأهواء والبدع...

ثم قال وإن الذي عندنا في هذا الباب كله أن المعاصي والذنوب لا تزيل إيمانا ولا توجب كفرا ولكنها إنما تنفي من الإيمان حقيقته وإخلاصه الذي نعت الله به أهله... ثم قال وهذا كلام العرب المستفيض عندنا غير المستنكر في إزالة العمل عن عامله إذا كان على غير حقيقته ألا ترى أنهم يقولون للصانع إذا كان ليس بمحكم لعمله: ما صنعت شيئا ولا عملت عملا وإنما وقع معناه هاهنا على نفي التجويد لا على الصنعة نفسها فهو عندهم عامل بالاسم غير عامل في الإتقان... ومذهبهم في هذا المزايلة من الأعمال الواجبة عليهم من الطاعة والبر.... ثم قال فهم بالأحكام والأسماء في الكتاب داخلون وهم لها بالحقائق

(١) **ملاحظة**: الذين حملوه على التغليظ طائفتان: أ. من قال هو على التغليظ ولا حقيقة له وهؤلاء هم الذين قصد المصنف هنا. ب: من حمله على التغليظ وقال له حقيقة والحديث على أصله وله حقيقة فهؤلاء لم يذكرهم أبو عبيد. قال الشيخ عبد الله أبا بطين في الدرر (١ / ٣٧٠) وأما الأحاديث التي فيها إطلاق الكفر، على من فعل معصيةً، كقوله ﷺ: «**قتال المؤمن كفر** » وقوله: «**كفر من تبرأ من نسبه** » ونحو ذلك، فهذا: محمول عند العلماء على التغليظ؛ مع إجماع أهل السنة، على: أن نحو هذه الذنوب، لا تخرج من الإسلام؛ ويقال: كفر دون كفر؛ وكذلك لفظ الظلم، والفسق، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق؛ والأحاديث التي فيها تحريم الجنة على فاعل بعض الكبائر، فهذا على التشديد والتغليظ، لإجماع أهل السنة والجماعة: أنه لا يبقى في النار أحد من أهل التوحيد، كما دلت على ذلك الأحاديث المتواترة، عن النبي ﷺ اهـ.

مفارقون فهذا ما في القرآن... ثم قال في الأحاديث التي فيها براءة قال: إنما مذهبه عندنا أنه ليس من المطيعين لنا ولا من المقتدين بنا ولا على المحافظين على شرائعنا وهذه النعوت وما أشبهها.

وقد كان سفيان بن عيينة يتأول قوله: «**ليس منا**» ليس مثلنا وكان يرويه عن غيره أيضا فهذا التأويل وإن كان الذي قاله إمام من أئمة العلم فإني لا أراه من أجل أنه إذا جعل من فعل ذلك ليس مثل النبي ﷺ لزمه أن يصير من يفعله مثل النبي ﷺ، وإلا فلا فرق بين الفاعل والتارك، وليس للنبي ﷺ عديل ولا مثل من فاعل ذلك ولا تاركه.... ثم قال: وأما الآثار المرويات بذكر الكفر والشرك ووجوبهما بالمعاصي فإن معناهما عندنا ليست تثبت على أهلها كفرا ولا شركا يزيلان الإيمان عن صاحبه، إنما وجوهها أنها من الأخلاق والسنن التي عليها الكفار والمشركون، ثم ذكر الأدلة على ذلك... ثم قال مثلها أحاديث: «آية المنافق ثلاث» «والغناء ينبت النفاق» وليس وجوه هذه الآثار كلها من الذنوب أن راكبها يكون جاهلا ولا كافرا ولا منافقا وهو مؤمن بالله وما جاء من عنده ومؤد لفرائضه ولكن معناها أنها تتبين من أفعال الكفار محرمة منهي عنها... قال ومثلها حديث: «في المرأة إذا استعطرت ثم مرت بقوم يوجد ريحها أنها زانية»... إنما هذا كله على ما أعلمتك من الأفعال والأخلاق والسنن.

وكذلك كل ما كان فيه ذكر كفر أو شرك لأهل القبلة فهو عندنا على هذا ولا يجب اسم الكفر والشرك الذي تزول به أحكام الإسلام ويلحق صاحبه للردة بكلمة الكفر خاصة دون غيرها وبذلك جاءت آثار مفسرة.... ثم روى بسنده إلى أبي عثمان النهدي قال دخلت على ابن مسعود وهو في بيت مال الكوفة فسمعته

يقول: لا يبلغ بعبد كفرا ولا شركا حتى يذبح لغير الله أو يصلي لغيره اهـ المقصود ملخصا.

والخلاصة في ذلك أن يقال الكفر كفران: أكبر وأصغر، كما قلنا في الشرك أكبر وأصغر. فالأول يُسمى بالكفر الأكبر المخرج من الملة، بقي الآخر ماذا يُسمى؟

القول المحكم في ذلك أن يقال: كفر دون كفر، أو يقال الكفر الأصغر، أو كفر لا يخرج من الملة، أحسنها الأول لأنه فيما أعلم هو الذي جاء كثيرا على ألسنة السلف، ثم الثاني قياسا على حديث: «أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر»، ثم الثالث.

وهل يُسمى غير ذلك؟ المصنف في هذه الرسالة سماه كفر نعمة وأطلق، وفي فتوى له رد ذلك ونقل عن أحمد أنه خطأ ونقلنا عن أبي عبيد أنه رده، لكن بشكل أدق ليس الرد له مطلقا، فليس معنى ذلك أن لا يُقال أبدا، لكن في بعض الأحاديث يقال كفر نعمة مثل حديث كفران العشير كما أشار إلى ذلك أبو عبيد، والقاعدة في ذلك أن يقال كل ما جاء في النصوص إطلاق الكفر عليه وكان من باب ما حدده أبو عبيد من لغة العرب فقال: (ما نعرفه من كلام العرب ولغاتها، وذلك أنهم لا يعرفون كفران النعم إلا بالجحد لأنعام الله وآلائه كالمخبر على نفسه بالعدم وقد وهب الله له الثروة أو بالسقم وقد منّ الله عليه بالسلامة، وكذلك ما يكون من كتمان المحاسن ونشر المصائب، فهذا الذي تسمية العرب كفرانا إن كان ذلك فيما بينهما وبين الله أو كان من بعضهم لبعض إذا تناكروا اصطناع المعروف عندهم وتجاحدوه ينبئك عن هذه مقالة النبي ﷺ للنساء:

«**إنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير**» فهذا ما في كفر النعمة) فهذا كفر نعمة وما عداه مما لا يخرج من الملة فهو كفر أصغر.

وهل يُسمى الكفر الأصغر بالكفر العملي أو كفر الأعمال، هذا صحيح في الجملة لكن ليس دقيقا مانعا، لأن هناك من الكفر العملي ما يخرج من الملة وهو أكبر كتمزيق المصحف ومظاهرة الكفار على المسلمين وترك الصلاة ونحوه، ولذا لما أصبح الكفر العملي منه ما هو مخرج أكبر ومنه ما هو غير مخرج أصغر قلنا ليس بدقيق مانع ولذا أحسن التسمية ما ذكرنا أولا، والله أعلم.

ثم ذكر المصنف الدليل على الكفر الأصغر فذكر دليلين: **الأول**: قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ **والدليل الثاني**: قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ **هذه الآية لم يذكرها عب.**

لكن الدليل الأول آية في الكفر الأكبر وليس الأصغر لأن القرية أهلها كفار كفروا بأنعم الله كفرا أكبر؟ هذه طريقة عند السلف الاستدلال بآيات في الكفر الأكبر على الكفر فكثيرًا ما يستدلون بآيات في الكفر الأكبر على الأصغر كما فعل حذيفة لما رأي رجلا بيده خيط وقطعه وقال: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ ولآية في الأكبر.

مسألة: مثال الكفر الأصغر الاعتقادي هو مثل نسبة نزول المطر إلى النجم على أن الله هو الفاعل والنجم سببا لحديث: «أصبح من عبادي مؤمن وكافر، فأما من قال مطرنا بنؤ كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب».

فصل

المتن:

وأما النفاق، فهو: نوعان، نفاق اعتقادي، ونفاق عملي.

فأما الاعتقادي فهو: ستة أنواع، تكذيب الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول، أو بغض الرسول، أو بغض ما جاء به الرسول، أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية لانتصار دين الرسول.

فهذه الأنواع الستة، صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار، نعوذ بالله من الشقاق والنفاق. هذا الدعاء هذا جعله عب في آخر الرسالة..

وأما النفاق العملي، فهو: خمسة أنواع، إذا حدث كذب، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر، وإذا ائتمن خان، وإذا وعد أخلف؛ . وذكر عب نص الحديث: «آية المنافق ثلاث... الحديث».

والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كبيرًا.

الشرح:

ثم بعد ذلك ختم المصنف بذكر أنواع النفاق، فذكر نوعين الأول سماه اعتقادي و الثاني سماه عملي، وفي رسالة أخرى للشيخ محمد بن عبد الوهاب في مجموعة الرسائل والمسائل المجلد الرابع صفحة (١٢) قسم النفاق إلى أكبر وأصغر وهذا أدق وأحسن من تقسيمه إلى اعتقادي وعملي لماذا؟

لأن تسمية النفاق الأكبر بالاعتقاد قد يفهم منه أنه خاص بالاعتقاد ومن ثم فلا يحكم بنفاق أحدا إلا إذا علمنا اعتقاده لأنه اعتقاد خفي مقره القلب بل هناك من النفاق الأكبر ما هو لسانيًا أي باللسان أو جوارحيًا أي بالجوارح دون النظر إلى اعتقاده.

مع أن الكفر الأكبر فيه عملي لا ينظر فيه إلى الاعتقاد فإذا قصرناه على الاعتقاد قد لا يقال إن هناك نفاقا عمليا أكبر، مع أن المصنف ذكر التكذيب وهو عملي تابع لعمل اللسان وهو القول، والبغض عملي تابع للقلب، فهو من عمل القلب وليس من قول القلب. وهذا يطرح سؤال فما هو النفاق العملي الأكبر المخرج من الدين الجواب مثل:

أ- الانصراف من المعركة إذا اشتدت وبدأت فينصرف مجموعة من الناس لها شوكة فهذا أكبر كما انصرف أبي بن سلول بربع الجيش في أحد.

ب- مثل لو سعى بالإفساد بين المسلمين بما يؤدي إلى تحاربهم وإثارة الحرب الأهلية بين المسلمين وهو يظهر الإسلام فهذا نفاق عملي أكبر، كما فعل أبي بن سلول في غزوة بني المصطلق حيث أثار الشحناء بين المهاجرين والأنصار وكادت أن تنشب بينهم حرب في قصة معروفة.

ج- ترك الصلاة خفية.

مسألة: إذا قلنا نفاق عملي أكبر فمعناه يكفر بهذا العمل ولا ينظر إلى اعتقاده ولا يبحث عن اعتقاده بل بمجرد العمل يطلق عليه النفاق الأكبر.

ثم ذكر المصنف أنواع النفاق الاعتقادي أو بعبارة أخرى النفاق الأكبر وأنها ستة أنواع قال المصنف: (فأما الاعتقادي فهو ستة أنواع) وهذا ليس للاستيعاب فأنواعه أكثر، قال المصنف:

١ . تكذيب الرسول، وهذا الأول.

٢ . أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول وهذا الثاني.

٣ . أو بغض الرسول. وهذا الثالث.

٤ . أو بغض بعض ما جاء به الرسول وهذا الرابع.

٥ . والمسرة بانخفاض دين الرسول هذا الخامس.

٦ . أو الكراهية الانتصار دين الرسول وهذا السادس.

وهذه الأنواع الستة ضابطها والجامع لها شيء واحد أنها مبنية على العداوة لهذا الدين والبغض له.

وهذه الأنواع بعضها متداخل في بعض، مثل تكذيب الرسول يدخل فيه تكذيب بعض ما جاء به الرسول وهكذا.

ونضرب أمثلة في الجانب العملي كالتالي:

١ – لو دعا بلسانه إلى التزهد في هذا الدين والتشكيك فيه فهذا عملي قولي.

٢ – لو حارب هذا الدين بماله لكي لا ينتصر. فهذا نفاق عملي لأنه أشد من كراهية انتصار هذا الدين.

٣– لو ألزم الناس بما يقلل انتشار الدين كما لو جعل قيودا على الدعوة

وقيودا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تؤدي إلى تقليص ذلك فهذا عملي أكبر وهو أشد من كراهية انتصار دين الرسول لأن هذا عمل إجراءات لعدم انتصار دين الرسول.

٤- لو قتل الدعاة والعلماء فهذا عملي أكبر لأن الدعاة والعلماء هم الذين ينصرون هذا الدين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾.

٥- لو حارب المجاهدين وسعى باعتقالهم وحرض عليهم وهو يعرف أنهم مجاهدون ونحو ذلك فهذا عملي أكبر لأنه أشد من كراهية انتصار دين الرسول لأن المجاهدين هم الذين ينصرون دين الرسول. وفي الصحيح قال: «**آية النفاق بغض الأنصار**» والأنصار اسم جامع لكل من نصر الدين كنصرة الأولين.

٦- لو سعى في الفرقة بين المسلمين وجعلهم طوائف لهدف إضعافهم كما يخطط بعض الحكام فهذا عملي أكبر لأن تقاتل المسلمين وإضعافهم يؤدي إلى انخفاض دين الرسول، قال تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾.

وهناك أمثلة معاصرة كثيرة خصوصًا في جانب الحكام والصحفيين والإعلاميين والمثقفين ممن يقوم بأعمال تؤدي إلى أضعاف الصحوة أو بعثرتها فإن هؤلاء كلهم من أهل النفاق العملي الأكبر إن أسروا ذلك، ومرتدون إن أظهروا ذلك.

ثم قال المصنف: (وهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار) بين المصنف هنا حكم هذه الأنواع الستة وأمثالها وأنه من أهل النار، وحدد موقعه من النار أنه في الدرك الأسفل من النار قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ وكونه من أهل النار أي خالدا مخلدا وما ذكره المصنف هذا حكم أخروي.

فما حكمه في الدنيا؟ أما حكم المنافق نفاق أكبر في الدنيا فحكمه مبعض له بعض أحكام المسلمين وله بعض أحكام الكفار، فهو في أشياء يعطى حكم المسلمين وفي أشياء يعطى حكم الكفار، والسبب لأنه مذبذب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ولذا أُعطى حكما من هؤلاء وحكما من هؤلاء فمن حيث:

أ .الميراث فيعطى حكم المسلمين لو مات المنافق نفاقا أكبر يرثه ورثته أي أولياؤه من المسلمين ويدل عليه أن عبد الله بن أبي بن سلول لما مات ورثه ورثته المسلمين وكذا المنافقين في عصر.النبي صلى الله عيه وسلم يرثون ويورثون وهذا بالإجماع.

ب .بالنسبة للزوجية يعامل معاملة المسلمين فلو أن امرأة زوجها منافق فجائز بقاء عقد الزوجة فإن نساء عبدالله بن أبي سلول بقين معه في عصمته.

ج.وكذا النسب ينسب إليه أولاده.

د.وكذا الحدود تقام عليه الحدود كالمسلمين.

هـ .وكذا في الخطاب فهو داخل في خطاب المؤمنين كقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ فيدخل المنافقون في الخطاب، ويؤمر بالتكليف الشرعية من الفرائض والواجبات، وينهى عن المحرمات.

وأما ما يخالف المسلمين ويلحق بالكافرين ففي الصلاة إذا مات لا يصلى عليه ومن عرف نفاقه لا يصل عليه فقد نهى الله الرسول أن يصلى على المنافقين كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾. مع أنه يُغسّل ويُكفّن ويدفن في مقابر المسلمين لكن لا يصلى عليه لمن عرف نفاقه، لأنه ليس هناك مقبرة للمنافقين زمن الرسول ﷺ، بل إما مقبرة للمسلمين أو للكفار من أهل الذمة فقط.

ولا يوالى بمعنى أنه يعظّم ويحب ويؤنس به فقد حرم الله موالاة المنافقين كما قال تعالى في سورة النساء: ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ وقال ﷺ: «**لا تقولوا للمنافقين سيد فتغضبوا ربكم**» صححه الحاكم، وقال ﷺ: «**لا تصاحب إلاّ مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي**» هذه بالنسبة لأحكامهم.

مسألة: وهي قولنا أنه يعامل معاملة المسلمين فيما سبق هذا إذا لم يصدر فيه حكم قضائي أو فتوى علماء بأنه مرتد أو يظهر نفاقه ظهورًا واضحًا فهذه ثلاثة أمور:

- أن يصدر به حكم قضائي بأنه مرتد فإذا صدر حكما قضائيا فيه ألحق بالكفار في كال شيء وهذا ما قصده الفقهاء في باب حكم المرتد.

- أن تصدر فيه فتوى من علماء ثقات بأنه مرتد وعلقنا الحكم بالعلماء والقضاة لأنهم يتحرون ويبحثون عن الشهود لكي يثبت عندهم بطريقة شرعية لا أهواء فيها ولا جهل. ولأن النفاق خفي أمره ملتبس.

- أن يظهر نفاقه حتى يستفيض عند الناس كقوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ أي ينتهوا عن أظهار نفاقهم، لأن الإظهار ينزل منزلة البينة، وهذه الآية نزلت في غزوة الخندق وبعد غزوة الخندق وبعد هذه الآية أسروا نفاقهم فلا يخرج إلا فلتات لسان وفي لحن القول، وكان المنافقون أظهروا نفاقهم كما في غزوة الخندق وغزوة أحد أما بعد هذا الوعيد وبعد غزوة الخندق فقد أخفوا وستروا نفاقهم.

وعلى ذلك فلو رأيت من إنسان النفاق العملي مثل رأى الابن من أبيه النفاق العملي الأكبر أو العكس أو امرأة رأت من زوجها نفاقا أكبر أو الأخ من أخيه أو الجار من جاره أو من مديرة أو أميره أو حاكمه النفاق الأكبر لكنه لم يظهره علانية ولم يثبت بطريقة شرعية فهنا يعامله معاملة المسلمين في شيء ومعاملة الكفار في شيء.

مسألة: هل إذا علمت نفاقه الأكبر ولم يثبت بطريقة شرعية فهل يلزم أخبر الآخرين بنفاقه؟ الجواب لا، لا يلزم فإن حذيفة كان يعرف بعض المنافقين بأعيانهم ولم يخبر أحدًا بل عند الصلاة ما كان يخبر أحدًا بل كان الصحابة يرقبون حذيفة أن صلى عليه صلوا وأن تركه تركوا.

وللمصنف رسالة في النفاق في الدرر (١ / ١٩٠) هذا نصها: رحمه الله تعالى: اعلم رحمك الله: أن الله منذ بعث محمدًا ﷺ وأعزه بالهجرة، والنصر. صار الناس ثلاثة أقسام؛ قسم: مؤمنون، وهم الذين آمنوا به ظاهرًا وباطنًا؛ وقسم: كفار؛ وهم الذين: أظهروا الكفر به؛ وقسم: منافقون، وهم الذين آمنوا به ظاهرًا لا باطنًا، ولهذا افتتح الله سورة البقرة، بأربع آيات في صفة المؤمنين؛ وآيتين في صفة الكافرين؛ وثلاث عشرة في صفة المنافقين.

وكل واحد من الإيمان، والكفر، والنفاق، له دعائم، وشعب، كما دل عليه الكتاب، والسنة؛ وكما فسره علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، في الحديث المأثور عنه.

فمن النفاق ما هو أكبر، يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، كنفاق عبد الله بن أبي وغيره؛ مثل أن يظهر تكذيب الرسول؛ أو جحود بعض ما جاء به، أو بغضه، أو عدم اعتقاد وجوب إتباعه، أو المسرة بانخفاض دينه، أو المساءة بظهور دينه، ونحو ذلك، مما لا يكون صاحبه إلا عدوًا لله ورسوله؛ وهذا القدر موجود في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وما زال بعده أكثر منه على عهده لكون موجبات الإيمان على عهده أقوى، فإذا كانت مع قوتها والنفاق موجود، فوجوده فيما دون ذلك أولى به، وهذا ضرب النفاق الأكبر، والعياذ بالله.

وأما النفاق الأصغر، فهو: نفاق الأعمال، ونحوها، مثل أن يكذب إذا حدث، ويخلف إذا وعد، أو يخون إذا ائتمن، للحديث المشهور في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال: «**آية المنافق: ثلاث؛ إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان؛ وإن صلى وصام، وزعم أنه مسلم**» ومن هذا الباب: الإعراض عن الجهاد، فإنه من خصال المنافقين، لقوله صلى الله عليه وسلم: «**من مات ولم يغزُ، ولم يحدث نفسه بالغزو، مات على شعبة من النفاق**» [رواه مسلم].

وقد أنزل الله سورة براءة، التي تسمى الفاضحة، لأنها فضحت المنافقين، كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما، قال: هي الفاضحة، ما زالت تنزل، ومنهم، حتى ظنوا أن لا يبقى أحد إلا ذكر فيها؛ وعن المقداد ابن الأسود، قال: هي سورة البحوث، لأنها بحثت عن سرائر المنافقين؛ وقال قتادة: هي المثيرة، لأنها أثارت مخازي المنافقين.

وهذه السورة: نزلت في آخر مغازي رسول الله ﷺ يوم غزوة تبوك، وقد أعز الله الإسلام وأظهره، فكشف فيها عن أحوال المنافقين، ووصفهم فيها بالجبن، والبخل؛ فأما الجبن: فهو ترك الجهاد؛ والبخل: عن النفقة في سبيل الله، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ﴾، وقال: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾.

فأما: وصفهم فيها بالجبن والفزع، فقد قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ۝٥٦ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾ يلجؤون إليه، مثل المعاقل، والحصون ﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾ يغورون فيها كما يغور الماء ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ هو الذي يتكلف الدخول إليه، ولو بكلفة ومشقة ﴿لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ﴾ عن الجهاد ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ أي: يسرعون إسراعًا لا يردهم شيء، كالفرس الجموح، الذي إذا حمل لم يرده اللجام.

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ فحصر المؤمنين فيمن آمن وجاهد، وقال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ فهذا إخبار من الله أن المؤمن لا يستأذن في ترك الجهاد، وإنما يستأذن الذين لا يؤمنون بالله، فكيف بالتارك من غير استئذان؟! ثم قال في وصفهم بالشح: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ فإذا كان هذا مذمة الله تبارك وتعالى لمن أنفق وهو كاره، فكيف بمن ترك النفقة رأسًا؟!.

وقد أخبر أن المنافقين لما قربوا من المدينة، تارة يقولون للمؤمنين: هذا الذي جرى علينا بشؤمكم، فأنتم الذين دعوتهم الناس إلى هذا الدين، وقاتلوهم عليه، وخالفتموهم؛ وتارة يقولون: أنتم الذين أشرتم علينا بالمقام هنا، وإلا لو كنا قد سافرنا لما أصابنا هذا؛ وتارة يقولون: أنتم مع قلتكم وضعفكم، تريدون أن تكسروا العدو، وقد غركم دينكم؛ وتارة يقولون: أنتم مجانين، لا عقل لكم، تريدون أن تهلكوا أنفسكم، وتهلكوا الناس معكم؛ وتارة يقولون: أنواعًا من الكلام المؤذي؛ فأخبر الله عنهم بقوله ﷻ: ﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

فوصفهم تبارك وتعالى بثلاثة أوصاف، الأول: أنهم لفزعهم منهم يحسبون الأحزاب لم ينصرفوا عن البلد، وهذا حال الجبان، الذي في قلبه مرض، فإن قلبه يبادر إلى تصديق الخبر المخوف، وتكذيب خبر الأمن.

الوصف الثاني: أن الأحزاب إذا جاؤوا، تمنوا أن لا يكونوا بينكم، بل في البادية بين الأعراب ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾ أي شيء خبر المدينة؟ وأي شيء خبر الناس؟

الوصف الثالث: أن الأحزاب إذا أتوا وهم فيكم لم يقاتلوا إلا قليلًا وهذه الأوصاف الثلاثة منطبقة على كثير من الناس اهـ.

❁ ❁ ❁

فصل

المتن:

وأما النفاق العملي، فهو: خمسة أنواع، إذا حدث كذب، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر، وإذا ائتمن خان، وإذا وعد أخلف؛. وذكر عب نص الحديث: «آية المنافق ثلاث...» الحديث.

والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كبيرًا.

الشرح:

قال المصنف: (وأما النفاق العملي فهو خمسة أنواع والدليل قوله ﷺ: «**أية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان**» «وإذا **خاصم فجر وإذا عاهد غدر**».

وسُمّي عمليا لأن مناط الحكم الأعمال وهذا جاء عن السلف أنهم يسمون النفاق الأصغر بنفاق الأعمال.

قال المصنف وقوله: (خمسة أنواع)؛ لأنها جاءت مجموعة في حديثين لكن لا يعني أن هذا حصر- بل هي أكثر من ذلك فالتخلف عن صلاة الجماعة وكونه يصليها في البيت هذا نفاق عملي أصغر كما قال ابن مسعود في صلاة الجماعة وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ومثل الدخول على الولاة ومدحهم والثناء عليهم كذبًا كما جاء عند البخاري من حديث أبن عمر لما سئل عن ذلك قال كنا نعد هذا نفاقًا في عهد رسول الله ﷺ، ومثل التخلف عن الجهاد.

والقاعدة في ذلك: أنه كل ما جاء في النصوص تسميته نفاقا من غير أن يُخرجه من الملة.

وعلى كل حال المصنف لم يرد الاستيعاب ولو أستعرض الإنسان نفاق الأعمال لوجده أكثر من ذلك، وهناك كتاب للفريابي اسمه النفاق استعرض فيه أمثلة كثيرة من نفاق الأعمال، وأيضًا ابن بطة في كتابه الإبانة الكبرى وفي كتابه الرد على المرجئة ساق أمثلة كثيرة لنفاق الأعمال غير هذا الخمسة أما هذه الأنواع الخمسة فهي كالآتي:

١ - إذا حدث كذب. ٢. إذا وعد أخلف.

٣- إذا ائتمن خان. ٤ - إذا خاصم فجر.

٥ - إذا عاهد غدر. قال الترمذي بعد سياق هذا الحديث وأهل العلم على أنه نفاق العمل.

مسألة: هل نفاق العمل يكون إذا أتي بالخمس أم لو أتى بواحدة يقال أتى بنفاق العمل.؟ الجواب لو أتي بواحدة فإنه فيه نفاقًا.

مسألة: من أتى هذه الخمس أو بعضها هل يسمى منافقا أم يقال فيه نفاق؟ **الجواب**: الذي يترجح أنه يقال فيه نفاق ولا يقال منافقا لان كلمة منافق تطلق على من به نفاق أكبر، قد يقول قائل آية المنافق ثلاث فمن أتى بالثلاث فهو منافق؟ الجواب نعم لكن لا يعطي الاسم مطلقًا و أنما يقيد فيقال منافق نفاق عمل أو يقال فيه نفاق، أما إن كانت مقطوعة فيقال منافق فقط فهذه لا تكون إلا في النفاق الأكبر.

وذهب بعض أهل العلم من أهل الحديث أن من أتى بخصال النفاق الخمسة الكبرى هذه أنه يسمى منافقا نفاقا أكبر واستدلوا بحديث: «**ثلاثة من كنا فيه كان منافقًا خالصًا**» فدل على أن من وجدت فيه الثلاث فهو خالص النفاق، وخالص النفاق هو الأكبر هذا قول بعض أهل الحديث نقله عنهم المروزي في كتابه تعظيم قدر الصلاة الجزء الثاني، وألمح إليه ابن القيم في كتابه حكم ترك الصلاة، أما الجمهور فيقولون هو منافق خالص النفاق في باب لأعمال أي في باب النفاق الأصغر لا في الأكبر، ولذا قال الترمذي بعدما ساق حديث كان منافقًا خالصًا وأهل العلم على أنه نفاق العمل اه وهذا أرجح.

ثم قال المصنف: (نعوذ بالله من النفاق والشقاق وسوء الأدب والله أعلم) وفي بعض النسخ فيه خطأ حيث أضافوا إضافة فقال إن هذه الأنواع الخمسة، صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار. لكن هذه الخمس ليس صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار لأنه من المسلمين لم يخرج من الملة، ولكن هذا الشطر الذي أضيف الأولى إضافته إلى النفاق الأكبر فيقال وهذه الستة بدل لخمسة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار.

مسألة: هذه الخمسة يكون الإنسان متصفا بالنفاق العملي فيها إذا كان وقت حدوثها ناويا خلاف الظاهر كأن يحدثك وهو حينما يحدث يكذب وكأن يعيدك وهو حين يعيدك ناويا عدم الوفاء، أما لو وعد وهو حينما وعدك صادق لكنه فيما بعد لم يف فهذا ليس من باب النفاق إنما من باب المعصية المحضة إلا إذا تكرر منه ذلك فمع التكرار يلحق بالنفاق العملي.

ومثل إنسان يحدثك وهو صادق ثم يتبين أن حديثه بعد ذلك كذب هذا لا يدخل في هذا الباب أما إذا ائتمن خان الظاهر أنه ليس فيه تفصيل لسبب لان

الأمانة مستمرة فيعطيه وديعة ثم تحتفظ بها فإذا خنت فيها بعد هذا نفاق لأن وجود الوديعة واستمرارها أقيم مقام من نوي وقت الفعل لأنه لما استمر في الأمانة أصبح وقت الفعل ممتدا ومثل ذلك الغدر في العهد ليس فيه تفصيل لأن العهد لابد أن يستمر.

وعلى كل حال تحتاج إلى بحث، قد يقول قائل هذا ينتقض عليك بالوعد لأن الوعد مستمر بمنزلة الأمانة المستمرة والعقد المستمر؟ فالله أعلم.

أما كلمة إذا خاصم فجر المقصود أنه يعلم حين الخصومة أنه كاذب فتجده يزيد في الكذب ويحسنه وهذا الفجور فهذا واضح أنه من النفاق لأنه حين المخاصمة يبطن الكذب هذا تعريف النفاق هو أن يبطن خلاف ما يظهر.

أما لو حدث وهو صادق ثم تبين أنه كذب فهذا حين الحديث ظاهرة مثل باطنه فهذا ليس داخلا.

ثم ختم المصنف الرسالة بالدعاء والتعوذ من النفاق والشقاق ونضيف إليه التعوذ من الشرك والكفر لأن هذه الرسالة في الشرك والكفر والنفاق فنعوذ بالله منها جميعًا ونسأل الله التوحيد الصادق الخالص.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،.

ملحق:

في الأسماء الشرعية وأحكامها وأصولها من كلام الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن وهي في الدرر السنية (١ / ٤٧٠):

فصل

ولفظ: الظلم، والمعصية، والفسوق، والفجور، والموالاة، والمعاداة، والركون، والشرك، ونحو ذلك من الألفاظ، الواردة في الكتاب، والسنة، قد يراد بها مسماها المطلق، وحقيقتها المطلقة، وقد يراد بها مطلق الحقيقة؛ والأول: هو الأصل عند الأصوليين؛ والثاني: لا يحمل الكلام عليه، إلا بقرينة لفظية، أو معنوية، وإنما يعرف ذلك بالبيان النبوي، وتفسير السنة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ الآية وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

وكذلك: اسم المؤمن، والبر، والتقى، يراد بها عند الإطلاق، والثناء، غير المعنى المراد، في مقام الأمر، والنهي؛ ألا ترى: أن الزاني، والسارق، والشارب، ونحوهم، يدخلون في عموم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ الآية وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ﴾ الآية وقوله تعالى: ﴿يا يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ﴾ ولا يدخلون في مثل قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ ﴾ وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ﴾ الآية. وهذا: هو الذي أوجب للسلف، ترك تسمية الفاسق، باسم الإيمان، والبر؛ وفي الحديث: «**لا يزني الزاني حين يزني،**

وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر، حين يشربها، وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه أبصارهم فيها، وهو مؤمن» وقوله: «**لا يؤمن، من لا يأمن جاره بوائقه**» لكن نفى الإيمان هنا، لا يدل على كفره، بل يطلق عليه اسم الإيمان، ولا يكون كمن كفر بالله ورسله، وهذا هو الذي فهمه السلف، وقرروه في باب الرد، على الخوارج، والمرجئة، ونحوهم، من أهل الأهواء؛ فافهم هذا، فإنه مضلة أفهام، ومزلة أقدام.

وأما: إلحاق الوعيد المرتب، على بعض الذنوب، والكبائر، فقد يمنع منه مانع، في حق المعين، كحب الله ورسوله، والجهاد في سبيله، ورجحان الحسنات، ومغفرة الله ورحمته، وشفاعة المؤمنين، والمصائب المكفرة، في الدور الثلاثة، ولذلك، لا يشهدون لمعين من أهل القبلة، بجنة ولا نار، وإن أطلقوا الوعيد، كما أطلقه القرآن، والسنة، فهم يفرقون، بين العام المطلق، والخاص المقيد؛ وكان عبد الله حمار، يشرب الخمر، فأتى به إلى رسول الله ﷺ فلعنه رجل، وقال ما أكثر ما يؤتى به إلى رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنه، فإنه يحب الله ورسوله**» مع: أنه لعن الخمر، وشاربها، وبائعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه.

وتأمل: قصة حاطب بن أبي بلتعة، وما فيها من الفوائد، فإنه هاجر إلى الله ورسوله، وجاهد في سبيله، لكن حدث منه: أنه كتب بسر رسول الله ﷺ إلى المشركين من أهل مكة، يخبرهم بشأن رسول الله ﷺ ومسيره لجهادهم، ليتخذ بذلك يدًا عندهم، تحمي أهله، وماله بمكة، فنزل الوحي بخبره، وكان قد أعطى الكتاب: ظعينة، جعلته في شعرها، فأرسل رسول الله ﷺ عليًا، والزبير، في طلب

الظعينة، وأخبرهما، أنهما يجدانها في روضة خاخ، فكان ذلك، وتهدداها، حتى أخرجت الكتاب من ضفائرها، فأتي به رسول الله ﷺ.

فدعا حاطب بن أبي بلتعة، فقال له: «**ما هذا؟**» فقال: يا رسول الله، إني لم أكفر بعد إيماني، ولم أفعل هذا رغبة عن الإسلام، وإنما أردت أن تكون لي عند القوم يد، أحمي بها أهلي، ومالي، فقال ﷺ: «**صدقكم، خلوا سبيله**» واستأذن عمر، في قتله، فقال: دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: «**وما يدريك، أن الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم**» وأنزل الله في ذلك، صدر سورة الممتحنة، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ الآيات.

فدخل حاطب في المخاطبة، باسم الإيمان، ووصفه به، وتناوله النهي بعمومه، وله خصوص السبب، الدال على إرادته، مع أن في الآية الكريمة، ما يشعر: أن فعل حاطب نوع موالاة، وأنه أبلغ إليهم بالمودة، وأن فاعل ذلك، قد ضل سواء السبيل، لكن قوله: «**صدقكم، خلوا سبيله**» ظاهر في أنه لا يكفر بذلك، وإذا كان مؤمنًا بالله ورسوله، غير شاك، ولا مرتاب؛ وإنما فعل ذلك، لغرض دنيوي، ولو كفر، لما قال: خلوا سبيله.

ولا يقال، قوله ﷺ: «**ما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم**» هو المانع من تكفيره، لأنا نقول: لو كفر لما بقي من حسناته، ما يمنع من لحاق الكفر، وأحكامه؛ فإن الكفر: يهدم ما قبله، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ وقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ والكفر، محبط للحسنات والإيمان، بالإجماع؛ فلا يظن هذا.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ وقوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ

بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ فقد فسرته السنة، وقيدته وخصته بالموالاة المطلقة العامة.

وأصل: الموالاة، هو: الحب والنصرة، والصداقة، ودون ذلك مراتب متعددة؛ ولكل ذنب: حظه وقسطه، من الوعيد والذم؛ وهذا عند السلف الراسخين في العلم من الصحابة والتابعين معروف في هذا الباب وفى غيره وإنما أشكل الأمر، وخفيت المعانى، والتبست الأحكام على خلوف من العجم والمولدين الذين لا دراية لهم بهذا الشأن ولا ممارسة لهم بمعاني السنة والقرآن.

ولهذا: قال الحسن رضي الله من العجمة أتوا وقال عمرو بن العلاء لعمرو بن عبيد، لما ناظرة في مسألة خلود أهل الكبائر في النار واحتج ابن عبيد: أن هذا وعد والله لا يخلف وعده يشير إلى ما في القرآن من الوعيد على بعض الكبائر والذنوب بالنار والخلود فقال له ابن العلاء: من العجمة أتيت؛ هذا وعيد لا وعد وأنشد قول الشاعر:

وإنـي وإن أوعدتـه أو وعدتـه لمخلـف إيعـادى ومنجـز موعـد

وقال: بعض الأئمة فيما نقل البخاري أو غير: إن من سعادة الأعجمي والعربي إذا أسلما، أن يوفقا لصاحب سنة وأن من شقاوتهما: أن يمتحنا ويسرا لصاحب هوى وبدعة.

ونضرب لك مثلًا، هو: أن رجلين تنازعا في آيات من كتاب الله أحدهما خارجي والآخر مرجيء قال الخارجي: إن قوله: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ دليل على حبوط أعمال العصاة، والفجار وبطلانها إذ لا قائل: إنهم من عباد الله

المتقين؛ قال المرجىء: هي في الشرك، فكل من اتق الشرك يقبل منه عمله لقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ قال الخارجي: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ رد ما ذهبت إليه.

قال المرجىء، المعصية هنا الشرك بالله واتخاذ الأنداد معه لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ قال الخارجي، قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ دليل على أن الفساق من أهل النار خالدين فيها: قال له المرجىء، قوله في آخر الآية: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ دليل: على أن المراد من كذب الله ورسوله، والفاسق من أهل القبلة، مؤمن كامل الإيمان.

ومن وقف: على هذه المناظرة، من جهال الطلبة والأعاجم ظن أنها الغاية المقصودة، وعض عليها بالنواجذ مع أن كلا القولين لا يرتضى، ولا يحكم بإصابته أهل العلم والهدى، وما عند السلف والراسخين في العلم خلاف هذا كله لأن الرجوع إلى السنة المبينة للناس ما نزل إليهم واجب، وأما البدع والأهواء فيستغنون عنها بآرائهم وأهوائهم وأذواقهم.

وقد بلغني: أنكم تأولتم، قوله تعالى في سورة محمد: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ على بعض ما يجرى من أمراء الوقت من مكاتبة أو مصالحة أو هدنة لبعض رؤساء الضالين والملوك المشركين ولم تنظر لأول الآية وهى قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ ولم تفقهوا المراد من هذه الطاعة ولا المراد من الأمر المعروف المذكور في هذه الآية الكريمة وفي قصة: صلح الحديبية، وما طلب المشركين

واشـترطوه وأجـابهم إليـه رسـول الله ﷺ مـا يكفـى في رد مفهـومكم ودحـض أباطيلكم.

۞ ۞ ۞

فصل

وهنا أصول، **أحدها**: أن السنة والأحاديث النبوية، هي المبينة للأحكام القرآنية، وما يراد من النصوص الواردة في كتاب الله في: باب معرفة حدود ما أنزل الله كمعرفة المؤمن والكافر والمشرك والموحد والفاجر والبر والظالم والتقى وما يراد بالموالاة والتولي ونحو ذلك من الحدود كما أنها المبينة لما يراد من الأمر بالصلاة على الوجه المراد في عددها وأركانها وشروطها وواجبها وكذلك الزكاة فإن لم يظهر المراد من الآيات الموجبة ومعرفة النصاب، والأجناس التي تجب فيها من الأنعام والثمار والنقود ووقت الوجوب واشترط الحول في بعضها ومقدار ما يجب في النصاب وصفته، إلا بيان السنة وتفسيرها.

وكذلك: الصوم، والحج، جاءت السنة بيانهما وحدودهما، وشروطهما، ومفسداتهما، ونحو ذلك مما توقف بيانه على السنة، وكذلك: أبواب الربا وجنسه ونوعه، وما يجرى فيه، وما لا يجرى والفرق بينه، وبين البيع الشرعي، وكل هذا البيان: أخذ عن رسول الله ﷺ براوية الثقات العدول، عن مثلهم، إلى أن تنتهي السنة إلى رسول الله ﷺ فمن: أهمل هذا وأضاعه، فقد سد على نفسه، باب العلم والإيمان، ومعرفة معاني: التنزيل والقرآن.

الأصل الثاني: أن الإيمان أصل، له شعب متعددة كل شعبة منها تسمى إيمانًا فأعلاها: شهادة أن لا إلَه إلاّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، فمنها: ما يزول الإيمان بزواله إجماعًا، كشعبة الشهادتين ومنها: ما لا يزول بزواله إجماعًا، كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبين هاتين الشعبين، شعب متفاوتة، منها: ما يلحق بشعبة الشهادة، ويكون إليها أقرب ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى عن

الطريق ويكون إليها أقرب، والتسوية بين هذه الشعب في اجتماعها مخالف للنصوص وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها.

وكذلك الكفر: أيضًا، ذو أصل، وشعب فكما أن شعب الإيمان: إيمان فشعب الكفر: كفر والمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان ولا يسوى بينهما في الأسماء والأحكام، وفرق بين من ترك الصلاة، أو الزكاة أو الصيام أو أشرك بالله، أو استهان بالمصحف؛ وبين من يسرق ويزني أو يشرب أو ينهب أو صدر منه نوع موالاة كما جرى لحاطب فمن سوى بين شعب الإيمان في الأسماء والأحكام، أو سوى بين شعب الكفر في ذلك، فهو مخالف للكتاب والسنة، خارج عن سبيل سلف الأمة داخل في عموم أهل البدع والأهواء.

الأصل الثالث: أن الإيمان مركب من قول وعمل، والقول: قسمان قول القلب، وهو اعتقاده وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام؛ والعمل قسمان: عمل القلب، وهو: قصده، واختياره، ومحبته، ورضاه وتصديقه، وعمل الجوارح، كالصلاة، والزكاة، والحج والجهاد ونحو ذلك من الأعمال الظاهرة فإذا زال تصديق القلب، ورضاه، ومحبته لله، وصدقه، زال الإيمان بالكلية وإذا زال شيء من الأعمال كالصلاة، والحج والجهاد مع بقاء تصديق القلب وقبوله فهذا: محل خلاف هل يزول الإيمان بالكلية، إذا ترك أحد الأركان الإسلامية كالصلاة والحج والزكاة والصيام أو لا يزول؟ وهل يكفر تاركه أو لا يكفر؟ وهل: يفرق بين الصلاة، وغيرها أو لا يفرق.

فأهل السنة: مجمعون على أنه لا بد من عمل القلب الذي هو: محبته، ورضاه وانقياده والمرجئة تقول يكفى التصديق، فقط ويكون به مؤمنا والخلاف في أعمال الجوارح هل يكفر أو لا يكفر واقع بين أهل السنة والمعروف عند السلف تكفير من ترك أحد المباني الإسلامية كالصلاة والزكاة والصيام والحج والقول **الثاني**: أنه لا يكفر إلا من جحدها.

والثالث: الفرق بين الصلاة وغيرها وهذه الأقوال معروفة؛ وكذلك المعاصي، والذنوب التي هي فعل المحظورات، فرقوا فيها: بين ما يصادم أصل الإسلام وينافيه وما دون ذلك وبين ما سماه الشارع كفرًا وما لم يسمه هذا ما عليه أهل الأثر المتمسكون بسنة رسول الله ﷺ وأدلة: مبسوطة في أماكنها.

الأصل الرابع: أن الكفر نوعان كفر عمل وكفر جحود وعناد، هو: أن يكفر بما علم، أن الرسول ﷺ جاء به من عند الله جحودًا وعنادًا من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه التي أصلها توحيده وعبادته وحده لا شريك له وهذا مضاد للإيمان من كل وجه وأما كفر العمل فمنه ما يضاد الإيمان كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي ﷺ وسبه وأما: الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة فهذا كفر عمل لا كفر اعتقاد وكذلك قوله ﷺ: «**لا ترجعوا بعدى كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض**» وقوله: «**من أتى كاهنًا فصدقه، أو امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**» فهذا: من الكفر العملي وليس كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي ﷺ وسبه وإن كان الكل يطلق عليه: الكفر.

وقد سمى الله سبحانه: من عمل ببعض كتابه وترك العمل ببعضه، مؤمنًا بما عمل به وكافرًا بما ترك العمل به قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ

دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ الآية فأخبر تعالى أنهم أقروا بميثاقه، الذي أمرهم به والتزموه وهذا يدل على تصديقهم به؛ وأخبر: أنهم عصوا أمره وقتل فريق منهم فريقًا آخرين وأخرجوهم من ديارهم وهذا كفر بما أخذ عليهم ثم أخبر: أنهم يفدون من أسر من ذلك الفريق، وهذا إيمان منهم بما أخذ عليهم في الكتاب وكانوا مؤمنين، بما عملوا به من الميثاق، كافرين بما تركوه منه.

فالإيمان العملي: يضاده الكفر العملي والإيمان الاعتقادي: يضاده الكفر الاعتقادي، وفي الحديث الصحيح: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر» ففرق بين سبابه، وقتاله وجعل أحدهما فسوق، لا يكفر به، والآخر كفرًا ومعلوم: أنه إنما أراد الكفر العملي لا الاعتقادى وهذا الكفر لا يخرجه من الدائرة الإسلامية، والملة بالكلية كما لم يخرج الزاني والسارق والشارب، من الملة وإن زال عنه اسم الإيمان.

وهذا: التفصيل، قول الصحابة، الذين هم أعلم الأمة بكتاب الله، وبالإسلام والكفر ولوازمها، فلا تتلقى هذه المسائل إلا عنهم والمتأخرون: لم يفهموا مرادهم فانقسموا فريقين؛ فريق أخرجوا من الملة بالكبائر وقضوا على أصحابهم بالخلود في النار وفريق: جعلوهم مؤمنين كاملي الإيمان، فأولئك غلوا وهؤلاء جفوا وهدى الله أهل السنة للطريقة المثلى، والقول الوسط الذي هو في المذاهب كالإسلام في الملل فهاهنا كفر دون كفر ونفاق دون نفاق وشرك دون شرك، وظلم دون ظلم، فعن ابن عباس رضي الله عنه، في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ قال: ليس هو الكفر الذي تذهبون إليه رواه عن سفيان وعبد الرازق وفي رواية أخرى: كفر لا ينقل عن الملة وعن عطاء كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق.

وهذا: بين في القرآن، لمن تأمله فإن الله سبحانه سمى الحاكم بغير ما أنزل الله كافرًا وسمى الجاحد لما أنزل الله على رسول كافرًا، وليس الكفران على حد سواء وسمى الكافر ظالما، وفى قوله: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وسمى من يتعد حدوده في النكاح، والطلاق والرجعة والخلع، ظالمًا وقال: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ وقال يونس عليه السلام: ﴿إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وقال آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ وقال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ وليس هذا الظلم مثل ذلك الظلم؛ وسمى الكافر فاسقا، في قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ وسمى العاصي فاسقًا، في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ وقال في الذين يرمون المحصنات: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ وقال ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ وليس الفسوق، كالفسوق.

وكذلك: الشرك، شركان؛ شرك: ينقل عن الملة، وهو الشرك الأكبر؛ وشرك: لا ينقل عن الملة، وهو الشرك الأصغر، كشرك الرياء؛ وقال تعالى، في الشرك الأكبر: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ وقال تعالى، في شرك الرياء: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ وفي الحديث: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» وفي الحديث: «**من حلف بغير الله، فقد أشرك**» ومعلوم: أن حلفه بغير الله لا يخرجه عن الملة، ولا يوجب له حكم الكفار؛ ومن هذا قوله ﷺ: «**الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل**» فانظر: كيف انقسم الشرك، والكفر، والفسوق، والظلم، إلى ما هو كفر ينقل عن الملة، وإلى ما لا ينقل عن الملة.

وكــذلك: النفـاق، نفاقـان؛ نفـاق اعتقـادي؛ ونفـاق عمـلي؛ والنفـاق الاعتقادي: مذكور في القرآن، في غير موضع، أوجب لهم تعالى به الدرك الأسفل من النار؛ والنفاق العملي، جاء في قوله ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من النفاق، حتى يدعها؛ إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، وإذا أؤتمن خان**» وكقوله ﷺ: «**آية المنافق ثلاث** إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان» قال بعض الأفاضل: وهذا النفاق قد يجتمع مع أصل الإسلام بالكلية وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، ولكن إذا استحكم وكمل، فقد ينسلخ صاحبه من الإسلام بالكلية وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم فإن الإيمان ينهى عن هذه الخلال، فإذا كملت للعبد، ولم يكن له ما ينهاه عن شيء منها، فهذا لا يكون إلا منافقًا خالصًا، انتهى.

الأصل الخامس: أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد، أن يسمى مؤمنًا، ولا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر، أن يسمى كافرًا، وإن كان ما قام به كفر، كما أنه لا يلزم من قيام جزء من أجزاء العلم، أو من أجزاء الطب، أو من أجزاء الفقه، أن يسمى عالمًا، أو طبيبًا، أو فقيها؛ وأما الشعبة نفسها، فيطلق عليها اسم الكفر كما في الحديث: «**اثنتان في أمتي هما بهم كفر، الطعن في النسب، والنياحة على الميت**» وحديث: «**من حلف بغير الله فقد كفر**» ولكنه لا يستحق اسم الكفر على الإطلاق.

فمن عرف: هذا، عرف فقه السلف، وعمق علومهم، وقلة تكلفهم؛ قال ابن مسعود: من كان متأسيًا، فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا؛ قوم: اختارهم الله لصحبة نبيه، فاعرفوا لهم حقهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم؛ وقد كاد الشيطان بني آدم، بمكيدتين

عظيمتين، لا يبالي بأيهما ظفر: أحدهما الغلو ومجاوزة الحد والإفراط، والثاني هو الإعراض، والترك والتفريط.

قال ابن القيم: لما ذكر شيئًا من مكائد الشيطان قال بعض السلف: ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان، إما إلى تفريط وتقصير وأما إلى مجاوزة وغلو ولا يبالي بأيها ظفر وقد اقتطع أكثر الناس إلا القليل، في هذين الواديين وادي التقصير ووادي المجاوزة والتعدي، والقليل منهم الثابت على الصراط الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وعدّ رحمه الله كثيرًا من هذا النوع. إلى أن قال ـ وقصر ـ بقوم حتى قالوا: إيمان أفسق الناس وأظلمهم كإيمان جبريل وميكائيل فضلًا عن أبي بكر وعمر وتجاوز بآخرين حتى أخرجوا من الإسلام بالكبيرة الواحدة.اهـ بحروفه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

انتهى الملحق والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

الفهرس